التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٦٩

Yanabee'a

ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام/ السَّنة ١٢/ العَدد ٦٩ رجب ـ شعبان ١٤٣٧هـ/ نيسان ـ آيار ٢٠١٦م

ينابيع ٦٩

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تنشر.

قصيدة في استنهاض الإمام المهدي (عج)

« طـال النـوى »

الشاعر: مسلم الناصري

طال النوى فآجرنا أيهـــــا الرحب ... فما برحنا ظهـور الأمــر نرتقب

لولا رجـاؤك لم نصبر على مضض ... وخـاب ظنه من أنصــارك التعب

ترنو لمقدمك الأرواح شاخصـــــة ... أبصارها حيث أن الملتقى صعب

وتستجيــب إلى لقيـــاك في شغـف ... وقـد علمنــا بأن الوعــد يقتــرب

شوقـا إليك أمــا لـو كان في جبـــل ... يهتز من أرضــه نحو السما يثب

عجل إلينا فقد جفت مرابعنـــــا ... ففي وجـودك ريـق المزن يجتلب

وانهض فديتك وآشحذ سيف حيدرة ... ليس الأوان أوانا فيه تحتجب
يا سيدي بلغ السيل الزبى فمتى ... ذاك الحسام لهم بالحق تجتذب
من يطلب الثأر لايأوي لمضجعه ... ولاينام قريرا من به وصب
عفوا ومعذرة من جرأتي فلقد ... تنكر القوم لي والعجم والعرب

* * * * * * * * * * * * * * *

وامهدياه لقد أمست منازلنا ... قفرى ومن حولها الأيتام تنتحب
والغوث الغوث لازلنا نرددها ... في كل وقت به لله نقترب
يابن الكرام أما ترنو لأمتنا ... من كل جنب من الأعداء تجتذب
فهذه القدس في أيدي البغاة وذا ... كما ترى مهبط الإسراء مغتصب
لقد سئمنا من الدنيا بلا هدف ... وقد عشقنا الردى والحق منتهب
فالموت أرحم من تلك الحياة بها ... لم يبق للعز فيما بيننا عقب
قد لوَث العبث الموبوء بيئتنا ... وآجتاحت الوطن المستنهض النُوب
وأخرس الموت والقتلى مزاهرنا ... فالشعر والنغم المرتاد مكتئب
كم نار حرب لنا قد أوقد الجبنا ... ونحن في كل نار أوقدت حطب
وليس من سائل عنا سوى أمل ... تستوضح الغيب عن إطلاقه السحب
إنا على جانحات الانتظار له ... في مركب الصبر حيث البحر يضطرب
ولو مكثنا على الأرض اليباب له ... لن نبرح الأرض حتى يثمر القصب

* * * * * * * * * * * * * * *

ياسيدي أنضجت اكبادنا حرقاً ... وأنت تخفيك عن آمالنا الحجب
وراودتنا على أفراحنا زمرٌ ... نفوسها الشح بالبغضاء تلتهب

صورة نادرة لمقام الإمام الحجة (عج) في كربلاء المقدسة

وهكذا آشتجر الأفـق الوضئ دمـا ... وراحـت الطرقات السمـر تختضب

فحملق السوء فينـا أيَ حملقـــةٍ ... والسوء مـــابينه مـا آنفك يحتـرب

فلم نـــزل معــه في كل بـــائقـــة ... وآفـةُ الليل في الانـــوار تحتطب

وماآجتمعنا على حق وجاهلنـــا ... فينـــا وأفلت من طلابـــه الطلب

تقاذفتنـــا سياســـات مخـــادعـة ... أبطالهـا في ركاب الظلم قـد ركبوا

وذنبنـــا أننـــا نحن الذين أتى ... بهـم وكان لنـــا من حولهم صخب

وهكذا أوردتنـا البؤس طيبتنـــا ... وأمطرتنـــا من البلوى لها سحب

فنحن من غير قصد أو به أنقلبت ... بنـــا التي لـــم نقـدر كيـف تنقـلب

من ذا يقيم لنـا من أمرنـــا سببـــا ... والحاكمـون لما نشكـوا هم السبـب

أهم المواضيع

الاتجاه اللغوي والقرآني في تفسير الحروف المقطعة
ساجد صباح ميس العسكري

القرآنيات
ص (١٠)

آمن الرسول
الدعاء ميزان الرحمة
أ.م. د. محمد إسماعيل عبدالله
ص (٤٠)

نسخ آيات الموادعة في القرآن الكريم
د. عادل عباس النصراوي

القرآنيات
ص (٢٢)

إضاءات السيرة
السيدة الزهراء عليها السلام والقرآن
أ.م.د خليل خلف بشير
ص (٤٦)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

مع الفقيه
ص (٥٨)

استطلاع مصور
مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية
حيدر الجد
ص (٧٦)

إطلالة على المدارس التفسيرية في النجف الأشرف
المحامي عبدالرزاق أحمد الشمري

قراءات
ص (٨٦)

طروحات عامة
كربلاء الإمام الحسين عليه السلام..أم كربلاء السيد المسيح عليه السلام ؟!
أ.م.د. محمد زوين
ص (٩٨)

كلمة العدد

التيارات المنحرفة بين التأثير والواقع

المشرف العام..... ٨

قرآنيات

الاتجاه اللغوي والقرآني في تفسير الحروف المقطعة

ساجد صباح ميس العسكري..... ١٠

الوصف والمشاهد والأمثال في القرآن الكريم

د. زهير غازي زاهد..... ١٦

نسخ آيات الموادعة في القرآن الكريم

د. عادل عباس النصراوي..... ٢٢

آمن الرسول

المنظور الأخلاقي للتقرب في العبادة

حسين جودي الجبوري..... ٢٨

الاعتكاف واحة العبادة والعشق في أديان السماء

الشيخ حميد البغدادي..... ٣٤

الدعاء ميزان الرحمة

أ.م. د. محمد إسماعيل عبدالله..... ٤٠

إضاءات السيرة

السيدة الزهراء عليها السلام والقرآن

أ.م.د. خليل خلف بشير..... ٤٦

معاني التقوى عند الإمام علي عليه السلام

أ.م.د. عباس علي الفحام..... ٥٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٥٨

في النفس والمجتمع

الاختلاف في الرأي والمنهج وأثره في الحوار

خضير عباس محمد..... ٦٦

معالم التربية الاجتماعية في فكر الإمام الرضا عليه السلام

د. محمد كاظم حسين الفتلاوي... ٧١

استطلاع مصور

مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية

حيدر الجد..... ٧٦

قراءات

إطلالة على المدارس التفسيرية في النجف الأشرف

المحامي عبدالرزاق أحمد الشمري... ٨٦

قراءة في الاتساق الذاتي للقرآن الكريم

هادي عبد الأمير الحيدري..... ٩٠

للفضيلة نجومها

حِجرْ بن عَدِيّ الكِندي

فارس رزاق الحريزي..... ١٠٤

حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام في التاريخ

كريم جهاد الحساني..... ١١٠

واحة الأدب

فاجعة زيد الشهيد رضي الله عنه في الشعر المصري الحديث

د.حسين لفته حافظ..... ١١٤

قصة قصيرة... بركان الوجع

بنت العراق..... ١٢٠

طروحات عامة

بدع ومستحدثات معاوية بن أبي سفيان في الإسلام

الشيخ حسن العيساوي..... ١٢٤

شيخ الخطاطين في عصره الوزير ابن مقلة

حيدر عبد الباري الحداد..... ١٣٠

كربلاء الإمام الحسين عليه السلام..أم كربلاء السيد المسيح عليه السلام ؟!

أ.م.د.محمدزوين..... ١٣٨

حكاية مستبصر..... ٦٢

في الذاكرة..... ٩٦

وقفة مع الذكرى:..... ١٠٠

أجوبة مسابقة العدد (٦٧) وأسماء الفائزين.... ١٤٤

مسابقة العدد (٦٩)..... ١٤٥

التيارات المنحرفة بين التأثير والواقع

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي تعيش فيه أمتنا العظيمة أوج انتصاراتها على الأعداء بما اثبتته للعالم من الالتزام بالقيم الإسلامية الأصيلة نتيجة التضحيات الكبيرة التي قدمها أبناؤها في مختلف ميادين الكفاح والنضال، حتى أصبح العالم ينظر لهذه الأمة بعين الإجلال والاحترام، وعرف من خلالها المبادئ الحقة التي رسمت لهذه الأمة خطاً طال ما أكدته النصوص الشريفة لأهل البيت عليهم السلام، من احترام الآخرين وعدم التعدي عليهم والحفاظ على المثل والأخلاق مهما ضاق الأمر، بل مهما كلّف ذلك من التعب والتضحيات، حتى عكس ذلك الصورة المشرقة الوضاءة للدين الإسلامي بعد تلوث صورته الحيّة بالأفكار الفاسدة والعقائد الضالة المنحرفة، مما أدى إلى خلط الحابل بالنابل ـ كما يقول المثل ـ وضاعت الأوراق ضمن النفايات الفاسدة وامتزجت القيم بالأهواء والشهوات، وما جرّ ذلك من وقوع الفتن العظيمة وإزهاق الأنفس المحترمة وإتلاف الأموال الطائلة، حتى أصبح الدعاة دعاة للشيطان الرجيم لا للدين الحنيف تحكم فيهم الأهواء المنحرفة والشهوات التي لا تقف عند حدّ.

ففي خضم هذه الانتصارات التي حققتها الأمة اليوم نرى أبناءها متأرجحة بين التيارات المختلفة، والدعاوي الفاسدة التي تأخذها ذات اليمين وذات الشمال بين الحين والآخر، محاولة تمزيق الصف وتشتيت الألفة من خلال الضرب على الثوابت الدينية، والتشكيك بالأسس الرصينة التي أحكم قواعدها أئمة الهدى عليهم السلام، فبدلاً من أن يتوجه أبناء هذه الأمة إلى رصّ الصفوف والتماسك الشديد والالتفاف حول المعتقدات السليمة التي أدت بها إلى هذه النتائج المثمرة ـ رغم التضحيات كما أسلفنا ـ بدؤا بحالة من الضعف، وعدم الاستقرار، وبدأ ـ في كثير من الأحيان ـ يدب الاهتزاز العقيدي في نفوس طيف من أطياف هذه الطائفة حتى أصبح هاجساً في نفوس المعنيين والتربويين الذين تهمهم مكافحة التيارات الفكرية وتأثيرها على المجتمع الإسلامي، ومن الملاحظ أن التيارات الفكرية اليوم وقبل اليوم يبدأ تحركها في أوساط المجتمع الإسلامي عندما

يصاب بأزمات سياسية أو اجتماعية وما تخلفه من التركة الثقيلة على المجتمع والفرد، ويبدأ الأياس يسري في الوسط، وتبدأ محاولة سدّ الفراغ الفكري بالالتجاء إلى مثل هذه التيارات، وهي بدورها تلعب لعبة الفأرة والقط وتأخذ الشعارات البراقة نصيبها في الوسط المتأثر، ومن ذلك يبدأ التأثير التدريجي، فقد يحالفها الحظ لتأخذ مداها على المستوى المطلوب، وقد تحدث هنا وهناك متغيرات توجب انكفاءها على نفسها وترجع بالخيبة على وجوه أصحابها والذل. لكن من منطلق الوضع الطبيعي الذي نعيشه اليوم وضمن المعطيات الاجتماعية والدينية المسؤولة عن احتضان الفرد المسلم وفي مختلف الجوانب الحياتية التي يمارسها لا نرى ذلك يعكس قلقاً كبيراً على مستقبل الأمة، وإن أمكن أن يأخذ منها قسطاً من الانحراف الطبيعي الذي يصيب طبقة خاصة هي بالذات معرضة للتأثر والسقوط في مختلف الأزمان، ولا يخاف من أن يدبّ التأثير السلبي على المجتمع لتصبح آفة يصعب التخلص منها وتكون عبئاً ثقيلاً على المعنيين في الجانب التربوي والديني.. لأن الظاهر لو لوحظت النسبة بين المجتمع ككل وبين الفئات المختلفة المتدينة التي تعكس الصورة الواضحة عن المجتمع والتي منها ينطلق توصيفه لكانت الفئات التي نشير إليها ممن يتأثرون بالتيارات المنحرفة قليلة جداً، ولا تعكس واقع القاعدة الاجتماعية لمجتمعنا الإسلامي. نعم لا نعني من ذلك ترك الأمور بحيث نكتفي منها بما تؤثره الأسباب الطبيعية ضمن البيئة الاجتماعية وانعكاس التأثير الديني على الواقع، بل لابد من العمل الجاد والحثيث لوقف التأثير والسيطرة على الشباب الذي يعتبر الأرض الصالحة لتلقي مثل هذه الأفكار الهدامة للفراغ الفكري وطبيعة تأثره بالشعارات البراقة وميله النفسي لكل جديد معتبراً له السبيل الوحيد للخلاص من الأزمة التي يعيشها وإن كانت غير ذات العلاقة، مع العمل الجاد ـ أيضاً ـ لبث الثقافة الدينية وترويج المثل والأخلاق الإسلامية الحقة ومحاولة زرعها في المجتمع ليصعب انفكاكها بعد ذلك. وما هذه الكتب والمجلات الإسلامية التي تزخر بها المطابع ليلاً ونهاراً وما الإعلام الشيعي إلا وسيلة حية لتركيز العقائد وتأكيدها في نفوس الطبقة المشار إليها وهي بدورها ـ كمجموع ـ تعكس الصورة المشرقة لمختلف المفاهيم الدينية وتسهم بشكل كبير في وأد الفتنة والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

■ **المشرف العام**

قرآنيات

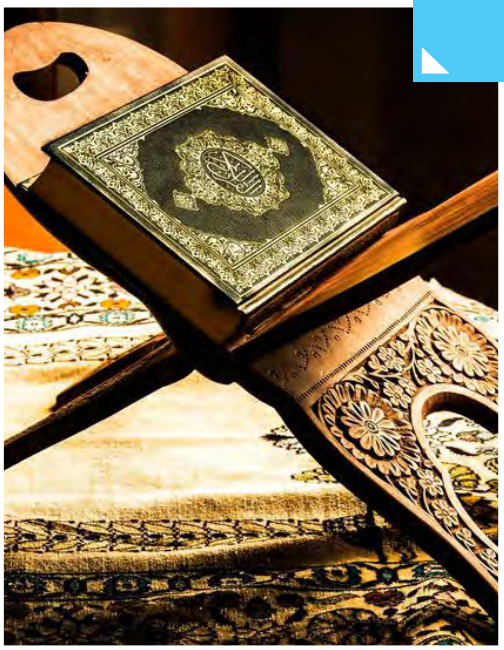

الاتجاه اللغوي والقرآني في تفسير الحروف المقطعة

ساجد صباح ميس العسكري
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

ينابيع

البحثُ في الحروف المقطعة ليس ترفاً فكريًا، وإنما هو البحث عن مقاصد آيات اللّه سبحانه التي دعانا لتدبرها، وقد كُتبت في الحروف المقطعة وخصائصها والأقوال المفسرة لها مجموعة من الدراسات والبحوث، ولم يختلف المفسرون في آية من آيات القرآن مثلما اختلفوا في تفسير الحروف المقطعة لعدم وجود نص قطعي عن المعصوم عليه السلام، لذلك تعددت الأقوال فيها حتى وصلت إلى أكثر من عشرين، بل إنَّ بعضهم أعرض عن تفسيرها وعدّها من المتشابه الذي أختص اللّه بعلمه ويجب التوقف فيه، وفي ذلك مخالفة صريحة لآيات القرآن الكريم الداعية إلى التدبر والتفكر، الأمر الذي جعل هذا القول محل رفض من قبل أكثر المفسرين.

ولتفسير الحروف المقطعة اتجاهات تفسيرية عديدة منها الاتجاه الروائي، ومنها الاتجاه الاجتهادي، ومنها اللغوي، ومنها القرآني، وتحت كل واحد منها أقوال عديدة، اقتصر البحث على أتجاهين هما: الاتجاه اللغوي، والاتجاه القرآني، اختصاراً بما يناسب المقام.

الاتجاه اللغوي:

اعتمد هذا الاتجاه على المرجعيات اللغوية، وافترض أن لكل حرف مرجعية لغوية تنبئ عن معنى معين لتلك الحروف، وجاء تحته قولان هما:

طسم

ص
ق
المر
ن
المص
كهيعص
يس
طس
حم
الم
الر
طه
حم
عسق

أولاً: المرجعية اللغوية بلغة العرب:

واستدل أصحاب هذا الاتجاه على قولهم إن القرآن نزل على قريش وهم أهل فصاحة وبلاغة ولو لم يكن لتلك الحروف مرجعية لغوية لاحتجوا بأنه كلام ليس له معنى ولم يسلموا بفصاحته وبلاغته واعتبروا أن تلك الحروف لها مداليل لغوية، إذ قالوا: (**ألم * ذَلِكَ الْكِتَابُ**) أشار بهذه الحروف الثلاثة إلى كل الوجود من حيث هو كل لأنّ (أ) إشارة إلى ذات الذي هو أول الوجود على ما مرّ. و(ل) إلى العقل الفعّال المسمى جبريل وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى، و(م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود تتم به دائرته وتتصل بها)[١].

ويمكن أن يرد عليه بما يأتي:

١) إن هذه الأقوال غير قائمة على دليل.

٢) إن هذه الحروف يمكن أن تكون لها معاني إجمالية، والعربي آنذاك يعرفها ولا يعرف تفصيلاتها وبذلك لا يكون في القرآن ما لا يمكن فهمه وليس بالضرورة أن تكون لها مرجعيه لغوية حتى يكون معجزًا.

٣) لو رجعنا إلى معاجم اللغة لما وجدنا لهذه الحروف معنى، فهل يُعقل أن تترك المعاجم الألفاظ العربية في القرآن الكريم دون ذكر لمرجعيتها اللغوية، وفي مقابل ذلك تدون من الألفاظ حتى المعرّب والدخيل.

ثانياً: إن لها مرجعية لغوية بغير لغة العرب

يرى البعض أن هذه الحروف من الألفاظ غير العربية التي وردت في القرآن الكريم، فإن أصحاب هذا القول يرون أن في القرآن الكريم ألفاظ غير عربية (استبرق) بلغة العجم و (أكواب) بلغة النبط و(أباريق) بالفارسية و(أسفارا وعدن) بالسريانية و(الربانيون) باللغة العبرانية[٢] وقالوا إن الحروف المقطعة نزلت باللسان السرياني وأن لكل حرف منها معنى باللغة السريانية، فقالوا: (لو علم الناس معنى (ص) والسرّ الذي يشير إليه ما اجترأ أحد على مخالفة أمر ربه أبدًا)[٣]، وقالوا أيضًا: (إن اللغة السريانية هي لغة الأرواح، وبها يخاطب الأولياء من أهل الديون فيما بينهم لاختصارها وحملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى)[٤]، وقالوا أيضًا: (إن اللغات كلها مطنبة بالنسبة للسريانية لأن الكلام في كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية وفي السريانية يتركب من الحروف الهجائية، فكل حرف هجائي في السريانية يدل على معنى مفيد)[٥].

ويرد عليه بما يـأتي:

١) لو كان القرآن مالا يفهمه العرب لكان تحدي القرآن لهم بغير المقدور والتكليف بغير المقدور قبيح عقلًا وحاشا لله أن يكلف أحدًا ما لا يستطيع، وكون بعض القرآن بالسريانية فهو تحديهم بغير المقدور؛ لأن القرآن يخاطبهم بغير لغتهم، ولهذا المعنى أشار القرآن بقوله: (**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**).

٢) لا يوجد في القرآن الكريم لفظة واحدة غير عربية أو غير معربه فكل ألفاظه إما عربية أصلاً أو معربة قبل نزول القرآن الكريم ونزل بها القرآن بعد تعربها، فإن اللغات وبسبب الاحتكاك الحضاري تقترض بعض الألفاظ من اللغات الأخرى وتعربها لتكون جزءًا من منظومتها اللغوية

(فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه)[٦].

فالقرآن وإن كان فيه ألفاظ غير عربية لكنها معربة قبل نزول القرآن الكريم واختار هذا الرأي أكثر المتأخرين؛ لأنه يحفظ للقرآن عربيته وللألفاظ أصولها.

الاتجاه القرآني:

ويرجع إلى القرآن في فهم معنى الحروف المقطعة؛ لأن الحروف المقطعة من المتشابه الذي لابدّ من ارجاعه إلى المحكمات ليكون بيّناً وتحته أقوال منها :

أولاً: الارتباط بين الحروف المقطعة ومضامين السورة ويذهب إلى هذا الرأي السيد الطباطبائي وبعض الباحثين المعاصرين، فأصحاب هذا القول يرون أن هناك ارتباط وثيق بين الحروف المقطعة ومضامين السور المفتتحة بالحروف نفسها، يقول السيد الطباطبائي: (ثم إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور. ويؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتتح الحواميم من قوله: (**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ**) أو ما هو في معناه، وما في مفتتح الراءات من قوله: (**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**) أو ما هو في معناه، ونظير ذلك واقع في مفتتح الطواسين، وما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب أو ما هو في معناه. ويمكن أن يحدس من ذلك أن بين هذه الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطًا خاصًا، ويؤيد ذلك ما نجد أن سورة الأعراف المصدرة بـ (المص) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات وص، وكذا سورة الرعد المصدرة بـ(المر) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والراءات...)[٧]، ثم يعقب على ما يقول في تفسير تلك الحروف قائلاً: (ويستفاد من ذلك أن هذه الحروف رموز بين الله سبحانه وبين رسوله ﷺ خفية عنا لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور ارتباطًا خاصًا...)[٨]، ويؤيد ما ذكره السيد الطباطبائي أحد الباحثين المعاصرين فقد استعان بالعقل الالكتروني ولمدة ثلاث سنوات ليتوصل إلى حقائق تثبت وجود علاقة بين الحروف المقطعة وبين حروف السورة التي تصدرت بالحروف المقطعة ومن ذلك ما وجده في الحرف (ق) فإن أكثر نسبة لهذا الحرف في سورة (ق) وإن نسبة حرف (ص) في سورة (ص) أكثر من غيرها... وهكذا[٩].

ثانياً: إنها جاءت للدلالة على التحدي بدلالة ما بعدها غالبًا ذكرًا للقرآن الكريم أو ما يتعلق به مثلًا: (**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**) (البقرة: ١-٢)، وقوله تعالى: (**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**) (يونس: ١، يوسف: ١، الحجر: ١) ومفاد هذا التحدي أن القرآن الكريم مركب من هذه الحروف التي عجزتم أن تأتوا بسورة من مثله، وذهب إلى هذا الرأي الكثير من أهل اللغة والتفسير قديماً وحديثاً فمن اللغويين الخليل وأبو علي الفارسي وقطرب والمبرد والفراء والزجاج[١٠]، ومن المفسرين الطبرسي[١١]، والطوسي[١٢]، والزمخشري[١٣]، والرازي[١٤]، والراغب

الأصفهاني[١٥]، وغيرهم، وقال القرطبي (هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم)[١٦]■

١- تفسير القرآن: ابن عربي، في تفسير الآية (ألم* ذلك الكتاب).
٢- يُنظر: الإتقان: السيوطي: ١/ ٢٧٣ وما بعدها.
٣- الأبريز: أحمد بن المبارك المالكي: ١٩١.
٤- المصدر نفسه: ١٨٢.
٥- المصدر نفسه: ١٨٣.
٦- المحرر الوجيز: ١/ ٥١.
٧- الميزان: ١٨/ ٩.
٨- المصدر نفسه: ١٨/ ٩.
٩- يُنظر: تفسير الأمثل: ٢/ ٢٣٣- ٢٣٥.
١٠ - يُنظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٥، ووجوه الإعجاز والتحدي: فهد الرومي: ٢٥.
١١ - يُنظر: مجمع البيان: ١/ ٧٧.
١٢ - يُنظر: التبيان: ١/ ٤٨.
١٣- يُنظر: الكشاف: ١/ ٩٥- ٩٧.
١٤ - يُنظر: تفسير الرازي: ٢/ ٨.
١٥- تفسير الراغب: ١/ ٤٠٣.
١٦- تفسير القرطبي: ١/ ١٥٥.

فضل صوم شهر شعبان

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تذاكر أصحابه عنده فضائل شعبان، فقال: شهر شريف وهو شهري وحملة العرش تعظمه وتعرف حقه، وهو شهر زاد فيه أرزاق العباد لشهر رمضان وتزين فيه الجنان، وإنما سمي شعبان لأنه يتشعب فيه أرزاق المؤمنين، وهو شهر العمل فيه يضاعف الحسنة بسبعين، والسيئة محطوطة والذنب مغفور والحسنة مقبولة، والجبار جل جلاله يباهي به لعباده وينظر إلى صُوّامِه وقُوّامِه، فيباهي بهم حملة العرش.

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صف لنا شيئا من فضائله لنزداد رغبة في صيامه وقيامه ولنجتهد للجليل عز وجل فيه، فقال صلى الله عليه وآله: من صام أول يوم من شعبان كتب الله له عز وجل سبعين حسنة الحسنة تعدل عبادة سنة.

(ثواب الأعمال/ الشيخ الصدوق/ ص٨٦)

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام تسمى الخطبة القاصعة

(....فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِه، وأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِه وأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِه ورَجِلِه، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ : (رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَه بِه أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَه الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْه فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُه عَلَيْكُمْ، ودَلَفَ بِجُنُودِه نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وأَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ وسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ، إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً، وأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ، فَاجْعَلُوا عَلَيْه حَدَّكُمْ ولَه جِدَّكُمْ، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، ووَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ودَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وأَجْلَبَ بِخَيْلِه عَلَيْكُمْ وقَصَدَ بِرَجِلِه سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ويَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ولَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ وحَلْقَةِ ضِيقٍ، وعَرْصَةِ مَوْتٍ وجَوْلَةِ بَلَاءٍ، فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ، مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِه ونَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه، واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، واتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وجُنُودِه، فَإِنَّ لَه مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وأَعْوَاناً، ورَجِلًا وفُرْسَاناً، ولَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّه مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَه اللهُ فِيه سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِه مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ونَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِه مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَه اللهُ بِه النَّدَامَةَ وأَلْزَمَه آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ....)

(نهج البلاغة/ ص٢٨٩)

قرآنيات

الوصف والمشاهد والأمثال في القرآن الكريم

د. زهير غازي زاهد
الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف

ينابيع

القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، لكنه استوعب كل ألوان التعبير الفنية لدى العرب في آدابهم، وزاد عليها من الأساليب الفنية في الأداء والسرد القصصي بما فيه من الإبلاغ والتأثير في متلقيه، كما جاء فيه من الوصف لأهل الدنيا والآخرة وضرب الأمثال بما يوحي بما لا يخالطه شك من أن هذا ليس بكلام بشر، وإنما هو وحي يوحى من لدن عليم خبير، لأن هذا الاتساع الكوني في الحديث والوجود، والتعبير عن المخلوقات من الملائكة والإنس والجن والحيوان والزرع والثمار والحياة والموت، ثم خلق الأرض والسماء وتزيينها بالنجوم الثواقب، هذا الحديث لا يصدر إلاّ عن خالق السماوات والأرض، سبحان الله عما يصفون وكل ذلك يعبر عنه بصور ماثلة في ذهن المتلقي وبأمثال يتداولونها في حياتهم أو يحسون بها في حياة الأقوام والأمم قبلهم.

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت ٩ – ١١)

ونذكر وصف قدرته تعالى في سورة الرعد، الذي رفَعَ السموات بغير عَمَد ثم استوى على العرش، وصف بتعبير فني متسلسل بكلمات تدخل القلب قبل الأذن متناسقة في تراكيبها ومشرقات بدلالاتها

(اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)

(فصلت ٩ — ١١)

فيهَا زَوْجَيْن اثْنَيْن يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الرعد ٢-٣)

هذه الآيات الكونية التي أوجدها الله تعالى: خلقه السماوات ورفعها بغير عمد وتسخيره الشمس والقمر (كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى) (لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس -٤)ثم (هُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) أي جعل فيها جبالا لتتوازن (وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ..) كل ذلك من خلقه ونظامه ومع ذلك يحصل شك بقولهم: (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ..)

وبعد وصف هذا الشك بالكفر بربهم يذكر هؤلاء الذين يشكون ويستعجلون السيئة قبل الحسنة أنه حصل قبلهم أمثالهم (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ) وهي جمع مَثُلة أي حالات أمثالهم لكن (رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) (الرعد – ٦)

وبعد ذكره قول الشاكين يعود إلى ذكر صفاته تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) (الرعد ٩ – ١١)

وبعد ذكره الحكمة الخالدة (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وهي موجهة للمشككين بعد أن بين لهم قدرته تعالى وآياته في الأرض والسموات عاد إلى أوصافه تعالى (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ * لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ) (الرعد ١١ – ١٤)

فهم بذلك لا يرجون شيئًا من توجههم لغير الله فهم كمن يريد شرب الماء بكفين مفتوحتين، إذ هم اتخذوا من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فهم بجعلهم لله شركاء، ضالون يساوون بين الأعمى والبصير وبين الظلمات والنور: (هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)(١٦)

ثم يأتي المثل الآخر، الحكمة في هذه الآيات قوله تعالى: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)(-١٧)

وتستمر صفاته وآياته والمشاهد المختلفة في القرآن الكريم لتذكير الناسين مرة ولعظة المعاندين أخرى ومرة لتسلية رسوله الكريم مما يلاقيه من الجاحدين قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان ٤٣ – ٤٤)

ثم يستمر في ذكر آياته في خلق الأرض وما في الكون من ظواهر (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) (الفرقان– ٤٥)

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان ٤٧-٤٨) ثم يقول: **(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا*وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)** (الفرقان ٥٣-٥٤)، ومع كل هذه الآيات الكونية والأرضية لله تعالى نجد الكافرين يبقون عميًا عن كل ذلك: **(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا)** (الفرقان-٥٥)، لذلك يكون مشهدهم يوم يرون جزاءهم فيعودون بالحسرة والندم: **(وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا* وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً)** (الفرقان٢٥- ٢٩)

هكذا وصف مشهد الكافرين حين رأوا مصيرهم كيف غرقوا في ندمهم وأسفهم على ما فرطوا من أمرهم.. جاء بأسلوب فني عال وبمجازات آسرة للذوق والفكر.

ومما وصف به الكفار والمنافقين وصفًا يروع من يقرأ إيقاعاته، ويتصور صوره البلاغية العالية وأداءها بأسلوب إعجازي تحدى العرب فتضاءلت فصاحتهم وقدراتهم تجاهه قال تعالى في سورة البقرة: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)** (٦ - ١٢)

وبعد هذا الوصف ضرب لهم المثل بمن استوقد نارا **(فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ)** (البقرة-١٧)، فهم تائهون ضالون لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى فيصيبهم الخسران وعدم الهداية.

ثم خاطبهم بـ **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ)** وهو خطاب عام **(اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ..)** فقد مهد لهم الأرض وجعلها فراشًا ورفع السماء وأنزل المطر فأنبت الأرض زرعًا وثمرات لحياتهم ورفاههم، ونهاهم عن عبادة غير الله **(فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)** ثم تحداهم وخيرهم ليكونوا على هدى أو يبقون على ضلالهم ليلقوا جزاءهم بقول: **(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَنْ تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)** (البقرة: ٢٣ – ٢٤)

وهذا مشهد آخر فيه تنبيه وتهديد، ووصف لحالة من لا يتقون ربهم ويصرون على عنادهم وكفرهم، بدايته خطابه للناس كافة، ووصف ناطق لما يكون لمن لم يؤمن **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)** (الحج ١-٢)

ثم يعيد الخطاب بعد ذكر من يجادل في الله (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ**) (الحج -٣)

يوجه لهم الخطاب (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ...**) (الحج – ٥)، (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ**) (الحج ٦، ٧)

ثم نقرأ في (سورة النبأ) وصفًا وصورًا جميلة لما خلق الله للإنسان من نعم ثم بعد هذه القطعة من الوصف وألوانه الزاهية (**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**) وتستمر هذه اللوحة الزاهية من الصور القرآنية حتى إذا وصلنا الآية الثامنة عشرة يأتي المشهد المريع للساعة التي ينفخ في الصور: (**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّاغِينَ مَآبًا...**)

وهكذا يستمر المشهد حتى الآية (٣٠) بعبارات واضحة قصيرة لكنها ترسم للمتلقي صورًا مجسدة في أفقه حتى ليكاد يسمع إيقاعات موسيقى الكلمات أصواتًا تملأ عالمه وتذهل فكره.

ثم يعود المشهد من الآية (٣١) إلى رسم ما للمتقين من جزاء وحياة مع التوكيد في أول عبارة فيها: (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذَّابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا**) ويستمر الوصف حتى ختام السورة بقوله تعالى: (**إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**) (– ٤٠)

ويتكرر المشهد في (سورة الحاقة) إذا نفخ في الصور وما يكون من مشهد الأرض والسماء وحساب البشر فمنهم من أوتي كتابه بيمينه فيفوز بعيشة راضية، ومن أوتي كتابه بشماله فيجزع ويأسف لما قصر في أمر نفسه فلم يغن عنه ماله ولا سلطانه في الدنيا إذ لم يلق الإنسان إلا عمله وتقواه وصوالح أعماله في الدنيا من الآية (١٣)

(**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**) (١٣ – ٢٤)، ثم يبدأ مشهد من أوتي كتابه بشماله (**فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**) (– ٢٥)، ويظهر ندمه وأسفه على تقصيره في ذات الله وفي ذات نفسه، فيظهر حسرته حتى يرى المشهد الزاهي للمتقين، وهو يقاد إلى الجحيم بسلسلة ذرعها سبعون ذراعا لأنه (**كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**) (٣٣ – ٣٤)

وهذه المشاهد التي تصور قيام الساعة وحال الناس في ذلك اليوم، كل منهم يلاقي عمله في الدنيا فيجزى على ما عمل يوم لا يسأل الإنسان إلاّ عن عمله، فلا شفيع له غير عمله وما قدمه في حياته من التقوى والخير وخدمة المجتمع وما تطلبه منه عقيدته التي أوضحها له القرآن الكريم ونبيه وأئمته الطاهرين فذلك اليوم:

(**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمئذ ببَنِيه * وَصَاحبَته وَأَخِيه * وَفَصِيلَته الَّتِي تُؤْوِيه * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه * كَلاَ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى**) (المعارج آية ٨ – ١٨)

فالمشاهد القرآنية يأتي وصفها في الآخر بعد أن يبدأ الإنذار والتنبيه لها في الدنيا، فالحياة الراضية تكون لمن يسلك في حياته سلوك المؤمن الخالص الإيمان، ومصير الندم في الآخرة لمن جادل في الله من غير علم، وانحرف عن الصراط المستقيم في حياته.

الأمثال في التعبير القرآني

جاءت الأمثال في القرآن الكريم لمناسبات مختلفة، جاءت للتذكير وللعظة والتنبيه ولإشاعة الوعي بين الناس بصور الحياة المختلفة من عسر ويسر، وبأن الحياة لا تكون على صورة واحدة، وإنما يقلبها الله ويغيرها، بحسب حاجة البشر من الخبرة وشكر الرحمة وعدم الطغيان في الحياة، لأنها لا تدوم لأحد ولن يستطيع أحد إدامتها على ما يشتهي، قال تعالى: (**وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (إبراهيم – ٢٥)، وكثير من هذه الأمثال متداولة صورها بينهم وعلى ألسنتهم أو يكون لها أثر وتأثير في نفوسهم حين تبدو صوراً في أذهانهم عند إبلاغهم بها.

وقال: (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**) (الكهف – ٥٤)

لقد مثل لمن يدعون من دون الله، وليس لدعواه صدى ولا سامع، ويبقون يدعون من دون أن يسمعهم أحد ولو ظلوا طول حياتهم. قال تعالى: (**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**) (الرعد-١٤)، وكذلك مثل لمن يدعون من دون الله بقوله: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**) (الحج - ٧٣)

وفي المعنى نفسه مثل آخر في قوله تعالى: (**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) (العنكبوت - ٤١)

وضرب مثلاً للكلمة الطيبة بأنها تثمر وتبشر الخير قائلاً: (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (إبراهيم ٢٤-٢٥)

هذه الأمثال التي فيها سرد متسلسل وحوار قصصي تكثر في القرآن الكريم إلى جانب الأمثال القصيرة التي هي حكم وعظات تهدي وتعظ الأحياء ليتدبروا أمرهم ويبتعدوا عن كل ما يبعدهم عن الحق والإيمان.

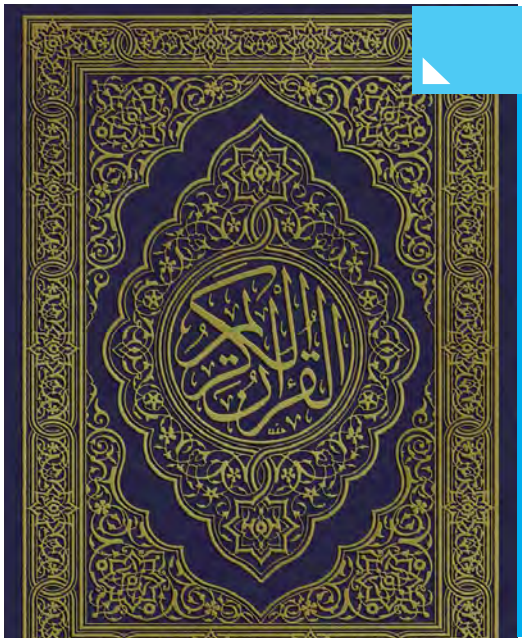

قرآنيات

نسخ آيات الموادعة في القرآن الكريم بين الحقيقة والوهم دراسة في بعض الآيات

د. عادل عباس النصراوي
كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

ينابيع أخذت موضوعة النسخ في القرآن الكريم أهمية كبيرة لما لها من أثر في توجيه دلالات بعض الآيات، إذ ذهب قسم من العلماء إلى أنّ بعض آيات القتل والقتال من نحو آية السيف وغيرها قد نسخت مجموعة من الآيات التي تدعو إلى الموادعة والسلام والتسامح بين الناس على اختلاف أديانهم وعقائدهم، حتى قيل إنّ آية السيف لوحدها قد نسخت ١٢٤ آية من تلك الآيات وبدا الدين الاسلامي وكأنّه يدعو إلى قتل كل من لم يتخذ منه دينًا له وخاصةً بعد نزول سورة براءة، لكن لو نظرنا إلى هذه الآيات بنظرة فاحصة وبتدّبر نجد فارقاً بين آية النسخ ومنسوخاتها من حيث الموضوع أو زمن النزول أو غيرها ممّا يوّقع التنافي بينهما ومن ثم يسقط القول بوقوع النسخ، وإليك هذين المثالين:

١- قال تعالى: (**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(البقرة: ١٠٩).

عَدَّ قسمٌ من العلماء هذه الآية منسوخة، منهم قتادة إذ ذهب إلى أنّ ناسخها قوله سبحانه (**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**) (التوبة: ٢٩)، وقال: (نَسَخَت هذه الآية ما كان قبلها وأُمرَ فيها بقتال أهل الكتاب حتى يُسْلموا أو يُفدوا بالجزية)[١]،وإلى هذا ذهب كُلٌّ من النحاس وابن سلامه ومكي وابن الجوزي والعتائقي[٢] وغيرهم.

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(البقرة:١٠٩)

ونقل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أنّ الآية منسوخة عن كثير من العلماء بإسناد صحيح حيث قال: (هذا إسناد صحيح، ولم أره في شيء من الكتب الستة، ولكن له أصلٌ في الصحيحين عن أسامة بن زيد)[٣]، فيما ذهب الزركشي (ت ٧٤٩هـ) إلى أنّ قوله سبحانه (**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**) (التوبة:٥) هو الناسخ للآية[٤].

بيد أنّ هناك من ذهب إلى عدم نسخها، منهم ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، وعلّل ذلك بكون الحكم المحدود إلى غاية لا تكون ناسخة له[٥]، بمعنى أنّ الأمر المحدّد بزمانٍ تخصيصٌ، وهذا ليس بنسخ عنده[٦].

فيما علل السخاوي (ت٦٤٣هـ) عدم نسخها بكونها محكمة، والمحكم لا يُنسخ، حيث قال: (ومتى كان للخطاب طريق في الحكم بأنّه محكم كان أوْلىَ من حمله على أنّه منسوخ، نحو قوله عز وجل (**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**) (البقرة: ١٠٩) فَحملُ هذا على أنّهُ محكَمٌ أَوْلى)[٧].

ومن المعاصرين الإمام السيد أبو القاسم الخوئي (رحمه الله تعالى)[٨]، إذ ذهب إلى بطلان النسخ فيها لأنّ نسخها قد توقّف على الالتزام بأمرين فاسدين، هما:

الأول: أن يكون ارتفاع الحكم المؤقت بانتهاء وقته نسخاً، وهذا لا يُعدُّ منه، لأنّ النسخ إنما يكون في الحكم الذي يصرّح فيه لا بالتوقيت، ولا بالتأبيد، أي أنّ النسخ هو رفع الحكم الثابت الظاهر بمقتضى الإطلاق على الدوام وعدم الاختصاص بزمان معيّن.

الثاني: أن يكون أهل الكتاب أيضاً ممن أُمرَ النبيُّ ﷺ بقتالهم، وذلك باطل، لأنّ الآيات الآمرة بالقتال إنما وردت في قتال المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر.

وأرى أنّ هذه الآية المباركة غير منسوخة، وذلك لما سنستدل به على ذلك:.

١- إنّ موضوعها يختلف عن موضوع آيتي القتل والسيف، وذلك أن المنسوخة تختصّ بالكفار من أهل الكتاب حصراً، ويُعضّد ذلك سببُ النزول الذي نقلهُ كثير من المحققين، فمنهم من قال: أنها نزلت في كعب بن الأشرف اليهودي، وكان شاعراً وكان يهجو النبي ﷺ و يحرِّض عليه كفّار قريش في شعره فضلاً عن أذى بعض اليهود له ﷺ حين قدومه المدينة[٩]، فيما نقل الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنها نزلت في نفرٍ من اليهود دعوا حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر بعد وقعة أُحد إلى الرجوع إلى ما كانوا عليه من الشرك بعدما أصابهم في أُحد، فأبوا ذلك[١٠]، في حين ذهب الطبرسي (ت٥٤٨هـ) إلى أنّها نزلت (في حُيَي بن أخطب وأخيه ياسر بن أخطب، وقد دخلا على النبي ﷺ حين قَدِمَ المدينة، فلمّا خرجا قيل لحُيَي: أهُوَ نبي، قال: هو هو، فقيل ما عندك؟ قال: العداوة إلى الموت، وهو الذي نقض العهد وأثار الحرب يوم الأحزاب)[١١].

فرغم التباين البسيط في سبب النزول إلاّ أنّها تتوحّد في نزولها بالمدينة فيما بعد معركة أُحد، وهي خاصة بنفرٍ من كبار اليهود فيها، لا بالمشركين – كما هو في آية السيف أو غيرها ممّا ذُكرَ بأنّها ناسخة – فتباينُ موضوعي الآيتين يأخذ بأيدينا إلى القول بعدم النسخ، لاختلاف الموضوع.

٢- لغة النص ومعناه ودلالته، إنّ تماسك النصّ يوجّه بكثير من الدلالات القاطعة

على رفع النسخ فَوُدُّ أهل الكتاب برجوع المسلمين إلى الشرك هو حالة طبيعية وكذلك الأمر بالنسبة إلى المسلم فأنّه يودّ لو يصبح أهلُ الشرك مسلمين، غير أنّ الودّ المكتوم في القلب لا يمكن محاسبة الفرد عليه، لكن عندما يصبح حالة واقعية مقترنة بالدعوة، عند ذاك سيكون مناسباً لأصل الاتفاق بين المسلمين واليهود، إلاّ أن العقوبة لا تصل إلى حدّ القتل في كل الأحوال، لأن مثل هذه العقوبة لا تكون إلاّ لقتل سابق، لقوله سبحانه (**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى**) (البقرة:١٧٨).

فضلاً عن ذلك أنّ الله تعالى أمر النبي والمسلمين بالعفو والصفح، ولم يكن المسلمون آنذاك ضعفاء عند رجوعهم من معركة أُحُد قياساً لليهود، بل كانوا بمستوىً من القوة تُهابَ من غيرهم، وقد دَلّ النصّ القرآني على ذلك، إذ إنّ دلالة العفو في الآية المباركة جاءت بمعنى الشرك، وقد يكون ذلك عن غير استحقاق للمعفوّ عنه[١٢]، وكذلك الصفح (معناه العفو، يُقال: صفحتُ عن ذنب فلان، وأعرضتُ عنه فلم أُؤاخذه، وضربتُ عن فلان صفحاً إذا أعرضتُ عنه وتركته، فالصَفوحَ في اللغة: العفُوُّ عن ذنوب العباد مُعْرِضاً عن مجاراتهم بالعفوية تكرُّماً)[١٣]، ولَماّ كان العفو والصفحُ ترك إنزال العقوبة بالمذنب من غير استحقاق له، أو هو تكرّمٌ من الذي يعفو عن المعفوّ عنه، فإنّ ذلك يشير إلى شرفه وذلّة المعفوّ عنه، وهذا الأمر مما يدفع بنا إلى القول إنّ المسلمين كانوا هم الأقوى لا اليهود في المدينة المنورة بعد معركة أُحد.

إذن، الصورة اللغوية للنص قد مثّلت الحال خير تمثيل، ولمّا كان المسلمون أقوياء، فهم قادرون على محاسبة اليهود بما يستحقونه، وخاصة أنّهم نكثوا العهد مع الرسول ﷺ فلا حاجة لنزول أمر بقتالهم، بل أنّ إرداف الأمر بالعفوِ والصفح في قوله سبحانه (**حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**) إنّما دلّنا إلى عدم إشاعة سياسة القتل، ولو أراد أن يُنظّم المسلمون حياتهم بعد انكسار جيشهم في أُحد، فلا بُدّ من مراجعة عامة لتلك الواقعة وترميم البيت المسلم، وإنّ قتال اليهود آنذاك ربّما يقلق الحالة الأمنية، أو ربّما يُبعدهم عن دخول الإسلام، في حين أنّ دخولهم فيه سيعمل على تقوية شوكة الإسلام، لذلك فإن أمره تعالى ـ وإن جاء مخفياً ـ لا يعني ـ في أيّ حال ـ أمراً بالقتل، كي تكون الآية منسوخة بآيةِ القتل أو آية السيف التي ذُكرت سابقاً.

٢- قوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة:٨٣)

قيل أنّ هذه الآية منسوخة بقوله سبحانه (**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**) (التوبة: ٦)، فقد ذكر قتادة ذلك وعدّها من منسوخات آية السيف[١٤]، وذكر ذلك أيضاً النحاس وابن خزيمة وابن سلامة والطبرسي وغيرهم[١٥]، بينما نجد أكثرهم يذهب إلى عدم نسخها منهم الإمام محمد الباقر عليه السلام وذكر ابن العتائقي ذلك بقوله:(قال الباقر عليه السلام وعطاء بن أبي رباح هي محكمة)[١٦]، ويرى أبو جعفر النحاس عدم نسخها كون الآية من الفرائض، واستدل بذلك على مجموعة من الآيات، فصحّ عنده (انّ الآية غير منسوخة، وأنّ المعنى (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) ادعوهم إلى الله)[١٧]، أما السخاوي فهو الآخر لم يعدّها من

المنسوخات ولا يصحّ عنده ذلك لأنها من الأوامر والنواهي[١٨]، وكذا الحال عند أبي حيان الاندلسي إذ لا يرى في الآية نسخاً حيث يقول: (روي عن قتادة أنّ قوله (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) منسوخ بآية السيف، وهذا لا يتأتى إلاّ إذا قُلنا إنّ المخاطَب بها هذه الأمة)[١٩]، فيما ذكر أيضاً ما يراه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وذكر أنّ قوله هو الأقوى[٢٠].

هذه مجمل الأقوال فيها، وقد تضاربت بين نسخ الآية وعدمه، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى فهم دلالة النص، وما يفرزه السياق العام، فضلاً عن القرائن الحاكمة في توجيه الدلالة لعموم النص.

إذ ابتدأت الآية المباركة بخطاب عموم بني إسرائيل لا غيرهم، فهو خطاب خاصٌ بهم حين ذكرهم من دون غيرهم، كما أنه (تعالى اسمه) لم يَقُل (اليهود)، بمعنى أنّ الخطاب كان موجّهاً لعموم مَنْ انتمى لهم سواء أكان المخاطَب يهودياً أم ممن دخل منهم في الإسلام، ثم استثناهم من خطابه هذا، لذلك لم يكن خطاباً عاماً للمسلمين.

ولعل الذي يأخذ بأيدينا إلى ذلك، أنّ الآية المباركة كانت خبراً عماّ أُخذَ من ميثاق على بني اسرائيل، بأن يعبدوا الله تعالى لا غيره، حين قال (**لا تعبدون إلاّ الله**) وأصبح الخطاب بعد ذلك بما يشبه الأمر، لأنّه حين ابتدأ بقوله: (**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**...) لم يظهر الفعل، وقد يُراد من ذلك التوسعة في دلالة الإحسان للوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين لأجل إحكام الروابط الاجتماعية وتماسك لحمة المجتمع، ولو حدّد الفعل لاقتصرت الدلالة عليه، ففي الحذف اتساع في الدلالة لتشمل كل أعمال الخير اتجاه المذكورين ولعلّ أكثر المفسرين قدّروا الفعل (أحسنوا) أو غيره، وأجد أنّ في ذلك تخصيصاً لنوع الإحسان أو تأكيداً له، وهذا قصور في الدلالة، في حين أنّ القرآن الكريم قد بُنِيَ على الاتساع والكثرة في الدلالة، مع قلة في الألفاظ المؤدية إلى كل ذلك.

لهذا السبب لا يمكننا تحديد نوع الخطاب أهو إخبار أو إنشاء، لكن الذهن يرجحّ أنّ الجملة خبرية ودالة على الطلب المفضي إلى الالتزام بحكم الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل.

بيد أنّ الخطاب بعد ذلك يعدل إلى الطلب والأمر، حين نقول: (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**) فابتداء الجملة بفعل الأمر الموجّه لبني اسرائيل بالتحديد، وليس لغيرهم وهذا الطلب قد ناسب الذي قبله بعدم تحديد الإحسان، بقصد التناسب إلى عدم تحديد القول بمعنى محدّد له، إذ لو أراد لقال (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**) ـ بفتح السين ـ غير أنّ هذا التحديد لا يعمل تجانساً مع عدم تحديد الإحسان، لذلك عدل عن القول الحَسن الموصوف بالاسم إلى القول الموصوف بالمصدر (حُسْن) لأجل أن يكون القول مستوعباً لجميع أنواع الحُسن الذي يستوعبه المصدر وهذا مما ناسبَ عدم تحديد الإحسان.

إنّ مجيء (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**) بهذا الاتساع المقترن بالطلب يُوحي إلى أمر آخر غاية في الأهمية يدفع كون الآية منسوخة، وذلك أن بنية الطلب هذه بنية غير ساذجة، لأنّها تجاوزت أصل بناء الجملة العربية في أصل الوضع إلى بنية سطحية تحمل على عاتقتها دلالة عليا تجاوزت أصل النص النافي لوقوع الحُسن

أثناء الطلب والمطالبة به أثناء الخطاب، لأنّ بنية الطلب في حقيقتها تمثل استدعاء مطلوب دلالي واضح لا يكون حاصلاً وقت الطلب[٢١]، أي أنَّ حُسْن القول للناس لم يكن موجوداً أثناء إنزال هذا النص المبارك وهذا الذي قال به الإمام محمد الباقر عليه السلام: (أي قولوا لهم: إنَّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول اللّه)[٢٢]، وخطاب موجّه إلى زعماء بني اسرائيل ممّن لهم علم بذلك، وجاء الطلب به بعد نكث العهود والمواثيق من اليهود، وعليه فأنَّ هذا الخطاب كان لعموم بني اسرائيل لا إلى غيرهم، وقد استثنى القلة ممنِ أسلم منهم[٢٣].

لذا فإنّ آية السيف التي تخاطب المسلمين بقتال مَن أشرك باللّه لم يكن موضوعها منطبقاً على فحوى هذه الآية التي تُخاطب بني إسرائيل عامة ولو كانت آية السيف تطابق هذه الفحوى لما استُثني الذين آمنوا من بني اسرائيل بالإسلام، ولو كان كذلك لكان الخطاب عاماً، ولصحَّ وقوع النسخ فيها وهذا لا يمكن أن يُرى في كل ذلك.

إذن، لم تكن آية السيف ناسخة لقوله سبحانه (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) لما قدّمنا من عدم تطابق المَوضوعين، وأنَّ الخطاب فيها موجّه إلى بني اسرائيل، ولا يختصّ بأيّ من المسلمين سواء أكانوا من عامة العرب أو من بني اسرائيل الذين دخلوا الإسلام، لذلك لم تُعُد آية السيف ناسخة لها■

---

١ - الناسخ والمنسوخ / قتادة: ٣٣

٢- ظ: الناسخ والمنسوخ/ النحاس: ٢٧، ابن سلامة: ٣٧ ـ ٣٨ /٢، ابن العتائقي: ٧٩، مكي في (الإيضاح) :١٠٨، ابن خزيمة: ٢٧٨ (في ذيل الناسخ والمنسوخ / ابن النحاس)

٣- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ١ / ١٥٣

٤- ظ: البرهان / الزركشي: ٢ / ٢٢.

٥- ظ: الناسخ والمنسوخ / ابن العربي: ٣٢

٦- ظ: الناسخ والمنسوخ / ابن العتائقي: ١٤

٧- الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ (في ذيل جمال القراء وكمال الإقراء)/ السخاوي: ٥٠٥/٢

٨- سنذكره فيما بعد بالإمام الخوئي

٩- ظ: أسباب النزول / الواحدي: ٢٤، تفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ١ / ١٥٣

١٠- ظ: الكشاف / الزمخشري: ١ / ٢٠٢، ظ: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ١٥٣/١

- مجمع البيان / الطبرسي: ١ /١٨ ٤

١٢- ظ: مقياس اللغة / ابن فارس: ٦٤٢ - عفو

١٣- لسان العرب / ابن منظور: ٧ – ٣٥٦ - صفح

١٤- الناسخ والمنسوخ / ابن خزيمة: ٢٧١

١٥- ظ: الناسخ والمنسوخ/ النحاس:٢٦، ابن سلامه: ٣٧، ظ: مجمع البيان/ الطبرسي: م١ / ١٥٠، ولم أجد ذلك في كتاب الناسخ والمنسوخ لقتاده

١٦- الناسخ والمنسوخ / ابن العتائقي: ٧٨، ظ: الناسخ والمنسوخ / ابن سلامه: ٣٧/٣٥

١٧- الناسخ والمنسوخ / النحاس: ٢٦

١٨- ظ: الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ / السخاوي: ٥٠٤ - ٥٠٥

١٩- البحر المحيط / أبو حيان: ٤١٦/١

٢٠- ظ: م. ن

٢- ظ: البلاغة العربية – قراءة أخرى / د. محمد عبد المطلب: ٢٧٨

٢٢- الناسخ والمنسوخ / ابن العتائقي: ٧٨

٢٣- ظ: الكشاف / الزمخشري: ١ / ٢٨٧

آمن الرسول

المنظور الأخلاقي للتقرب في العبادة

سكرتير التحرير

ما نقصده بالمنظور الأخلاقي هو كيفية النظر إلى الأفعال العبادية من خلال علم الأخلاق، فلا يخفى أن علم الأخلاق هو الفن الباحث عن الملكات الإنسانية المتعلقة بقواه الباطنية، يدرسها هذا العلم ليقف الإنسان على معرفة الملكات أو الهيئات النفسية الفاضلة أو الرذائل لكي يتحلى بالفضائل ويترك الرذائل ويشق طريقه في الدنيا لكي يصل إلى السعادة ويكون إنساناً كاملاً عند العمل بهذه الفضائل.

وقبل أن يرشدنا هذا العلم إلى التحلي بتلك الأخلاق الفاضلة يخصص دراسة شاملة لمعرفة قوى الإنسان المتعلقة بعقله من جهة وغرائزه وشهواته من جهة أخرى، فالإنسان عنده عقل وهو مبدأ الأفكار والتصورات وعنده غرائز، فحتى يقع الفعل في الخارج يمر بمراحل من الاستعداد النفسي والرغبة المسبقة بالتخطيط، ومن نزوع النفس إليه حتى يصدر منه وتتحرك الأعضاء والجوارح إلى الغاية المقصودة.

ومن هنا ارتبط موضوع النية بالعمل العبادي من جهة المحتوى الباطني للإنسان وارتباطه بتلك الملكات والهيئات الراسخة النفسية، ولذا نرى أهل الأخلاق يركزون على ذلك المحتوى الباطني وما يرتبط به من أفكار وتصورات وما يدور في عزم الإنسان وما يرتبط منها في موضوع الإخلاص حتى تتحقق العبادة أو القرب على أتم وجه.

وبذا يتبين لدينا الحاجة لمعرفة مفهوم النية ومفهوم العبادة، حتى يكون آخر المطاف بيان الجانب الأخلاقي الذي هو المقصود من وراء تلك العبادات.

قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1].

مفهوم العبادة

فسر أهل اللغة مفهوم العبادة بالخضوع والتذلل وما شابههما، منها ما ذكره الراغب الأصفهاني: (العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال: (**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**) (يوسف: ٤٠، الإسراء:٢٣) والعبادة فيها خصوصية أخرى ترتكز عليها إضافة إلى الخضوع وهو الأساس لأن تكون الأفعال عبادة، وهو الاعتقاد بأنني أخضع للمعبود وهو الله تعالى، وهذا الخضوع تظهر آثاره من خلال عمل قائم بالجوارح كالرأس واليد وغيرهما، أي أن العبادة هي الخضوع النابع عن الاعتقاد بأن المعبود هو الخالق والمدبر وكون أزمّة الأمور ومصير الإنسان في الدنيا والآخرة بيده[2]. فالعقيدة هي الأساس في دفع الإنسان نحو العبادة، فالرب هو الذي يملك شؤون الإنسان ووجوده وحياته وآخرته أو تفويض الأمر إليه من الناحية التكوينية والتشريعية، وإذا كان معنى الخالق هو الموجد وكل ما في السماوات والأرض فهو له تعالى فوجودها وأفعالها وآثارها كلها مخلوقة له تعالى، وكل الأسباب والفواعل مخلوقة له أيضاً تعالى، فيكون الرب هو المالك لشؤون الشيء والمدبر لأمر الخلقة ودوامها واستمرارها وعلى هذا تكون العبودية في قبال الربوبية[3].

العبودية والربوبية

كيف نفهم هذه العلاقة بين المفهومين، ولقد أسلفنا أن العبودية هي خضوع للرب، أي توجه الكل إليه ومثوله بين يديه في صفة المملوكية المحضة فكل منهم مملوك

لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا وذلك أمر بالفعل ملازم له ما دام موجوداً، قال تعالى: (**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا**) (مريم: ٩٣ـ٩٥) هكذا حالة العبد من الفقر والحاجة، فالمراد بإتيانه له يوم القيامة فرداً إتيانه صفر الكف لا يملك شيئاً مما كان يملكه بحسب ظاهر النظر في الدنيا وكأن يقال: إن له حولاً وقوة ومالاً وولداً وأنصاراً ووسائل وأسبابًا إلى غير ذلك، فيظهر يومئذٍ إذ تتقطع بهم الأسباب أنه فرد ليس معه شيء يملكه ولن يملك أبداً فشأن يوم القيامة ظهور الحقائق فيه[٤].

إذاً عندنا جهتان:

(أ)ـ الرب هو المالك دون غيره.

(ب)ـ والعبد هو الخاضع.

فالمُلك حيث كان يتقوم بوجود المالك، فإنك لو نظرت إلى دار زيد ممكن أن تغفل عن زيد وتجعل نظرك على الدار فقط، أما إذا نظرت إليها بما أنها ملك لزيد لم يمكنك الغفلة عن مالكها، فإنك لو عرفت أن ما سواه تعالى ليس له إلا المملوكية فقط، فلا تكون الغفلة عند النظرة إلى غيره تعالى، وإذا كان كذلك فحق عبادته تعالى أن يكون عن حضور أي معبود حاضر وهو الموجب للالتفات المأخوذ في قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) التفات من الغيبة إلى الحضور[٥].

النية والقربة في العبادات

والنية معناها لغةً: مطلق القصد وإرادة الفعل وما في حكمه كما في التروك و(أنويه: قصدته... ثم خصّت النية في غالب الاستعمال بعزم القلب على أمر من الأمور...)[٦]، أما اصطلاحاً في عرف الفقهاء فأورد تعريفها في العروة الوثقى. (هي القصد إلى الفعل بعنوان الامتثال والقربة، ويكفي فيها الداعي القلبي ولا يعتبر فيها الإخطار بالبال ولا التلفظ، فحال الصلاة وسائر العبادات حال سائر الأعمال والأفعال الاختيارية كالأكل والشرب، والقيام والقعود ونحوها من حيث النية، نعم تزيد عليها باعتبار القربة فيها بأن يكون الداعي والمحرك هو الامتثال والقربة)[٧].

نقلنا لك المعنى اللغوي للنية الذي يكون داخلاً في جميع الأفعال الاختيارية لأن من مبادئ صدور الأفعال هو العزم عليها إلا أن الأفعال العبادية يقصد بالإتيان بها الامتثال لله تعالى، فالامتثال فرع وجود الأوامر الإلهية والتكاليف الشرعية، فهذه الأفعال حتى تقع عبادة يؤتى بها على وجه التذلل والخضوع، أي أخذ المعبود إلهاً والتعبد له طاعة، وعلى هذا يكون معنى نية القربة المشترطة في العبادات وهو أن يأتي المكلف بالفعل من أجل الله سبحانه وتعالى، فهي الباعث نحو الفعل، وسواء كانت هذه النية وقصد الامتثال سببها الخوف من العقاب الإلهي أو رغبة في ثوابه تعالى أو حباً له وإيماناً بأنه أهلٌ لأن يطاع. فالعبادة تقع صحيحة إذا اقترنت بنية القربة على أحد هذا الأوجه[٨].

والمراد من القرب الذي يتوخاه العبد في عبادته هو طلب الحضور بين يدي الرب والشهود عنده، بحيث كأنه يراه ويشاهده شهوداً قلبياً لا بصرياً، ويستفاد من كثير من الأدعية والروايات أن الغاية القصوى من العبادات هو لقاء الله تعالى ـ والوصول إلى هذه المرتبة التي هي أرقى المراتب التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، وربما

يتفق الوصول إليها بعد التدريب ومجاهدة النفس والتضلع في العبادة المستتبعة ـ بعد إزالة الملكات الخبيثة ـ لصفاء القلب وقابليته لمشاهدة الرب والسير إليه فيروم العابد بعبادته نيل هذه المرتبة التي هي المراد من التقرب منه تعالى[٩].

المهم في هذا الأمر أن العبادة تبتني على الجانب العقائدي وإذا كان الإنسان مختاراً في أفعاله فهو قادر على التحلي بمكارم الأخلاق التي هي الهدف من البعثة النبوية، فهناك ارتباط بين الجانب المعرفي والاعتقادي وبين العمل أي هناك رابطة بين الملكات والأحوال النفسية وبين الأعمال، فكل علم واعتقاد يرتشح منه عمل خاص ـ فلا يتساوى عمل الجواد الكريم والبخيل في مورد الاتفاق مثلاً ـ وكذلك هناك علاقة بين نوع العلم صالحاً كان أو طالحاً وبين النفس وأحوالها فهو يحصّل نوعاً خاصاً من الاعتقاد ينسجم معه، قال تعالى: (**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**) (الحجر: ٩٩)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (لا يثبت الإيمان إلّا بالعمل)[١٠] ـ وبناء على ذلك فإن الإنسان إذا أراد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وأن يصدر منه العمل الصالح عليه أولاً أن يصحح اعتقاداته القلبية وإلا إذا كان الاعتقاد فاسداً فإنه لا يصدر عنه إلا العمل السيء[١١].

وبما أن الإنسان لديه قوة عاقلة وقوتان شهوية وغضبية، فالعاقلة تفيد لإدراك الضار والنافع ومعرفة عواقب الأمور، والقوتان الأخريان لأجل جلب الشيء النافع ودفع الضار ـ والمحرك لهما هو العلم والإدراك عن طريق العاقلة ـ فمن هنا كان عليه معرفة أساس وجوده ووجود هذا العالم والكون المحيط به، وما معنى العبادة بعد التأمل في مبدأ الإنسان ومعاده ودور ذلك في توجيه السلوك وارتباطه بالآخرة، فمن هنا يقال أن العبادة هي الغاية القصوى للتشريع حيث أنه سبحانه خلقهم وأرسل رسله ليعبدوه، والعبادة هي السبب في استكمال النفوس، قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات: ٥٦)، قال الشيخ النراقي: (إن الغرض الأصلي في إيجاد الإنسان معرفة الله والوصول إلى حبه والأنس به والوصول إليه... يتوقف على صفاء النفس وتجردها... وصفاء النفس وتجردها موقوف على التنزه من الشهوات والكف عن اللذات والانقطاع عن الحطام الدنيوي وتحريك الجوارح وإيقاعها لأجله في الأعمال الشاقة والتجرد لذكره وتوجيه القلب إليه ـ ولذلك شُرِّعت العبادات المشتملة على هذه الأمور ـ إذ بعضها إنفاق المال وبذله... كالزكاة والخمس والصدقات، وبعضها الكف عن الشهوات واللذات كالصوم، وبعضها التجرد لذكر الله وتوجيه القلب إليه وارتكاب تحريك الأعضاء وتعبها كالصلاة، والحج من بينها مشتمل على جميع هذه الأمور مع الزيادة)[١٢]، ويقول أيضاً: (لا ريب في أن المقصود من الطاعات شفاء النفس وسعادتها في الآخرة وتنعمها بلقاء الله سبحانه والوصول إلى اللقاء موقوف على معرفة الله... فإذا حصل بمجرد المعرفة الحاصلة من الفكر ميل وتوجه إلى الله تعالى كان ضعيفاً... وإنما يترسخ بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح، لأن بين النفس وبين الجوارح علاقة يتأثر لأجلها كل واحد منها عن الآخر فيرى أن العضو إذا أصابته جراحة تتألم بها النفس

ـ وأن النفس إذا تألمت بعلمها بموت عزيز أو بهجوم أمر مخوف تأثرت الأعضاء وارتعدت الفرائض[١٣].

إذا كانت النفوس مخلوقة لغاية معينة فإن الذي يوجب سعادتها وشقاوتها في الآخرة هو ما يصدر عنها من الأفعال، وهذه الأفعال مرتبطة بالنيات أو الملكات وعلى ضوئها يحدد مصير تلك النفوس في الآخرة، ومن الأمور التي لها تأثير في أفعال الإنسان هي: الخوف والخشية من الحق تعالى والنية الصادقة والإرادة الخالصة، فأما الخوف والخشية من الحق تعالى فهي تبعث على التقوى، والتقوى بدورها تبعث على قبول آثار الأعمال أكثر، لأن وجود جو من التقوى يعني أن هناك تزكية للنفس وكلما كانت صفحة النفس ناصعة من حجب المعاصي كانت الأعمال الحسنة مؤثرة أكثر وتحقق السر الكبير للعبادات الذي هو ترويض الجانب المادي للإنسان وقهر الروح للبدن ونفوذ الإرادة الفاعلة للنفس بصورة أفضل. والخشية من الله تعالى التي لها التأثير التام في تقوى النفوس، هي من العوامل الكبيرة لإصلاح النفوس وذات دور في إصابة الأعمال وحسنها وتكون سبباً لقبولها، قال تعالى: (**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**) (المائدة: ٢٧).

فالتقوى والخشية هي شرط في التأثير، فهما تقومان بتطهير النفس ورفع الموانع[١٤]، (ومن لم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطاعات فأي شيء من الخوف... وأقل درجات مما يظهر أثره في الأعمال أن يكف عن المحظورات ويسمى الكف عنها (ورعاً) فإن زادت قوته كف عن الشبهات ويسمى ذلك (تقوى)[١٥].

أما النية والإرادة الخالصة فهي من الأمور المهمة، لأن النية هي الإرادة الباعثة نحو العمل، وهي تتبع الغايات الدافعة نحو العمل وهذه الغايات هي انعكاس لما يدور في باطن الإنسان، فالميول والاتجاهات هي التي تحدد نوعية الفعل، ومن كان محباً لنفسه يتحرك نحو كل شيء ينسجم مع نفسه وهو يحاول تغليب إرادته وهواه على إرادة الشارع المقدس التي هي الأوامر والنواهي التي بها يكون الامتثال ومن هنا تحدث عملية الصراع في داخل الإنسان وتحدث بسببها المعاصي وما دام الإنسان يعيش في البيت المظلم للنفس لا يكون مسافراً إلى الله تعالى والوصول إليه والفناء بحضرته، إذاً الملكات النفسية الباطنية هي التي تتولد منها النيات والأعمال، والأعمال تتبع النيات، ومن هنا فإن طريق تخليص الأعمال من الشوائب النفسية والدنيوية ينحصر في إصلاح النفس وملكاتها أي حالاتها الباطنية[١٦]■

---

١) مكارم الأخلاق/الطبرسي/ص٨.
٢) بحوث قرآنية في التوحيد والشرك الشيخ جعفر سبحاني ص٣١- ص٣٦ وص٤٨.
٣) المصدر السابق ص٢٤- ٢٥ وص٤٩.
٤) تفسير الميزان ج١٤ ص١١٠.
٥) انظر المصدر السابق: ج١، ص٢٨- ٢٩.
٦) المصباح المنير للفيومي ص٦٣١ ـ ٦٣٢، مؤسسة دار الهجرة الثالثة في إيران ١٤٢٥ هـ.
٧) مستند العروة الوثقى تقريرات السيد الخوئيﷺ للشيخ البروجردي ج٣ ص١٣.
٨) انظر الفتاوى الواضحة: ج١، ص١٥٠.
٩) مستند العروة الوثقى: ج٣، ١٥.
١٠) هداية الأمة /الحر العاملي/ج١ص٢١.
١١) مقدمة في علم الأخلاق ص٩٧.
١٢) جامع السعادات ج٢، ص٦٠٧ للشيخ محمد مهدي النراقي.
١٣) المصدر السابق ج٢، ص٣٤٥.
١٤) الأربعون حديثاً/السيد الخميني ص٣٠١.
١٥) جامع السعادات ج١ ص٢٥٣- ٢٥٤.
١٦) الأربعون حديثاً ص٣٠٧.

قصة جميلة

عن عبد الله بن حازم قال: خرجنا يومًا مع الرشيد ـ الخليفة العباسي ـ من الكوفة نتصيَّد، فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية فرأينا ظباءً فأرسلنا عليها الصقورة والكلاب، فحاولتها ساعة ثم لجأت الظباء إلى أكمة فسقطت عليها، فسقطت الصقورة ناحية ورجعت الكلاب، فتعجب الرشيد من ذلك، ثم إن الظباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقورة والكلاب، فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصقورة، ففعلت ذلك ثلاثًا، فقال هارون: اركضوا فمن لقيتموه ائتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال هارون: ما هذه الأكمة؟ قال (الشيخ): إن جَعلتَ لي الأمان أخبرتك، قال: لك عهدُ الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أوذيك، قال: حدثني أبي عن أبيه أنهم كانوا يقولون: هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حرماً لا يأوي إليه أحد إلا أمنْ، فنزل هارون ودعا بماءٍ فتوضأ وصلى عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي).

(بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٢ ص٣٢٩)

آمن الرسول

الاعتكاف واحة العبادة والعشق في أديان السماء

الشيخ حميد البغدادي
أستاذ في الحوزة العلمية

الاعتكاف وهو الاختلاء للعبادة والنسك والاتصال بالخالق جل وعلا أمر موجود في جميع الأديان السماوية وهو في الإسلام بشكله الأكمل. يحتل الاعتكاف مكانًا مهمًا في المنظومة التربوية في أديان السماء للارتقاء بالمؤمن إلى آفاق أرحب من عالم المادة والناسوت.

الاعتكاف في أديان السماء

تجد مضمون الاعتكاف في الأديان السماوية من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال تعالى: (**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**) (البقرة:١٢٥).

وتجده في زمان موسى عليه السلام في رحلته نحو الله في جبل الطور واعتكافه لأربعين ليلة، قال تعالى: (**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)**) (طه: ٨٣و٨٤).

وتجده بوضوح في اختلاء مريم في المسجد الأقصى لعبادتها ومما حصل لها من الكرامة، والطعام الذي كان يأتيها من طعام الجنة: (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) (آل عمران: ٣٧).

وما ورد من اعتكاف أنبياء الله عليهم السلام كسليمان وإلياس وأتباع عيسى عليه السلام.

يعتبر الدعاء والعبادة من سبل بناء النفس، ومن أهم هذه السبل المشاركة في الاعتكاف؛ لأنّ الاعتكاف من أكمل العبادات الفردية، ويؤدي إلى تقريب العبد من ربه.

الاعتكاف سير نحو التوبة وعودة إلى المعنوية، والاعتكاف حياة جديدة في صحراء غفلة الإنسان، وهذه الدورة القصيرة أفضل فرصة لبناء النفس وإزالة أدرانها.

إنّ هذه المراسم المعنوية حرب ضد الغرور والغفلة، وميدان لإزالة العيوب، وفرصة للعبادة والانقطاع عن التعلقات الدنيوية، وواحة للعاشق ليجد الوقت للاتصال بمعشوقه في جو من الروحانية والبعد عن الماديات.

الاعتكاف لغةً

الاحتباس والإقامة على شيء بالمكان، كما حكاه في الحدائق عن اللغويين[١].

مصدر على وزن افتعال من الفعل «عكف».

قال ابن فارس: (العين والكاف والفاء أصل صحيح يدل على مقابلة وحبس)[٢].

وفي لسان العرب: (وهو من عكف على الشيء يعكف عكفاً وعكوفاً، أي: لزم المكان)[٣].

و قال الراغب الأصفهاني في المفردات: (العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم له)[٤].

ومنه قول القرآن: (**مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**) (الأنبياء: ٥٢).

وقوله تعالى: (**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**) (الفتح: ٢٥).

الاعتكاف اصطلاحًا

المكث في المسجد بقصد التعبُّد لله وحده، كما صرّح به الفقهاء على اختلاف تعابيرهم[٥]. وفي جواهر الكلام: (الاعتكاف لغة هو الاحتباس، ومنه اللبث الطويل الذي هو أحد أفراد لزوم الشيء النفس عليه براً كان أو غيره قال الله تعالى: (**مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**)

أي لازمون لها وحابسون أنفسكم عليها، نحو قوله: (**يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَام لَهُمْ**) وشرعًا على وجه النقل أو المجاز الشرعي هو اللبث المتطاول للعبادة)[٦].

وهو مشروعٌ قرآناً وسنّةً وإجماعاً.

الاعتكاف في القرآن الكريم

لم يرد في القرآن لفظ الاعتكاف ولكن وردت مشتقاته سبع مرات بشكل اسم فاعل، ومرة واحدة بشكل اسم مفعول، وكذلك مرة واحدة بشكل مضارع، وننقلها كالتالي:

عاكف:

١ـ قال تعالى: (**وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**) (البقرة: ١٨٧)

٢ـ قال تعالى: (**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**) (البقرة: ١٢٥).

٣ـ قال تعالى: (**مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**) (الأنبياء: ٥٢).

٤ـ قال تعالى: (**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ**) (الحج: ٢٥).

٥ـ قال تعالى: (**وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**) (طه: ٩٧).

٦ـ قال تعالى: (**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**) (الشعراء: ٧١).

٧ـ قال تعالى: (**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**) (طه: ٩١).

يعكف:

١ـ (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**) (الاعراف: ١٣٨).

معكوف:

١ـ قوله تعالى: (**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**) (الفتح:٢٥).

الاعتكاف في الأديان

ليس الاعتكاف خاصًا بالإسلام، بل هو موجود في الأديان الإلهية، فهو من جملة العبادات التي أكدّت عليها سائر الأديان، فضلاً عن الدين الإسلامي، كما اهتم أنبياء اللهعليهم السلام كافة بمسألة تعظيم الاعتكاف، وفي الدين الإسلامي المقدّس نجد القرآن الكريم أيضًا يؤكّد تأكيدًا خاصًا على الاعتكاف.

قال العلاّمة الحلّي عن الاعتكاف: (وهو مشروع في شريعتنا والشرايع السابقة، ومستحب بإجماع العلماء)[٧].

ولابد من الإشارة إلى أننا لا نعرف الكثير عن أحكام وتفاصيل عبادة الاعتكاف في الأديان السابقة، وإنما يفهم من النصوص المنقولة أنه نحوٌ من التفرغ للعبادة والتأمل، وابتعاد عن الحياة العادية للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

إبراهيمعليه السلام

قال تعالى: (...**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**) (البقرة: ١٢٥).

ويفهم من الآية الكريمة[٨] أن الاعتكاف كان موجودًا في شريعة نبي الله إبراهيم عليه السلام، ومن العبادات التي شرعت آنذاك، نعم لا نعرف تفاصيله.

كما يفهم من الآية الكريمة الأهمية التي أولاه الباري تعالى حيث أمر نبيّين من الأنبياء لأجل تهيئة مقدمات هذه العبادة، وجعل البيت الحرام ـ وهو من أقدس الأماكن ـ مكانًا لها.

ويُنقل عن أجداد النبي الأكرمﷺ وهم من أتباع دين إبراهيمعليه السلام أنهم كانوا يعتكفون في بعض المغارات.

كما أن النبيﷺ نفسه ـ قبل البعثة ـ كان يتعبد في غار حراء.

جاء في كتاب المفصل في تاريخ العرب: (وقد نسب الاعتكاف في الكهوف وفي البراري وفي الجبال إلى عدد من هؤلاء الحنفاء. فقد ذكر أهل الأخبار أنهم كانوا قد اعتكفوا في المواضع الخالية البعيدة عن الناس، وحبسوا أنفسهم فيها، فلا يخرجون منها إلا لحاجة شديدة وضرورة ماسة. يتحنثون فيها ويتأملون في الكون، يلتمسون الصدق والحق. والتحنث التعبد. فكانوا يتعبدون في تلك المواضع الهادئة الساكنة، مثل غار (حراء) وقد ذكر أن الرسول كان يتحنث فيه الليالي، يقضيها في ذلك الغار)[٩].

موسىعليه السلام

ترك موسى أمته للتفرغ لعبادة ربه ـ ورغم عظم المسؤوليات الملقاة على عاتقه وهداية بني إسرائيل ـ إلى جبل الطور فجاء في القرآن الكريم تبيانٌ لذلك:

قال تعالى: (**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)**) (طه: ٨٣و٨٤).

ويستفاد من كلام العلاّمة المجلسي: أن موسىعليه السلام كان صائمًا ومعتكفًا لأجل أخذ الألواح في جبل الطور[١٠].

وكان بيت المقدس من الأماكن التي تؤوي الكثير من المعتكفين للعبادة وكان هناك من يقوم على خدمتهم ومن كبارهم زكرياعليه السلام، وكان يهتم ويشرف على اعتكاف السيدة مريمعليها السلام، حيث يمكن اعتبار إقامة مريمعليها السلام في المسجد الأقصى من مصاديق الاعتكاف؛ لأن أمها نذرت أن تكون مريم وقفًا لعبادة الله، قال تعالى: (**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...**) (آل‌عمران: ٣٥).

وبعد بلوغها تكفلها زكرياعليه السلام وجعل لها مكانًا خاصًا في المسجد الأقصى لعبادتها، وأشار القرآن الكريم إلى الكرامة التي كانت تحظى بها من الله جل وعلا: (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) (آل‌عمران: ٣٧).

وأشار العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إلى اعتكاف مريم عند حديثه عن قوله تعالى: (**فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**) الحجاب ما يحجب الشيء ويستره عن غيره، وكأنها اتخذت الحجاب من دون أهلها لتنقطع عنهم وتعتكف للعبادة)[١١].

سليمانعليه السلام

في البحار: (قال الطبرسي (رحمه الله): قيل: إن سليمانعليه السلام كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر)[١٢].

إلياسعليه السلام

ينقل العلاّمة المجلسي قصة عن اعتكاف حضرة إلياس[١٣].

عيسىعليه السلام

الرهبانية والابتعاد عن مشاغل الدنيا والاعتكاف والخلوة للعبادة مما امتازت به المسيحية، نعم أشار القرآن الكريم أنهم ابتدعوها ولم تكن مشرعة من الله جل وعلا: (**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا**

رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) (الحديد: ٢٧).

أصحاب الكهف

وهم لجأوا إلى الكهف فرارًا من أذى اليهود وللتفرغ للعبادة: **(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)** (الكهف:١٠).

وفي آية أخرى يشير القرآن إلى اعتزالهم عن قومهم: **(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا)** (الكهف:١٦).

ومما تقدم يتضح أن الاتصال بالله جل وعلا والانقطاع لعبادته بأوقات خاصة، والبعد عن الحياة العادية، والذي هو الاعتكاف موجود في كل الأديان، وإن اختُلف في أحكامه وتفاصيله، لكنه كمضمون واحد فيها جميعًا■

---

١) الحدائق الناضرة ١٣: ٤٥٥.

٢) مقاييس اللغة (٤: ١٠٨)، مادة (عكف).

٣) لسان العرب (٩ :٢٥٥)، مادة (عكف).

٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ)، ص٣٤٢، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، الناشر: دفتر نشر الكتاب.

٥) راجع: المستند في شرح العروة الوثقى،ج ١٢ (الصوم): ٣٣٤.

٦) جواهر الكلام، ج ١٧، الاعتكاف، ص ١٥٩.

٧) تذكرة الفقهاء، للعلاّمة الحلّي، ج١ ص ٢٨٤، بداية بحث الاعتكاف.

٨) لابد من الإشارة إلى أن الاستفادة المذكورة من عبارة (العاكفين) من أن المراد الاعتكاف المصطلح كما استفاد ذلك جماعة من الفقهاء والمفسرين، ولكن ذهب الأكثر من المفسرين والفقهاء أن المصطلح المذكور يراد منه المجاورين والساكنين في مكة المكرمة، وتكون حينها الآية أجنبية عن البحث.

٩)كتاب المفصل في تاريخ العرب، جلد ٦، صفحه ٥٠٩ د. جواد علي، آخر الفصل الخامس والسبعين (الحنفاء) المجلد الثالث.

١٠) هامش بحار الأنوار، ج ٨٦، ص ٣٨، وجاء في الهامش ما نصه: (ويستفاد هذا الحكم من كتاب الله عز وجل بمعونة السنة أما الكتاب فحيث يقول عز وجل: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) والمراد بالعاكف المقيم قطعًا كما في قوله عز وجل: **(سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ)**. وأما السنة فحيث امتثل رسول اللهﷺ دعوة الآية الكريمة، واعتكف في مسجده عشرة، حتى أنه لم يعتكف في سنة فقضاها في السنة التي بعدها عشرين: عشرة أداء وعشرة قضاء، فصار الاعتكافُ في محلٍ عشرةً من تمام الإقامة.

بل ويدل على ذلك بوجه أما جمع قوله تعالى: **(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)** أي كان يواعده كل ليلة أنه إذا تم ميقاته واعتكافه بالصوم والصلاة أنزل عليه التوراة، وهوعليه السلام ينتظر في كل ثلاثة أيام نزول التوراة لما كان بحسابه أن اعتكافه بالصوم والصلاة إنما يتم في ثلاث، على ما أمرهم الله عز وجل بالصيام ثلاثة أيام - أيام العشر: العاشر والحادي عشر والثاني عشر من كل شهر كما مر في ج ٨٣ ص ٩١.

لكنهعليه السلام لما كان مسافرًا ولم يقصد الإقامة عشرًا، كان ميقاته واعتكافه غير تامين حتى مضى ثلاثون تمام الشهر، وانقطع حكم السفر وصار اعتكافه وميقاته في العشرة بعدها تامًا واقعًا في محله ونزلت عليه التوراة فيها حكم الله عز وجل.

وهذا معنى قوله عز وجل: **(وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**، وفقًا

لقوله عز وجل: (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**) أي كنا نواعده أربعين ليلة: كل ليلة نقول: أما إذا أتم الاعتكاف والميقات نزلت عليه التوراة، ولم يتم إلا بعد الأربعين: لم يتم في ثلاث لأن أقل الإقامة عشرة، ولم يتم في العشرات الأول لكونه مسافرًا. وإنما لم يوح إليه بأن اعتكافه لا يتم إلا بعشرة عن قصد إقامة، ليفتتن طول ذلك قومه قال عز وجل: (**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**).

وذلك لأن الله عز وجل واعدهم جميعًا جانب الطور الأيمن، لكن موسى عليه السلام استبطأهم لمسيرهم بالأثقال والأطفال وخلف فيهم أخاه هارون وتعجل إلى الميقات بنفسه، ليتم ميقاته واعتكافه مدى سيرهم إلى الطور، فيتوافق نزوله من الطور مع وصول قومه، فقد كان بخلده عليه السلام رقي قومه وهدايتهم إلى أرض القدس بنفسه، والله عز وجل بالرصد من افتتانهم بعد إيمانهم (**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**).

١١) الميزان، السيد الطباطبائي، ج١٤: ٣٤.
١٢) بحار الأنوار، ج١٤: ١٤١.
١٣) بحار الأنوار، ج١٣: ٤٠٣.

في مولد أمير المؤمنين عليه السلام

قال الشيخ المفيد في (الإرشاد/ ج١ ص٣):

(ولد ـ الإمام علي عليه السلام ـ بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سواه إكراما من الله تعالى له بذلك وإجلالًا لمحله في التعظيم... فكان مقامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة.. وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة... وضربه ابن ملجم (لعنه الله وجميع خلقه) ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان المعظَّم بسيف مسموم... وانتقل إلى جوار الله ليلة الأحد الحادية والعشرين منه وهي أحد ليالي القدر...)).

آمن الرسول

الدعاء ميزان الرحمة

أ.م. د. محمد إسماعيل عبدالله
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

ينابيع

الدعاء لغة: الدعوة (بالفتح) إلى الطعام، والدعوة (بالكسر) في النسب، دعاه: صاح به واستدعاه أيضاً، ودعوت الله له وعليه أدعوه دعاء[١]، وأصل الدعاء طلب الفعل دعا يدعو وادّعى دعاءً لأنه يدعو إلى مذهب من غير دليل، وتداعى البناء يدعو بعضه بعضًا إلى السقوط، وفي القرآن: (**تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**) (المعارج: ١٧) أي (يأخذه بالعذاب كأنه يدعوه إليه)[٢]، ودعوت فلاناً وبفلان: ناديته وصحت به[٣]. والدعوة: المرة الواحدة، والدعاء أيضاً واحد الأدعية[٤].

قوله: (دعاه: صاح به) ليس على معنى الصياح، وإنما هو النداء أي: ناداه، وعليه فالدعاء هنا: طلب الالتفات بالنداء، ولذلك عرف النحويون النداء بأنه: (دعاء المخاطب ليصغي إليك)[٥] فالدعاء على هذا كلام معتمد على نداء، شريفاً كان أم وضيعاً طويلًا كان أم قصيراً، إنما يشترط فيه أمران، أحدهما: القول والآخر النداء بقصد، ولهذا قال ابن فارس: (الدعاء أن تميل إليك الشيء بصوت وكلام يكون منك)[٦]. وقال: (الشيء) لأن الدعاء يكون للعاقل ولغير العاقل كالحيوان ويكون أيضاً لما لا يعقل البتة كدعاء بعض الناس الحجارة ولهذا قيل: (فكما أن من دعا البهائم يعد جاهلاً فداعي الحجارة أشد جهلاً، لأن البهائم تسمع الدعاء وإن لم تفهم معناه والأصنام لا يحصل لها السمع)[٧].

فيكون الدعاء في اللغة معنى شامل لأمور كثيرة حسب قصد المنادي والداعي وحسب منزلة المنادى والمدعو، وهنا نلحظ أن بين النداء والدعاء علائق مشتركة فالدعاء طلب الالتفات بالنداء، أما النداء فهو (تنبيه المنادى وحمله على الالتفات)[٨] فروابط الاشتراك بين النداء والدعاء واضحة الملامح، فيمكن أن يقال: نادى من هو من ذوي العلم، أي: وجه إليه الخطاب ودعاه لكن ذلك غالباً ما يكون علانية مع رفع الصوت، وقد يكون النداء خفياً، وينادي العبد ربه فيدعوه بأنواع الدعاء، وينادي الله من يشاء من عباده فيلقى إليهم بعض الكلام[٩].

ويفرّق العلماء بين الدعاء والمسألة بقولهم: (الدعاء إذا كان لله تعالى فهو مثل المسألة معه استكانة وخضوع وإذا كان لغير الله جاز أن يكون معه وجاز أن لا يكون معه ذلك كدعاء النبي صلى الله عليه وآله أبا جهل إلى الإسلام ليس فيه استكانة ويعدى هذا الضرب من الدعاء بـ (إلى) فيقال دعاه إليه وفي الضرب الأول بـ (الباء) فيقال دعاه به، نقول دعوت الله بكذا، ولا نقول دعوته إليه لأن فيه معنى مطالبته وقوده إليه)[١٠]

الدعاء اصطلاحاً:

هو الكلام الموجه لله عزوجل حصراً يطلب فيه العبد من ربه القبول والغفران والحاجة لأمرٍ ذي بال، وطلب القبول هنا معتمد على توجه العبد وتخصيص للرب[١١]، والدعاء هنا السؤال من الله بالإجابة لقوله: (**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**) (غافر:٦٠) وأنواعه هنا الدعاء بالخير أو بالشر للسائل ولغيره أو عليه أو على غيره، وهذا هنا على عموم معنى الدعاء، أما دعاء آل البيت عليهم السلام ـ والمتمثل بدعاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تخصص بصور وأشكال معينة وعرف بنماذج محددة فهو: نماذج حسية لمعطيات وجدانية تراءت بصور، وأشكال كلامية ظهرت بمنتهى البلاغة والإحكام وبأفضل العبارات والكلمات. وحوت مقاصد فكرية وعلمية

ودينية راقية جسدت التصور الأبهى بين العبد وربه والالتحام بين المخلوق وخالقه شكراً له وعرفاناً بفضله وسؤالاً له من فيضه ومنّه وتأكيداً على الآصرة القوية بين الضعيف والقوي وبين السائل والمعطي ودليلاً على حسن التعبد والتوكل وإظهاراً للوجدانية المطلقة له (عزوجل) واعترافاً بنقصان العبد وحقارته أمام جبروت الخالق وعظمته.

والدعاء في عرف العلماء: (كلام إنشائي، دال على الطلب مع الخضوع، ويسمى سؤالاً أيضاً، صرّح بذلك في شرح المطالع كما في العضدي من أنه طلب الفعل مع التسفّل والخضوع، فقد أراد الطلب الدل عليه، وقد جاء الطلب على الكلام أيضاً... وعلى هذا يحمل ما وقع في الأصول من أن الدعاء طلب الفعل مع مزيد تضرع ليخرج الالتماس العرفي)[١٢].

أما الدعاء عن المشرعة والفقهاء فهو: (الطلب من الله والرغبة فيما عنده من الخير)[١٣] أو هو (دعوت الله أدعوه دعاءُ ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير)[١٤].

وعلى الرغم من أن هذا الدعاء بهذه الصورة دعاء يسير على اللسان سهل المران والإبانة، لكنه يبعد عن الدعاء لغة أنه متخصص من ناحيتين: الأولى: هي أنه طلب من الله خاصة والثانية: هي أنه رغبة في الخير خاصة دون الرغبات الأخر.

فالدعاء خلجات روحية ولواعج نفسية يبثها العبد بين يدي ربه مشفوعة باسترضاء العبد ربه وحسن التوبة بين يديه وطلب العفو والمغفرة من عنده، ثم طلب الخير الآتي بعد ذلك شيء هين إذا ما قسناه بما قلناه. إلا أن العلماء أخذوا قصدية الدعاء ـ وهي جزء من الدعاء ـ فعرفوه بجزء منه، والأولى هنا أن يعرف بتعريفات مناسبة تجمع ما قلنا في الدعاء من معان وعبر ومقاصد وحقائق.

إن اتصال العبد بربه يكون ناشئاً في أكثر الأحوال من الحاجة إليه(عزوجل) والاحتياج إلى ما عنده. وكلما تكون حاجة الإنسان إلى الله أعظم، وفقره إليه أشد، واضطراره إليه أكثر يكون إقباله في الدعاء إلى الله أكثر. وعلى هذا فالدعاء جوهر العبادة وروحها، فإن الغاية من خلق الإنسان العبادة لقوله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات:٥٦)، والغاية من العبادة الانشداد إلى الله والاطمئنان، والدعاء يحقق هذا الانشداد والارتباط من أوسع الأبواب وبأقوى الوسائل، فـ (الدعاء من أهم الأبواب والقنوات التي جعلها الله تعالى لورود عباده عليه والارتباط به)[١٥]، وإن (الإنسان يمد عبر الدعاء وشائج الصلة بينه وبين ربه)[١٦].

ويمكن أن يكون الدعاء حديث الإنسان إلى ربه، وعلاقة المخلوق مع خالقه، وهذا الحديث قد يحدث مع الرب بالدعاء ـ وهو ما أشير إليه ـ أو بغيره مثل الصلاة فهي حديث مع الله سبحانه ومثل قراءة القرآن وهي اتصال بالله أيضاً. وإنما الذي يحدد الدعاء عن غيره، أن الدعاء هو الحديث الذي معه بثّ الإنسان لله لواعجه وأحاسيسه ومشاعره وما كمن في ضميره وخاطره من صور التقرب منه والاتصال به، مشفوعة بمدائح قد يكتفي بها العبد عن إظهار حاجته، إنما هو تفريغ للمشاعر أمام الله وإظهار للذل والمسكنة عنده، فـ (كل ما سوى الله فقير محتاج إليه)[١٧]، وأن

الدعاء يحتمل المدحة والثناء له سبحانه والشكر الموجب لزيادة النعم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله (عزوجل) حتى ينقطع الشكر من العبد)[١٨].

إن حاجة الإنسان تدفعه ـ علمياً ونفسياً ـ إلى إشباعها، وبعض الحاجات ـ علمياً ـ تدفع الإنسان بشعور عارم إلى إشباعها إشباعاً يردع عنفوانها وسطوتها، مما يدفع بعض الناس إلى اعتماد طرق غير شرعية لتحقيق المكاسب وإشباع الرغبات، والدعاء هنا حل المؤمنين الأوحد لإشباع هذه الحاجات فإن شاء الله يسرّ طريقاً لتحقيق ما يصبو إليه الداعي أو يهيّء سبلاً أخر لذلك[١٩].

ومن الطبيعي أن لا يتكل الإنسان على الدعاء حسب، لأن الدعاء مفتاح الصلاح وليس طريقه، فعلى الإنسان أن يعمد ـ بعد الدعاء وبعد الاتكال على الله (عزوجل) ـ إلى سبل العمل الكفيلة لتحقيق ذلك وإنما هذا يختار الإنسان الأنسب فيها والأصلح والأرضى لله (عزوجل).

فالدعاء هنا أول الخطوات التي يعمل بها الناس، ولا سيما الصالحون منهم في مسيرة العدل الحياتي لتحقيق الذات وإشباع الرغبات والاندماج التام في الحياة ليكون الإنسان فيها عنصراً مهماً وكياناً فاعلاً ضرورياً لا أن يكون عالةً وثقلاً لا ينفع.

إن للدعاء آفاقاً يدخل الإنسان منها ـ ضمن تصورات عامة أو خاصة ـ إلى التواؤم الروحي والانتظار الحياتي والسلوك الحسن بين العبد وربه وبين العبد وباقي أفراد جنسه، وبعض هذه الآفاق إيجابية يدخل الإنسان منها إلى عالم الشرف والنصر، فكثيراً ما علمنا أن الناس دعوا الله للتوفيق فوفقهم الله، وكثيراً ما سمعنا فلاناً دعا الله لأمر فتحقق له ما أراد، فسعد هذا الشخص بما جرى له وعرف ذلك منه ببركة الدعاء، وكثيراً ما سمعنا أن هناك من اضطر فدعا ففتح الله عليه أبواب الرحمة فتغير حاله من السيء إلى الحسن وكثيراً ما سمعنا أن مظلوماً دعا ربه إلى نصرته ورحمته فتحقق، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (دعوة المظلوم في السّحر ليس بينها وبين الله حجاب)[٢٠]، وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ فقال: دعوة مستجابة[٢١].

لمحة تاريخية عن الدعاء:

الناس منذ خلقهم الله وهم بين صراع مع الحياة التي لم تكن مطواعة لهم دوماً وبين رغبات وحاجات لم تنته عند حدّ، ولم تشبع بسدّ، وما استطاع الإنسان أن يجد وسيلة معينة ناجعة لتكميم الحياة وقولبتها بقوالب نافعة ومسيطر عليها، وكانت هناك صيحات وطروحات عديدة للتغلب على الحياة وجرّها إلى كف الطاعة لاستغلالها والاستفادة منها. وكانت من تلك الصيحات ما أخبرنا به أنبياء الله عليهم السلام من صور التعامل مع الحياة، وكان أرقاها إصلاح ذات البين بين العبد وربه، والطلب منه (عزوجل) خاصة ودعاؤه بالسراء والضراء لتعديل حياتهم وتنظيم صور المعيشة بأساليب منظمة ومريحة، والأهم أنها مرضية للرب[٢٢]، فأصبح الدعاء وسيلة مهمة لتفادي مساوئ الحياة ودفع شرورها وتنظيم صور الحياة بأسلوب نافع وناجع مطابق لأوامر الأنبياء وحسن ظن العبد بربه (**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ**

أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) (الأعراف:٩٤)، وأصبح وسيلة واكبت الإنسان على مدى وجوده في الحياة ينتفع منها ما استطاع إلى ذلك سبيلا[٢٣].

أصبحت المجتمعات الإنسانية والتجمعات البشرية تعتمد على الدعاء، فيما تعتمد عليه من أساليب الدفاع عن النفس وتنظيم حياتها للأمثل والأصلح[٢٤]. وليس ذلك كائناً عند الخيرين من الناس، ولا عند المؤمنين من أتباع الرسل فحسب، بل عند جميع الناس، ذلك أن الناس بطبعهم يميلون إلى الاستعانة بالأقوى، والطلب من المعتمد المطلق وإن كان مجهولاً. فقد رسم الرسل لصور العبادات نماذج معينة ومحددة وأمروا الناس بالتسلح بها[٢٥] والاعتماد عليها لمناجاة الرب والاتكال عليه والطلب منه، على حين لم يكتف من أنكر الله (عزوجل) ورسله بهذه النماذج وإنما اعتمدوا على نماذج حسية وطوطمات رمزية[٢٦] لبثّ النوائح الصدرية والحاجات الداخلية إليها بوصفها رموزاً دينية خارقة لها قدرات هائلة، فبثوها نجواهم ودعوها أن تحفظهم وتذب عنهم تسلّط الأعداء وأن تفتح أمامهم سبل الحياة الجميلة للانتفاع بها بأكمل وجه وأحسن صورة ظناً منهم بقدراتها واعتقاداً منهم بصحة الاتكال عليها[٢٧].

والذي يهمنا هنا هو الدعاء لله (عزوجل) حصراً دون باقي الأدعية الأخر، وهي في عمومها صور ونماذج معينة تدور كلها في الطلب منه (عزوجل) أن يرحمهم وينصرهم ويعز المؤمنين ويذل الكافرين. وما فتئ المؤمنون متمسكين بالدعاء ليرسم لهم صور العبادة الحقة وأسلوب الاتصال الأمثل بالله العزيز الجبار، ذلك أن الناس وإن ارتقوا عبادٌ ضعفاءٌ محتاجون دوماً إلى فيض كرمه، ونوال برّه ورحمة تشملهم. وأنهم وإن عبدوا وأخلصوا فهم مقصرون اتجاهه (عزوجل) لأنه أهل العبادة والطاعة المطلقة، التي لم يقو ولم ينجح الناس على فعلها بالوجه الأكمل، وإن ظلت عبادتهم قاصرة وهم مقصرون اتجاهه (سبحانه وتعالى) ظل منهم النداء له قائماً بأن يرحمهم ويغفر لهم ويهديهم، وذلك جزء أيضاً من العبادة، بل هو لب العبادة الصادقة، فإن الله لم يسأل عباده بعنت، ولم يأمرهم بما لا طاقة لهم به وإنما أراد منهم حسن الاتصال به ودوامه وهو أخير ما في العبادة من محاسن■

١ـ ينظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي: ٢٢١/٢، وينظر: لسان العرب: ابن منظور الأفريقي: ١٣٨٥/٢.

٢ـ معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري. وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، ص:٥٣٥.

٣ـ ينظر لسان العرب: ٢٥٨/١٤.

٤ـ ينظر العين:٢٢١/٢.

٥ـ شرح جميل الزجاجي لابن عصفور الأشبيلي: ٥٤٠/٢.

٦ـ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ١٨٠/٢.

٧ـ مجمع البيان: ٤٦٥/١.

٨ـ في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي: ٣٠١.

٩ـ ينظر: ينظر معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية: ١٠/١.

١٠ـ المصدر السابق: ٤٩٥.

١١ـ ينظر: مفتاح الفلاح: ٢٠٧.

١٢ـ كشاف اصطلاح الفنون: الشيخ محمد بن علي التهانوي الحنفي: وضع حواشيه: أحمد حسن بسج: ١٤٢/٢.
١٣ـ التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي: ١٩٤/١.
١٤ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي:١٩٤/١.
١٥ـ الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام:٩.
١٦ـ مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام برواية السيد ضياء الدين فضل الله بن علي الراوندي.
١٧ـ مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام: ١٠.
١٨ـ دستور دعاء الحكم:١٣٨.
١٩ـ الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام: ٤٥.
٢٠ـ بحار الأنوار: ١٤٤/١٣.
٢١ـ ينتظر: دستور معالم الحكم:١١٢.
٢٢ـ ينظر: الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: ٢٦٤/٧.
٢٣ـ ينظر: الأبعاد الإنسانية والحضارية في الصحيفة السجادية: مجموعة أساتذة، المستشارية الثقافية.
٢٤ـ ينظر: في رحاب الدعاء:١٥.
٢٥ـ ينظر: الأصول من الكافي: ٤٦٨/٢.
٢٦ـ ينظر: تاريخ الأديان: طه الهاشمي: ٨١ وما بعدها. و: الفكر الديني القديم: تقي الدباغ: ١٢٧. و: البلاغ (مجلة) السنة/١، العدد/٥، م/ الألوهية بين الميتافيزيقي والمؤمن: عبد الأمير الأعسم:٢٦.
٢٧ـ ينظر: مفتاح الفلاح: ٧٩ـ ٨٠.

روايات في الدعاء

* عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن الدعاء يرد القضاء المبرم بعد ما أبرم إبراما فأكثروا من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، إنه ليس من باب يكثر قرعه إلا ويوشك أن يفتح لصاحبه). (البحار: ٩٣ / ٢٩٥)

* عن سيف التمار قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: عليكم بالدعاء فإنكم لا تقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها أن صاحب الصغار هو صاحب الكبار. (روضة المتقين/ المجلسي/ ج١٢ص٣١).

* عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إن الله عز وجل يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ) قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء، قلت: (إِنَّ إِبْراهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)، قال: الأواه هو الدعّاء. (روضة المتقين/ المجلسي/ ج١٢ص٣١).

* عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا ميسر: ادع ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله عز وجل منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أن عبدا سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئا فسل تعط، يا ميسر أنه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه.
(روضة المتقين/ المجلسي/ ج١٢ص٣٠).

إضاءات السيرة

السيدة الزهراء عليها السلام والقرآن

أ.م.د خليل خلف بشير
كلية الآداب/جامعة البصرة

ينابيع

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام ممن قرع سمعها القرآن في بدء نزوله، وكانت تصغي إلى الوحي وإلى آيات كتابه بل لم يكن أحد بعد أبيها الرسول صلى الله عليه وآله أقرب إلى القرآن منها فإنها بضعة النبوة فلم تكن تفارق أباها ليلاً ولا نهاراً في مدة التسع سنين التي قضتها في بيت أبيها وتحت ظله السامي فكانت طوال هذه المدة تطلع على أسرار الوحي والرسالة، وآيات الكتاب المجيد، ولم تنقطع عن الرسول صلى الله عليه وآله بعد زواجها من أمير المؤمنين علي عليه السلام بل كانت تزور أباها كثيراً، وتشهد نزول الوحي عليه، وتسمع آيات القرآن الكريم وخصوصياتها ومزاياها من رسول الله صلى الله عليه وآله أو من أمير المؤمنين عليه السلام[١]، وهكذا (انعكس أبوها في وجدانها فامتصته في عقلها، وعبّرت عنه في عاطفتها، وبفضل هذا الحب ازدوجت لها الحالتان: فهي بنت أبيها في الوقت الذي أصبحت فيه أم أبيها... وعلي بينما كان في المبتدأ مجرد أنيس طفولة ورفيق ملعب، أصبح – بعد أن شبّت وشبّ – خيالاً لطيف ومرآةً لجبين، لقد أصبحت ترى في عينيه طيف أبيها وظل ذيّاك الجبين)[٢] فهي التي (رُبِّيَتْ في حُجُورِ الأنبياء، وتداوَلَتْها أيدي الملائكة، ونَمَتْ في المغارس الطاهرات، نَشَأَتْ خيرَ مَنْشَإٍ، ورُبِّيَتْ خيرَ مُربًّى)[٣] فكانت قد حلّت في أوسع مكان من قلب أبيها، ووقعت في نفسه الشريفة أحسن موقع فكان يحبها حباً لا يشبه محبة الآباء لبناتهم فهو حبٌ ممزوجٌ بالاحترام والتعظيم فلم يعهد من أي أبٍ في العالم ما شوهد من الرسول الكريم تجاه البضعة الطاهرة، ولم يكن هذا الحب منبعثاً من العاطفة الأبوية فحسب، بل كان ينظر إليها نظرة إكبار وإجلال واعتزاز لما كانت تتمتع به من مواهب ومزايا وفضائل[٤] فهي ربيبة القرآن والرسالة المحمدية، واللسان الناطق باسمها، والنموذج القيادي الأسمى والأمثل لنساء العالمين في العصور كافة فهي معصومة، ولعل ما يدل على عصمتها[٥]:

١- إن القرآن الكريم شهد بعصمتها في آية التطهير في قوله تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) (الأحزاب: ٣٣) فالله الطاهر طهّر بإرادة تكوينية أهل البيت عليهم السلام ومنهم فاطمة عليها السلام وعصمهم بعصمة ذاتية ومطلقة واجبة عقلاً ونقلاً.

٢- إنها عدل القرآن لحديث الثقلين

المتفق عليه عند الفريقين: الشيعة والسنة، ولما كان القرآن معصوماً فكذلك عدله أهل البيت عليهم السلام.

٣- إنها كفء علي، ولولاه لما كان لها كفء فلا يتزوج المعصوم إلا المعصومة فإن الرجال قوامون على النساء فلفاطمة ما لعلي إلا الإمامة فكل ما ثبت لعلي بالمطابقة ثبت للزهراء بالالتزام، وكل شيء ثبت لفاطمة ثبت بالدلالة الالتزامية لعلي.

٤- إنها حورية بصورة إنسية، والملائكة معصومون فكذلك فاطمة الحورية.

٥- وحدة الإرادة الإلهية والفاطمية، فإن الله يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، وإنه لم يغضب لغضب يونس صاحب الحوت لكنه يغضب لغضب فاطمة فوحدة الإرادة دليل على العصمة.

٦- إنها سيدة النساء في الدنيا والآخرة فكيف تكون سيدة الأولين والآخرين، وهي غير معصومة.

٧- في آية المباهلة، وهي قوله تعالى **(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)** (آل عمران: ٦١) قدّم النساء على الأنفس، وهي إشارة إلى أن النفوس فداها فقد قال فيها الرسول صلى الله عليه وآله: (... فعلتها فداها أبوها)[٦].

٨- إنها العالم العلوي والعالم السفلي في قوسي الصعودي والنزولي.

٩- إنها صدر النبي صلى الله عليه وآله، وإن صدره يحمل القرآن دفعة واحدة، وفي ليلة القدر، وهي فاطمة الزهراء.

١٠- لا يعرف قدرها إلا من قدّرها، ولا

يعرف أسرارها إلا من خلقها، ومن أذن له الرحمن.

١١- إنها مفروض الطاعة على الخلق مطلقاً فكيف تكون مفروض الطاعة على الإطلاق وهي غير معصومة؟

١٢- هي حجة الحجج وأسوتهم ـ كما ورد في الأخبار الشريفة.

١٣- إنها مجمع النورين بحديث الأفلاك فحملت بذاك أسرار النبوة والإمامة، وإنها أم أبيها.

١٤- إنها حبل الله الممدود فلابد أن يكون معصوماً، وإلا فكيف يتمسك على الإطلاق بما لم يكن معصوماً؟

١٥- امتحانها بالصبر، وهو أساس الكمال والأخلاق التي منها الزهد.

١٦- علمها اللدني.

١٧- سيرتها وحياتها يفوح منها عطر العصمة الإلهية.

١٨- الآيات والروايات الكثيرة الدالة على فضلها، وعظمتها، وتعلقها بعالم الغيب.

قراءتها القرآن في الخلوات

ويروى أنها عليها السلام كانت تقرأ القرآن الكريم في خلواتها فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سلمان رضي الله عنه إلى منزل فاطمة لحاجة. قال سلمان: فوقفت بالباب وقفة حتى سلمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوا، والرحى تدور من برا، ما عندها أنيس. قال: فعدت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، رأيت أمرًا عظيمًا! فقال: هيه يا سلمان، تكلم بما رأيت وسمعت. قال: وقفت بباب ابنتك يا رسول الله، وسلمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوا، والرحى تدور من برا ما عندها أنيس! قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا سلمان، إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانا إلى مشاشها[٧]، فتفرغت لطاعة الله (عزوجل) فبعث الله ملكًا اسمه (روفائيل)... فأدار لها الرحى فكفاها الله (عز وجل) مؤنة الدنيا مع مؤنة الآخرة)[٨].

من فضائل فاطمة في القرآن

ذكر الله تعالى اثنتي عشرة امرأة في القرآن الكريم على وجه الكناية. قال ابن شهر آشوب: (واعلم أن الله ذكر اثنتي عشرة امرأة في القرآن على وجه الكناية (**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**) (البقرة: ٣٥) حواء، (**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا**) (التحريم: ١٠) امرأة نوح وامرأة لوط، (**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**) (التحريم: ١١) امرأة فرعون، (**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ**) (هود: ٧١) لإبراهيم، (**وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**) (الانبياء: ٩٠) لزكريا، (**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**) (يوسف: ٥١) زليخا، (**وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ**) (الانبياء: ٨٤) لأيوب، (**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**) (النمل: ٢٣) بلقيس، (**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ**) (القصص: ٢٧) لموسى، (**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**) (التحريم: ٣) حفصة وعائشة، (**وَوَجَدَكَ عَائِلًا**) (الضحى: ٨) خديجة، (**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ**) (الرحمن: ١٩) فاطمة عليها السلام)[٩].

وحينما ذكر خصال هؤلاء النساء خصّ سيدة النساء بالعصمة. جاء في المناقب قول ابن شهر آشوب: (ثم ذكرهن بخصال: التوبة من حواء (**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**) (الاعراف: ٢٣)، والشوق من آسية: (**رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**) (التحريم:١١)، والضيافة من سارة: (**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ**)

(هود:٧١) والعقل من بلقيس: (**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً**) (النمل: ٣٤)، والحياء من امرأة موسى: (**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي**) (القصص: ٢٥)، والإحسان من خديجة: (**وَوَجَدَكَ عَائِلًا**) (الضحى:٨)، والنصيحة لعائشة وحفصة: (**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ**) (الاحزاب: ٣٢) إلى قوله: (**وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) (الأحزاب: ٣٣)، والعصمة من فاطمة: (وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) (آل عمران: ٦١)) [١٠].

وكذا خصها بالعلم دون سواها من النساء كما ورد في قول ابن شهر آشوب: (وإن الله تعالى أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحواء زوج آدم، والجمال لسارة زوج ابراهيم، والحفاظ لرحيمة زوج أيوب، والحرمة لآسية زوج فرعون، والحكمة لزليخا زوج يوسف، والعقل لبلقيس زوج سليمان، والصبر لبرحانة أم موسى، والصفوة لمريم أم عيسى، والرضا لخديجة زوج المصطفى، والعلم لفاطمة زوج المرتضى)[١١].

وكذا أعطى الإجابة لعشرة: (**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**) (الصافات: ٧٥)، (**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ**)(يوسف: ٣٤) يوسف، (**قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا**) (يونس: ٨٩) موسى وهارون، (**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ**) (الأنبياء: ٨٨) يونس، (**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ**) (الأنبياء: ٨٤)، أيوب (**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى**) (الأنبياء: ٩٠) زكريا، (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**) (غافر: ٦٠) للمخلصين، (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ**) (النمل:٦٢) للمضطرين، (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي**) (البقرة: ١٨٦) للداعين، (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ**) (آل عمران: ١٩٥) فاطمة وزوجها)[١٢].

علاقة فاطمة بالقرآن

لقد نهجت السيدة الزهراء منهج القرآن فأصبح خطها الرسالي قرآني الفكر، فهي الواصفة للقرآن بأنه (كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدًا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة،...)[١٣]، وهذا ما نراه في مطالبتها لحقوقها المغتصبة فقد جعلت القرآن الكريم مدركاً شرعياً تتحرك بوساطته وتحتج على القوم في ما أخذوه منها[١٤]وهي القائلة :(يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! (**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا**) (مريم: ٢٧) أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**) (النمل: ١٦)! وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال: (**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**) (مريم: ٥-٦)، وقال (**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**) (الانفال: ٧٥)، وقال (**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**) (النساء: ١١)، وقال (**إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**) (البقرة: ١٨٠)، وزعمتم ألّا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟! أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟!، أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم أعلم

بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟!....)[١٥].

كانت الزهراء – روحي فداها – تعيش مع القرآن قلباً وقالباً وفكراً ومنهجاً وروحاً ومؤنساً لها، وهذه الرابطة لم تكن على مستوى عالم الدنيا فحسب بل استمرت علاقتها مع القرآن حتى على مستوى عالم الآخرة؛ وذلك لشدة الترابط والتآصر بينهما فقد أوصت زوجها أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكثر من تلاوة القرآن على قبرها بعد دفنها في قولها: (إذا أنا متُّ فتولَّ أنت غسلي، وجهزني، وصلِ عليّ، وأنزلني قبري، وألحدني، وسوِّ التراب عليّ، واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أنس الاحياء)[١٦].

ويحكى أن فاطمة – روحي فداها – تأتي يوم المحشر، ومعها أمها خديجة بنت خويلد حاملةً المحسن، وكذا معها أم أمير المؤمنين فاطمة بنت أسد، وهن صارخات، وفاطمة تترنم بآيات من الذكر الحكيم من ذلك قوله تعالى (**هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**) (الأنبياء: ١٠٣)، وقوله: (**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً**) (آل عمران:٣٠)، ولهذه الرواية يبكي الإمام الصادق عليه السلام حتى تخضل لحيته بالدموع ثم يقول: (لا قرّت عين لا تبكي عند هذا الذكر. قال: وبكى المفضل بكاءً طويلاً ثم قال: يا مولاي ما في الدموع يا مولاي؟ فقال: ما لا يحصى إذا كان من محق ثمّ قال المفضل: يا مولاي ما تقول في قوله تعالى: (**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**) (التكوير: ٨-٩) قال: يا مفضل والمَوْءُودَة والله محسن؛ لأنه منّا لا غير فمن قال غير هذا فكذبوه)[١٧].

ويروى أن سلمان سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضل فاطمة يوم القيامة: (فأقبل النبي صلى الله عليه وآله عليه ضاحكاً مستبشرًا ثم قال: والذي نفسي بيده إنها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقة رأسها من خشية الله - إلى أن قال: جبرئيل عن يمينها وميكائيل عن شمالها وعلي أمامها والحسن والحسين عليهم السلام وراءها، والله تعالى يكلؤها ويحفظها. فيجوزون في عرصة القيامة، فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: (معاشر الخلائق، غضوا أبصاركم، ونكسوا رؤوسكم، هذه فاطمة بنت محمد نبيكم، زوجة علي إمامكم، أم الحسن والحسين) فتجوز الصراط وعليها ريطتان بيضاوان فإذا دخلت الجنة ونظرت إلى ما أعد الله لها من الكرامة، قرأت: بسم الله الرَّحْمَن الرَّحيم (**الْحَمْدُ لله الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِه لَا يَمَسُّنَا فيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**) (فاطر: ٣٤-٣٥))[١٨].

ولعل من ثمار فاطمة وشغفها بالقرآن أنّ خادمتها فضة كانت حافظة القرآن، ولم تتكلم طوال عشرين سنة بغير القرآن فكانت تعبر عن مقاصدها ليلاً ونهاراً بآيات من التنزيل العزيز■

---

١) ينظر: العترة والقرآن / الشيخ علي الكريمي الجهرمي ٤٩.

٢) فاطمة الزهراء عليها السلام وتر في غمد / سليمان كتاني ١١٩.

٣) دلائل الإمامة/ محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ١٢٤، والمقالة لأم سلمة في حق فاطمة عليها السلام.

٤) ينظر: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ١٧٧.
٥) ينظر: النوران: الزهراء والحوراء/ من محاضرات السيد عادل العلوي ٧٩.
٦) جاء في بحار الأنوار / المجلسي ٢٠/٤٣: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام فدخل عليها فأطال عندها المكث.
٧) المشاش: العظام اللينة ينظر: معجم مقاييس اللغة / ابن فارس، مادة (مشّ) ٢٧١/٥.
٨) دلائل الإمامة ١٣٩.
٩) مناقب آل أبي طالب / ابن شهرآشوب ١٠٣/٣.
١٠) مناقب آل أبي طالب ١٠٣/٣.
١١) بحار الأنوار / المجلسي ٣٤/٤٣.
١٢) مناقب آل أبي طالب ١٠٣/٣.
١٣) الاحتجاج / الشيخ الطبرسي ١٣٤/١.
١٤) ينظر: القرآن وفاطمة / الشيخ طالب الخزاعي ٥٨.
١٥) بحار الأنوار ٢٢٧/٢٩.
١٦) كشف اللثام / الفاضل الهندي ٥٤١/١١.
١٧) بحار الأنوار ٢٣/٥٣.
١٨) مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي الشاهرودي ٢٤٦/٨.

في فضل فاطمة الزهراء سلام الله عليها

* روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (فاطمة حوراء إنسية كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها. ابنتي فاطمة حوراء آدمية).
* عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: (فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلف عنه هوى).
* وقال صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيدها :(من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي بضعة مني هي قلبي وهي روحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني).
* وأيضا عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها).
* وعنه صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني).
* وعنه صلى الله عليه وآله:(إنما فاطمة شجنة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها)
* وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (لولا أن أمير المؤمنين تزوجها لما كان لها كفواً إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه).
* قال الإمام الباقر عليه السلام عن الزهراء عليها السلام:(لقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة).
* وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا).

إضاءات السيرة

معاني التقوى عند الإمام علي عليه السلام

أ.م.د. عباس علي الفحام
كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

ينابيع

لاشك في أن موضوع التقوى مضمون قرآني محض جاء به الإسلام فكرًا مجسدًا بسلوك عملي، لأن التقوى يعني امتزاج النظرية بالتطبيق، وهذا واحد من أسرار عظمة هذا الفكر القرآني الجديد وبقائه حيًا.

لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قدوة للمسلمين وإمامًا للمتقين في فكره ونهجه القرآني، حيث يقول: (وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَأَكْبَادٌ حَرَّى)[1]. وبسبب هذا الارتباط الوثيق لمعنى التقوى بين الفكر والسلوك فقد أكثر الإمام علي من ترديد هذه المعاني في كل مناسبة في خطبه ووصاياه ورسائله وحكمه منتهلًا من القرآن الكريم ما شاء من غير تكلف وتعسر فكان في هذا المعنى وغيره بحق لسان القرآن الناطق. إن كثرة استعمال الإمام عليه السلام لهذه المفردة القرآنية ومشتقاتها من أظهر آثار القرآن الكريم في نهج البلاغة فلفظة (التقوى) ومشتقاتها مثل (المتقين، تقاة، اتقوا، اتق، تقية..) أكثر المفردات تداولًا على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه يحكي القرآن أسلوبًا ومضمونًا وهذه المفردات في القرآن تكثر كثرة ملحوظة.

وللتقوى في القرآن معان مختلفة منها: الإيمان في قوله تعالى: **(وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)** (الفتح: ٢٦)، أي التوحيد، وقوله تعالى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى)** (الحجرات: ٣)، ومنها: التوبة في قوله تعالى: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا)** (الأعراف: ٩٦)، أي تابوا، ومنها: الطاعة في قوله تعالى: **(وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)** (المؤمنون: ٥٢). ومنها: ترك المعصية كقوله تعالى: **(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ)** (البقرة: ١٨٩)، ومنها: الإخلاص في قوله تعالى: **(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)** (الحج:٣٢)، أي من إخلاص القلوب[2].

وجاءت هذه المعاني ظاهرة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فمن التوبة قوله من رسالة إلى معاوية: (فَاتَّقِ اللّٰه فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّه عَلَيْكَ)[٣]. ومن الإخلاص قوله: (وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ)[٤].ومن ترك المعصية قوله: (اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللّٰه فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ)[٥]. وجدير بالذكر أن الإمام عليًا عليه السلام فهم معنى الإيمان من التقوى في الآية السابقة فقاله دون التصريح بلفظ التقوى: (إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ، امْتَحَنَ اللّٰه قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ)[٦].

ومن الآثار البيّنة للقرآن في كلام الإمام عليه السلام كثرة إيصاءاته بالتزود من التقوى في الدنيا والتهيؤ بها للقاء اللّٰه تعالى فهو معنى استقاه من قوله تعالى: **(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)** (البقرة: ١٩٧). فالتقوى تعني الالتزام بأوامر اللّٰه تعالى ونواهيه وهي في عرف الشرع والقرآن عبارة عما يتقى به من النار. والزاد الطعام الذي يتخذ للمسافر، والمزود الوعاء الذي يجعل فيه الزاد، والتزود من الدنيا هو تزود من الأعمال الصالحة.

وعلى عادة أسلوبه عليه السلام في التوسع على الأصل القرآني فقد تعامل مع هذا المعنى تعامل من أبصره وأحسه، فقد كانت تلك الآية الكريمة حاضرة في ذهنه فبنى على أساسها كثيرًا من المعاني والصور الفنية، كقوله موصيًا: (فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى)[٧]، وقوله: **(لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى)**[٨]، وقوله: **(فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا**

مِنَ الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا)[٩]، وقوله: (**فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ**)[١٠]، ويبدو من الواضح أن الإمام عليه السلام يحرص في معانيه القرآنية هذه على الإتيان بلفظة القرآن الأصل وهي (التزود) في دلالة ذكية لإبقاء ذهنية المستمع ضمن الإطار القرآني ليتشارك معه في الفكرة، فهذا المعنى تشترك في اختزانه أذهان المسلمين وهو يستدعيه من ذاكرتهم ليؤثر فيهم غاية التأثير، لذلك جعل يرددها ويدور حولها. ولارتباط لفظة التزود بالـ(التقوى) فقد أصبح الإمام عليه السلام يطلقها على أساس هذا الفهم القرآني كما في أقواله الأخيرة. وأحيانا يضيف إليها ما يرادف لفظ التزود متكلًا على ارتباط هذه اللفظة بمعنى التقوى مثل قوله: (تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ... وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ)[١١]، وقوله في المؤمن: (جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ)[١٢]. ويبدو أن القرآن الكريم هو الذي أوحى إليه في التوسع بمعاني التقوى وتوليد مزيد منها عن طريق خلع المعاني الحسية عليها كما جاء في قوله تعالى: (**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**) (الأعراف: ٢٦)، وقوله تعالى: (**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**) (التوبة: ١٠٨). فحاكى الإمام هذه المعاني الشريفة وتوسع فيها كقوله: (أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ)[١٣]، وقوله: (أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ،...، أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا)[١٤]، وقوله: (إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ)[١٥].

وقال من خطبة في التقوى والمتقين: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ)[١٦]. فعقد مقارنة بين المتقين والعاصين في مفهوم قرآني محض يربط أيما ربط بين التقوى والعمل ولا يجعل من المفاهيم الروحية أمرًا معزولًا عن الحياة. فالمتقون هم الرابحون في الدنيا والآخرة. وقوله (بالزَّادِ الْمُبَلِّغِ) أشار به إلى التقوى. وكلام الإمام عليه السلام ـ إضافة إلى ذلك ـ مستل من قوله تعالى: (**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**) (النحل: ٣٠). ولعلم الإمام بما يراد من معنى (حق تقاته) التي ربما ترد في آيات الكتاب العزيز نحو قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) (آل عمران: ١٠٢). وليقينه بأن التقوى شعور باطني فقد تكرر قوله: (فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ)[١٧]، وقوله:

(وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُم)[١٨]. وقوله (بَرَّزَ مَهَلُهُ) بمعنى فاق أقرانه في أشواطه. وقوله (أَشْعَرَ) من الشعار لا الشعور وهو ثوب القلب واستعير للتقوى كونها (تلازم النفس وتتصل بالقلب). والمعنى اجعلوا التقوى شعارًا لقلوبكم وهو ما دون الدثار والصق بالجسد منه، أو يجوز اجعلوها علامة يعرف بها القلب النقي من القلب المذنب كالشعار في الحرب يعرف به قوم من قوم). وأكد هذا المعنى في موضع آخر فقال: (فَاتَّقُوا اللّه، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِه، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِه..)[١٩]. أي تقية من استجمع أوصاف الإيمان من خوف اللّه وترقب رجائه. وظمأ الهواجر يقصد بها كثرة الصيام في أشد أوقاته. وذكر ذي اللب لأن عمله يصدر عن علم وبصيرة. بل لشدة انصهار معاني التقوى في نفس الإمام عليه السلام فقد كانت كلماته فيها تنفذ إلى القلوب لصدقها وقدرتها على التأثير، جاء في نهج البلاغة أن أحد أصحاب الإمام علي الورعين يقال له همام سأله أن يصف له المتقين كأنه يراهم فنصحه بترك طلبه لكنه أصر، فقرأ الإمام خطبة مرتجلة بين فيها أحوال المتقين وصفاتهم، وما أن انتهى منها حتى صعق لها الرجل صعقة كانت نفسه فيها لشدة تأثره بما سمع ورأى من صور التقوى، فقال الإمام: (أَمَا وَاللّه لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا)[٢٠]. وكانت معظم الصفات التي خلعها أمير المؤمنين عليه السلام على المتقين مستلة من وصف القرآن الكريم لهم كقوله: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّه سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ، غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللّه عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ)[٢١]، فمقدمة كلامه نظر فيها إلى قوله تعالى: (**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**) (الزخرف: ٣٢). فكأنه عليه السلام أخذ الألفاظ فألغاها وأتى بمعناها كما يقول ابن أبي الحديد. أما الصفات التي وسم بها المتقين فهي مستخلصة من الفهم العميق لآيات القرآن الكريم في هذا المعنى، فقوله: (مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ) مستل من قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**) (المؤمنون:٣). وقوله تعالى: (**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**) (الفرقان: ٧٢). أما قوله عليه السلام: (مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ) فهو من قوله تعالى: (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**) (الفرقان: ٦٣)، وقوله عليه السلام: (غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ..) فهو من قوله تعالى: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**) (النور: ٣٠)، وقوله: (**وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ..**) أخذه من معنى قوله تعالى: (**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**) (الزمر: ١١٨). ويمضي الإمام عليه السلام في خطبته فيقول: (أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ

أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ، أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ)[٢٢]، فهذه المعاني التي يرسمها بما وهب من طاقة لغوية لاشك تداعت إلى ذهنه مما اختزن من وصف القرآن العظيم لرسوله وصحبه الأصفياء في قوله تعالى: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)** (الفتح: ٢٩)، وقوله: (يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ) من معنى قوله تعالى: **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)** (الإسراء: ٨٢). ويتابع الإمام عليه السلام كلامه فيقول: (وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ،..، فَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي)[٢٣]. وخوف المؤمنين وخشيتهم من الله تعالى من الصفات التي امتدحها القرآن لهم، كقوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** (الأنفال:٢)، وقوله سبحانه: **(وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)** (الأنبياء:٢٨). وقوله: **(هُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ)** استخلصه من معنى قوله تعالى: **(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)** (يوسف: ٥٣).وإشفاقهم من أعمالهم واتهامهم لأنفسهم لعلمهم بأنه: **(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)** (المائدة: ٢٧). ومجمل الأمر إن حديث التقوى سلوك يومي لدى أمير المؤمنين عليه السلام ابتغى بكثرته أن يجعله ثقافة شائعة بين الناس■

---

١) نهج البلاغة/الامام علي عليه السلام/ج٣ص٧٢.
٢) ظ. الرازي، التفسير الكبير: ٢١/٢.
٣) نهج البلاغة/ج٣ص٣٦.
٤) ن.م/ج٤/ص٩٣.
٥) ن.م/ص٧٧.
٦) ن.م/ج٢ص١٢٩.
٧) ن.م/ص١٨٤.
٨) ن.م/ج١ص٢١٨.
٩) ن.م/ص١١١.
١٠) ن.م/ج٢ص٥٢.
١١) ن.م/ج٢ص١٨٣.
١٢) ن.م/ج١ص١٢٦.
١٣) ن.م/ص٤٨.
١٤) ن.م/ج٢ص٥١.
١٥) ن.م/ج١ص٤٦.
١٦) ن.م/ج٣ص٢٨.
١٧) ن.م/ج٢ص١٥.
١٨) ن.م/ص١٣٥.
١٩) ن.م/ج١ص١٤١.
٢٠) ن.م/ج٢ص١٦٥.
٢١) ن.م/ج٢ص١٦٠.
٢٢) ن.م/ج٢ص١٦٢.
٢٣) ن.م.

الإمام الهادي عليه السلام والمتوكل العباسي

روى المسعودي: أنه سُعيَ بالإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام إلى المتوكل، وقيل له: إن في منزله سلاحًا وكتبًا وغيرها من شيعته، فوجَّه إليه ليلًا من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه وعليه مِدْرَعة من شَعَرٍ، ولا بساط في البيت إلّا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملْحَفة من الصوف متوجهًا إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأُخذ على ما وُجد عليه، وحُمِل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمَه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده، فقال الإمام عليه السلام: ما خامر لحمي ودمي قط، فأعْفِني منه، فعفاه، وقال : أنشدني شعرًا أستحسنه، فقال عليه السلام: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بد أن تنشدني، فأنشده:

باتوا على قُلَلِ الأجـــبالِ تحرسـهم ... غُلْبُ الرجال فما أغنتهمُ القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عــن معاقــلهم ... فأودعوا حُفَراً ، يا بئس ما نزلوا
ناداهُم صارخ من بعــد ما قــبروا ... أين الأسرة والتيجان والحُلَلُ؟
أين الوجوه التـي كانـــت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكِلَلُ؟
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهــم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرًا وما شـــربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمروا دورًا لتحصـــنهم ... ففــارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخـــروا ... فخلفـــوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت مَنازِلُهم قفْرًا مُعَـــطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال : فأشفق كل من حضر على الإمام عليه السلام، وظن أن بادرة تبدر منه إليه، قال : والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلًا حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب، ثم قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دَينٌ ؟

قال عليه السلام: نعم أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، ورده إلى منزله من ساعته مكرمًا.

(مروج الذهب/ المسعودي/ ج٤ ص١١).

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س مال الصدقة أو الهبة أو الهدية وغيرها غير زكاة الفطرة، هل يجوز استبدالها بغيرها كمن أراد أن يتصدق بمال يضعه مع المال الأول وليس معه (فراطة، خردة) فيضع عملة نقدية أكثر قيمة ويأخذ مال الصدقة الأول ويضع بديله، فهل يعد تصرفاً فلا يجوز؟

ج **أما الهبة قبل القبض فليست مملوكة للموهوب وإنما هي على ملك صاحبها فله التصرف فيها وان كانت مقبوضة فلابد من إذنه، وكذا الصدقة فإنها إذا تعينت كصدقة لجهة معينة لم يجز التصرف فيها إلا أن يكون حين التصدق بها نوى إمكان التصرف فيها بالنحو المذكور.**

س لو قبضت الصدقات لفقراء معينين، هل يجوز الأخذ منهم للخير العام مع وجود الوكالة من الفقير؟ وماذا لو كانت بعنوان الفقير؟

ج **إذا كان قصد الدافع إنفاق الفقير المال في شؤونه فلا يجوز الإنفاق في وجه آخر حتى يأذن الفقير، وإذا كان قصده تملك الفقير للمال ثم صرفه كيف يشاء أمكن للجمعية صرفه في الخير العام بعد قبضه عن الفقير لتمليكه ثم صرفه إذا أذن بذلك.**

س أنا مدرسة في مدرسة بعيدة عن منطقة سكني، وأتقاضى راتباً شهرياً قليلاً جداً، أصرف أكثره على أجور نقلي إلى تلك المدرسة، وقد دأبت المدارس بتجميع مبالغ من الطلاب، كلّ طالب يؤخذ منه (٧٥ ديناراً)، وتوزع هذه المبالغ على المدرسين بعنوان أجور نقل لهم، مع العلم ان بعض الطلاب يدفع دون ممانعة والبعض الآخر يدفع بإكراه، فما حكم هذا المال بالنسبة لي، مع العلم أني سوف أترك العمل إذا كان فيه إشكال؟

ج **إذا كان الطلاب يدفعون المبالغ المذكورة عن طيب نفس وتبرعاً منهم فلا بأس بذلك وإلّا فيحرم الأخذ منهم بالقوة والإكراه.**

س هل يجوز مساعدة رجل نشيط يعمل ولكن دخله لا يغطي جميع احتياجاته مع أسرته؟

ج **نعم يجوز.**

س هل يجوز مساعدة الفقير الذي يمتلك (دش)؟

ج **الدش غير مانع من المساعدة إلّا ان يوجب غنى الفقير أو يكون في ترك مساعدته نهياً له عن المنكر، أو يكون موجباً لخروج الفقير عن العنوان الذي عين المال له.**

س شخص أوصى أن يصرف (١٥٠٠٠٠) ليرة لبنانية لقراءة القرآن الكريم، على قبره بحسب العادة الجارية في لبنان أن يقرأ القرآن الكريم، على قبر الميت في الأيام الثلاثة الأولى بعد الدفن ويعبر عنها (مؤنسة)، علماً أنه لم يصرح بالوصية في أن تكون القراءة في الأيام الثلاثة الأولى ولكن المعروف هنا من هذه الوصية ان المقصود بها هو (المؤنسة)، ومرّت فترة على الدفن ولم يصرف هذا المبلغ على هذا النحو، فماذا يفعل في هذا المبلغ وكيف يصرف؟
كما أنه أوصى أن يصرف مبلغ (١٠٠٠٠٠) ليرة بعنوان صلاة الوحشة ليلة الدفن، وأيضاً لم تصرف في حينه، فهل تسقط أم تصرف في مورد آخر؟

ج **تصرف الأموال المذكورة في وجوه البر عن الميت. والأحوط وجوباً في الأولى اختيار قراءة القرآن على القبر، لاحتمال إطلاق الوصية أو ابتناء التقييد بالأيام الثلاثة الأولى على تعدد المطلوب.**

س هل يجوز مساعدة الفقير الذي يمتلك (دش)؟

ج **نعم يجوز ذلك.**

س إذا أوصى الميت بأن يوقف الورثة ذلك البستان ولم يعمل الورثة بذلك ثم صار نصف البستان شارعاً فهل يجب على الورثة ضمان، وما هو المقدار الذي يجب عليهم توقيفه عملاً بالوصية؟

ج **إذا اوصى الميت بأن يوقف الورثة ذلك البستان بنحو يمكن تنفيذه من خلال الباقي فاللازم توقيف الباقي كما إذا اوصى بجعل نصفها حسينية اما إذا اوصى بمنافع النصف على الاشاعة كان المتبقي بين الورثة وبين حق الوصية وعليه فحيث كان حق الوصية في التالف فعليهم ضمانة أيضاً.**

س شخص لا يملك إلا بيت سكناه ومالاً قليلاً لا يتجاوز العشرة آلاف ريال، وجد في ضمن وصيته هذه العبارة (ولبناتي السكنى في المنزل لو حصل ضيم لا سمح الله)، كما أوصى بفاضل ثلثه لوصيّه، وأشهد على هاتين الوصيتين شاهداً، وقد ذكر الشاهد أن الموصي لم يرد في الوصية الأولى كون الإيصاء لبناته بالسكنى في منزله معلّقاً على حصول الضيم لهنّ، وإنما أراد أن خوفه عليهن من جور الزمان وتقلباته بعد موته هو السبب الذي جعله يوصي لهن بذلك:

أ ـ هل الوصية المذكورة صحيحة أم لا؟

ب ـ هل يجوز بيع البيت الذي أوصى لبناته بالسكنى فيه ليأخذ كلّ واحد من الورثة حصته فيه؟

جـ ـ إذا لم يكن البيع جائزاً فما هو الحكم بعد موت البنات؟

د ـ إذا كانت الوصية صحيحة وأرادت بعض البنات البيع فهل يجوز أم يجب إبقاء البيت؟

هـ ـ إذا كانت الوصية صحيحة وأرادت كلّ البنات البيع، فهل يجوز أم يجب إبقاء البيت؟

ج **يظهر من السؤال أن الموصي قد أوصى بثلثه في المبرّات والخيرات وأضاف على ذلك الوصية بالبنات وأن يكون لهن السكن في الدار وعليه فليست الوصية نافذة.**

س رجل مؤمن أو امرأة مؤمنة لم يصوما ولم يصليا ولم يخمسا أو يزكيا أو يحجا نهائياً ثم توفيا، فهل يكون إخراج الخمس ودفع المال لمن يؤدي الفرائض عنهما قبل تقسيم التركة أو بعد التقسيم؟ وإذا تم ذلك قبل التقسيم ولم يبقَ شيء للورثة، فهل ذلك جائز شرعاً؟

ج **يجب إخراج الحجة قبل إعطاء شيء للورثة إذا كان المتوفى مسلماً وقادراً على الحج ولكنه لم يحج، وأما باقي ما ذكر في السؤال فإنه لا يجب إخراجه إلا من الثلث في حالة وجود الوصية بإخراجه من الثلث وفي غير ذلك لا يجب.**

س رجل توفي يملك داراً مؤثثة، وأوصى ولده الأكبر بإخراج الثلث وصرفه في الخيرات ورد المظالم، وقد باع الوصي ثلثي الثلث على أمه بقلادة ذهبية ثم اشتراها لنفسه واشترى باقي الثلث أيضاً على اعتبار أنه سيدفع الثلث بالأقساط، فهل يصح ذلك له أو لا؟ علماً أنه كان لا يملك المال في حينه ثم بدأ يصرف بعض الأموال في مصارف الثلث، فما هو الحكم الشرعي للتصرف المذكور؟ وكيف يحسب الثلث؟

ج **المعاملة المذكورة غير صحيحة ولا يزال الثلث في نفس الدار والأثاث ويمكن احتساب ما دفعه.**

س رجل أجرى المصالحة الشرعية مع جميع ورثته في ماله وأوقف ثلثه النقدي المودع في البنك على أن يستخرج من النماء ثلاثة أثلاث: ثلث للخيرات وثلث للوصي وثلث لأخيه على أن تكون النماءات موزعة على تلك الحصص الثلاث وإن التولية في أصل المال بيد الوصي، وأن ثلث الثلثين لأخ الوصي يتصرف به في مورد الحاجة، وإن لم يكن الوصي ولا أخو الوصي محتاجين فكله خيرات للموصي، مع أنه لم يذكر تحديداً المبلغ أصل المال ولا تحديداً للنماءات، وإنما أوكل الأمر لمعرفة الوصي لمصلحة الإخفاء يعلم بها الوصي، فهل لأخ الوصي المطالبة بتحديد أصل المال مع ملاحظة عدم تسرية النماءات لحق الورثة؟

ج **ليس من حق أخ الوصي المطالبة بتحديد أصل المال بعد أن تعمد الموصي إخفاءه وإيكال الأمر للوصي.**

س امرأة لها ثلاثة أولاد (ذكرين وأنثى) أوصت بوصية مكتوبة قبل وفاتها بعامين، وكانت على خلاف مع ابنتها، ذكرت في الوصية بأن ابنتي لا ترثني ولو بمقدار حَبَّة. ومُلكي للذكور فقط، علماً أن الذكور خارج العراق، ولا ندري متى يعودوا إلى العراق.
السؤال: كيف يتم توزيع الإرث، وما حصة الأنثى إذا كان لها نصيب؟

ج **توزع التركة المذكورة بين أولادها للذكر مثل حظ الأنثيين، ويكون توزيع التركة من خمس حصص، حصتان للذكر الواحد وحصة واحدة للأنثى. نعم لا يجوز التصرف في التركة إلا بمراجعة جميع الورثة.**

حمادي ناجي

حكاية مستبصر

شافعي / رواندا

مولده ونشاته: ولد في رواندا بمدينة تشانكو كاميبي عام ١٩٦٥م، ونشأ في أوساط أسرة تعتنق المذهب الشافعي، فشبّ معتنقاً لهذا المذهب وفق ما كانت تمليه عليه الأجواء من عادات وتقاليد.

يقول حمادي: أتذكر تلك الفترة الحرجة التي غزا فيها المدّ الوهابي بلادنا بشكل واسع، ولا أنسى التأثيرات السلبية التي خلّفها هذا التيار على مجتمعنا، لأنني ـ وكذلك الآخرين ـ كنا نرى من هذا التيار ظاهرة الأنيق الداعي إلى التوحيد، في حين غاب عنا الباطن الحقيقي!، لكنني بالتدريج اكتشفت عبر البحث والدراسة مدى ابتعادهم، عن جادة الحقّ.

يضيف الأخ حمادي: بعد مواجهتي لبعض الشبهات رأيت من الضرورة أن التجئ إلى تحصين نفسي بالمطالعة والدراسة المتأنية للآثار والأخبار الواردة عن النبيّ ﷺ وعن الصحابة، لأنني كنت أعتقد بعدالة جميع الصحابة، فإنّ التاريخ الذي درسناه ركّز هذا المفهوم في أذهاننا بشكل ملفت للنظر. ومن ذلك الحين بدأت أقضي معظم أوقاتي في القراءة، فتفتّحت آفاق رؤيتي وشعرت أنني بذلك أتحرر من الأطر التقليدية التي تحد من انطلاقتي، ومن خلال ذلك اصطدمت بحقائق ووقائع مريرة!، فوجدت نفسي مضطراً لمراجعة الجذور الأولى، لنشوء الاختلاف في أوساط الأمة الإسلامية، ودور الصحابة في ذلك، وسبب تضارب الآثار المروية عنهم، فبذلت قصارى جهدي لحل هذا المأزق.

فقلت في نفسي: إنّ معرفة الرابط بيننا وبين النبيّ الأكرم ﷺ، سوف يدلّني على الشريعة الحقّة التي جاء بها الرسول ﷺ، وإذا بي أجد أنّ الصحابة هم الذين قد زادوا الطين بلة!، فعند تتبعي لروايات الرسول الكريم ﷺ وجدت أنّ قسماً كبيراً منها مروي عن أبي هريرة!. فقلت: لابد وأن يكون هذا الصحابي على إطلاع تام بحالة الرسول ﷺ، لأنه مما لاشك فيه قد قضى شطراً طويلاً من حياته معه ولم يفارقه، ولكن بعد التتبع والبحث وجدت الأمر عكس ذلك تماماً! فإنّ المتتبع لتاريخ أبي هريرة يجد أنّه لم يعاصر النبيّ ﷺ إلا سنة وبضعة أشهر، وأنّه رجل خامل الذكر كان يسترزق بوضعه للأحاديث!.

فقد نشأ أبو هريرة في اليمن وشبّ فيها حتى جاوز الثلاثين من عمره وهو من أهل الجاهلية الذين لم يستضيئوا بنور

الإسلام، ثم هاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة باتفاق أهل الأخبار، ولمّا أسلم لم يكن له: مأوى يأوي إليه فسكن الصفّة، وأخلد إلى الخمول والكسل فكان يعتاش على ما تجود به أيدي المسلمين، كما ذكر البخاري، عن أبي هريرة قوله: كنت أستقري الرجل الآية كي ينقلب بي فيطعمني، وكان من سمات شخصيته أنّه مزّاح وصاحب دعابة، وكان يتملق الناس ويسلّيهم بكثرة مزاحه وكلامه، فتلقفه كعب الأحبار اليهودي وأخذ يلقّنه إسرائيلياته ويغذيه من خرافاته!، فكرع أبو هريرة من هذا المنبع إلى الحدّ الذي قال عنه كعب الأحبار: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة.

وكانت عائشة من أشدّ الناس إنكاراً عليه، حتى قالت عنه: لقد كان رجلاً مهذاراً، وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي.

بقي أبو هريرة على منواله حتى اشتهر في عهد بني أمية الذين امتطوه وجعلوه من وعّاظهم، فإنّ معاوية بن أبي سفيان وجد ضالته فيه، فقربه وحقق له رغباته، واشترى ضميره ليشهد له بالخلافة، وليضع له الأحاديث، ويدلّس له الروايات، وقبل أبو هريرة هذه الصفقة فجعل يروج للأمويين وينشر لهم المناقب المفتعلة، ويطعن على مناوئيهم لاسيما أهل البيت عليهم السلام!، فأكثر أبو هريرة من الإشادة بمن هو ليس أهل لذلك، وشجّع الناس على اتباعهم، فباع آخرته بدنياه!.

ويضيف: بعد بحثي وتتبعي تجلّى لي أنّ السلطات الحاكمة لعبت دوراً مؤثراً في تراث أمتنا الإسلامية، خصوصاً نحن أبناء العامة، فإنّ فقهنا وعقائدنا وتاريخنا كان خاضعاً لإشراف ووصاية السلاطين، في حين أني وجدت التراث الشيعي قد سلم ونجا من هذا الأمر، لأنه تلقى ميراثه من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام الذين اصطفاهم الله لحفظ شريعته وصيانتها من التحريف.

ومن هذا المنطلق وجدت أنّ السبيل الوحيد للنجاة والفوز بسعادة الدارين، هو سلوك نهجهم والانضواء تحت لوائهم، فأعلنت استبصاري عام (١٩٩٦م)، بمدينة تشانكو كاميبي في رواندا، ووفقني الله تعالى للأخذ بيد زوجتي للمذهب الحقّ، عملاً بقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)**

نقل بتصرف: (موسوعة من حياة المستبصرين/مركز الأبحاث العقائدية/ ج١ص٢١٣)

قصيدة في العقيلة زينب عليها السلام
(يا ريشة القلم)

للشاعر الشيخ عبد المهدي مطر

يـا ريـشـةَ القلمِ استفزي واكتبي ... هـل كـان هَـزكِ مثل مـوقـفِ زينبِ
هَـلْ أنـتِ شـاهَـدةٌ عَشيّة صُرِّعتْ ... منها الحُماةُ ضحى حُماةُ الموكبِ
المسرعونَ إذا الوَغى شَبّتْ لظى ... والمخصِبون إذا الثّرى لم يعشبِ
والطالعونَ بصـــدرِ كـلِّ كتيبةٍ ... شَـهْـبـاءَ تـرفـلُ بالحديدِ الاشهبِ
والمانعـــونَ إذا استبيْحَتْ ذمةٌ ... والـذائـدونَ إذا الحِمى لـم يرقبِ
والصادقونَ إذا الـرمـاحُ تَشَاجرتْ ... فَـوْقَ الـصـدورِ بطعنةٍ لـم تكذبِ
ضـربوا عليها مِنْعَةً من بأسِـهم ... فـي غيرِ مائسـةِ القنا لـم تضربِ
وبَنـوا لهـا خِـــدْرًا فماتـوا دونَـه ... كـالأُسـدِ دونَ عرينِها المُتأشبِ
وَقفتْ عليهم كالأضاحيّ صُرِّعُوا ... مـن كـلِّ طـــلّاعِ الـثَـنـيّـةِ أغلبِ
هَـلْ هَـزّها هـذا المقـامُ وهـالها ... كـلا فرشـدٌ ثـابـتٌ لـم يَعْـزبِ
أبَـتْ النبـوّةُ ان تـرى أبنـاءهـا ... مخذولةً وكـــذا أبَـتْ بنتُ النبي

* * *

يـا بنتَ مُقْتَحِمِ الحصونِ وقالعِ ... الـبـابِ الحصينِ بعزمِهِ المتوثّبِ
لَـكِ من مقـامِ الفـاتحينَ تَمنـّعٌ ... لـــولاه عـــرشُ أُمـيّـــةٍ لـم يقلبِ
ليس الأنـوثـــةُ بالتي تعتـاق من ... عـــزم إذا قـال الإلـــهُ لـه اغضب
فـإذا تجمهرتْ النفوسُ وانصتت ... لبلاغة تحكي عليـًا فاخطبي
ودعـي العيونَ وإنْ تَفَجّرَ غيضُها ... تنهل من شجوِ المصابِ بِصَيّبِ
ودعـي القلوب تـثـورُ فـي بركانِها ... حَنَقًا على خطأ الـزمـانِ المذنبِ
فبعضِ يـوم وقـفـةٍ لـكِ هَـدّمـتْ ... مـا قـدْ بنتـهُ أُميـة فـي أحقبِ
وكـــأن عـاصِـفـة الـدمـار بملكهم ... عصفت بـإعـصـار يـثـور بلولبِ

عشرون عامًا يحكمون فأصبحوا ... وكأنهم شادوا السراب بخُلّبِ
إن أوقفوك من الاسارِ بمجلسٍ ... لَعِبَ الغرورُ بوغده المتغلبِ
فلقدْ فضحتِ عقيدةً مستورةً ... فيهم وعمَّت ريبةُ المتريبِ
من قارصِ الكَلِمِ الُممضْ رميتهم ... بأمضِّ لسعًا من حماة العقربِ
فهي النّصولُ يصولُ فيها مُغْضبٌ ... وهي الشفارُ لجدعِ أنفِ الُمعجبِ
وأريتهم نفسًا تعاظم قَدْرُها ... حتى استهان بحكمهم والمنصبِ
فتطامنت للأرضِ شوكةُ طائشٍ ... بَسَطَ النفوذَ بشرقِها والمغربِ
سَلْ هاشمًا هل هانت ابنةُ هاشمٍ ... يومًا وهل فائتْ لقَرعِ مؤنِّبِ
ما الطهرُ تنبحُها كلابُ أُميةً ... كالرجسِ تنبحها كلابُ الحَوأبِ
هذي على صعب المقادةِ ضالعٌ ... سارت وتلك على الفنيق الأدببِ
جملان هذا يستنيرُ بهِ الهُدى ... رُشدًا وذاك من الضلالِ بغَيهَبِ
ولقد شجاني منكِ يا ابنةَ أحمدٍ ... يومٌ متى يبدو لعين تَسكُبِ
يومٌ وقفتِ من الحسين بهِ على ... مُتَجَدّلِ دامي الوريدِ مخضَّبِ
وجمعتِ شملًا من نساءٍ ذعِّرت ... لا يَهتدينَ من الذهول المهربِ
ومُطارداتٍ فَتَّ في أحشائِها ... حَرُّ الأوام وَهَجمةٌ من مُجلِبِ
كم حليةٍ منها بكفّ مُروِّعٍ ... نَهَبًا وَمَلحَفَةٍ بكفَّي مُرعِبِ
هَيماءُ تجمعُها السياطُ لغايةٍ ... فإذا وَنَتْ سيقت بذات الأكعبِ
عَاتٍ يُجشِّمها الركوبُ لضُلّعٍ ... فإذا أبَتْ قالت عصاه لها اركبي
فَرَكبن من شُمسِ النياقِ وهزلها ... وَهُما على الحالين أخشنُ مَركبِ
ما حرةٌ قد كانَ يُزعجُ جَنبَها ... لينُ المِهاد وما ركوبُ الُمصعَبِ
والعيس مُعنفَةُ المسير تَضِجُّ مِن ... حادٍ يُجشِّمها السُرى ومُثَوِّبِ
حتى إذا وقفوا بها مكتوفةَ ... الأيدي متى أعيَت لجُهد تجذَبِ
وكأنها ليست صريخةَ هاشمٍ ... وكأنَّها ليست خلاصةَ يعربِ
والشامُ ترفلُ بالحرير وبالحُلى ... فرحًا وتهزج بالنشيد المطربِ
وهناك ما يدمي النواظرَ والحشى ... مما تصور خسّةُ المتغلبِ

الاختلاف في الرأي والمنهج
وأثره في الحوار

الباحث/ خضير عباس محمد/الكوت

بناية إن الفكر العربي المعاصر وخلال العقود المنصرمة شهد تغيرات كيفية متعددة تحت تأثير العولمة، فأصبح يدور في عالمه دوران الحائر الملهوف. أما واقع فكرنا الإسلامي وفهمه القويم المستمد من منهجية القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام فهو القوة التي تتجه بالإنسان إلى حياة أفضل، وهو منزه من كل ما يأباه العقل ويتصادم مع حقيقة من حقائق الحياة.

الاختلاف في الرأي والمنهج:

من دواعي وجود الحوار هو الاختلاف في الرأي وهو ـ بلا شك ـ أمر غريزي عند البشر (كما أن سد باب المناقشة والبحث العلمي في وجه العلماء والمفكرين يوجب ضمور الفكر وموت العلم)[1] وهذا ما دأب عليه منهجنا المتمثل بأهل البيت عليهم السلام. (إن الإنسان الذي يمتلك روحاً حية وعقلاً دافقاً شعورياً يرتكز في أساسه وتكوينه على التعدد والتنوع حتى يستطيع التكامل والتصاعد عبر التفاعل العقلي

والروحي)[٢].

إن جوهر الاختلاف الذي كثر اللغط حوله بين علماء المسلمين والذي طحنت تحت صخرتي رحاه أرواح الكثير من دعاته وهو اختلاف نابع من العقول التي مهما تعالت فهي قاصرة عن فهم مراد الله جلت قدرته في هذا الكون. فضلاً عن قصرها في الإلمام بكل ما جاء به كتاب الله الكريم وهذا القصور والتفاوت في الفهم أحد المظاهر الجلية الواضحة للاختلاف.

(إن التركيبة التي خلق الله الإنسان على صورتها تقتضي بطبيعتها الاختلاف إذ أن الإنسان وكما هو معروف مركب من العقل والغرائز، وهذه الغرائز لها دور كبير في التحكم بكثير من الناس ما لم يتمكنوا من تهذيبها، وأي إنسان معرّض لارتكاب الأخطاء بل هو كثير الأخطاء إلا من عصمه الله تعالى. وقد وهب الله عباده عقولاً ومقدرات متباينة من شأنها أن تؤدي إلى اختلاف في نظراتهم وأفكارهم ومواقفهم في كثير من الأشياء، لذلك فإن الإسلام يتسع إلى تلك الاختلافات كلها التي تهدد وحدة الأمة، فيكفي أن تتفق الآراء وتلتقي التصورات وتتوحد المواقف إزاء القضايا الكبرى والقواعد الأساسية، أما ما عداها من أمور وقضايا ثانوية يساعد اختلاف الرأي فيها إلى الجنوح نحو الأفضل والأمثل، فلا ضير فيه على أن يكون لهذا الاختلاف ضوابطه وحدوده وقواعده وأدبه وأن لا يؤثر على وحدة فكر الأمة ومواقفها في القضايا الأساسية الكبرى.

ومن ملامح الإنسان هو الاختلاف حول: ماذا؟ ومتى؟ وكيف؟، ومهما حاولوا فإنهم سيختلفون، والاختلاف ليس فقط حول الأهداف بل حول تطبيق الأهداف)[٣]، وهنا يأتي دور العقل السليم والضمير الحي لإدارة هذا الاختلاف نحو الأحسن ونحو الأصح وليصرف التنازع والجدل العقيم.

إن أعداء الإسلام يستخدمون مختلف الأساليب في محاربة الدين الإسلامي الحنيف، وأهمها زرع الفرقة والشقاق، بل وحتى الاقتتال بين أبناء المذهب الواحد، وكما هو معلوم بأن أكبر خطر على الأمة الإسلامية هو الاختلافات التي في داخلها، لأنها تنهك جسد الأمة الإسلامية وتجعلها هدفاً سهلاً لأعدائها وممن يضمرون الشر لها.

إن تعاليم القرآن الكريم في إسلامنا تظل مجرد كلمات مكتوبة ومحفوظة ولا يظهر لها من مفعول إلا إذا تسربت إلى داخل العقل السليم الذي يحمله ذلك الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم. وإلى جانب العقل السليم الضمير الحي، والدين أفضل مكوّن للضمير، فرسالة السماء أقدر على صياغة الإنسان كما أراد له الله عزوجل، ولعل في تغليب الدور الرئيس للإسلام على دوره الفرعي ما يهدئ من معارك التناحر والخصومات بين المسلمين.

إن الاختلافات في الرأي والمناهج وحسب منهجية البحث تنقسم إلى قسمين هما:

أولاً: الاختلاف بين مذاهب المسلمين أنفسهم:

لقد احتلت لغة الحوار مساحة واسعة في الفكر الإسلامي بدءاً بالخطاب القرآني الموجه في قوله تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) (النحل: ١٢٥)

وكذلك في قوله تعالى: (**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**) (الشورى: ١٠) ومروراً بالأحاديث النبوية الشريفة وانتهاءً بأقوال الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

إن مذاهبنا الإسلامية تربطها عقيدة واحدة هي عقيدة الفطرة والتوحيد، وهي الجوهر الذي يحفظ وحدة المسلمين، لأن الإسلام نظام كوني كامل بني على دعامتين، كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة بعد تحقيقها وقد ورد في خطبة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام: (وطاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة)[٢] والقرآن الكريم بخطابه أسس منهجاً واضحاً لعلاج ظاهرة الاختلاف بين المسلمين أنفسهم في الآراء والمواقف والسلوك انطلاقاً من مبدأ الحوار المفتوح ضمن آلية الحوار الحضاري ووفق المنظور الإسلامي وهو الوسيلة المثلى للوصول إلى أفضل النتائج المقنعة بين حاملي وجهات النظر المختلفة أو المنوعة، وقد ذم الله سبحانه وتعالى هذا الاختلاف في كثير من آياته: (**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**) (البقرة: ٢١٣) (**فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ**) (مريم: ٣٧، الزخرف: ٦٥) (**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**) (البقرة: ١٧٦).

وقد ظهر ذلك الاختلاف بوضوح بين المذاهب الإسلامية وما يستتبعه من اختلاف في الفهم لما جاءت به النصوص القرآنية أو الاختلاف في المواقف من أحداث التاريخ الإسلامي أو اختلاف في الأحكام الشرعية على ما فصلته كتب الفقه، كذلك هناك طرق مشتركة في الفهم، والمسلمون مجمعون على حجية القرآن وصيانته من التحريف، وأما السُنّة فإننا نجد أن أكثر من ثمانين بالمائة من روايات الفريقين في التفسير والفقه والعقائد مشتركة، أما في المسائل الأخلاقية فربما بلغت نسبة المشتركات مائة بالمائة، فهذا الاختلاف نسبته تقريباً عشرون بالمائة من روايات في التفسير والفقه والعقائد بين المذاهب، وهذه النسبة في الاختلاف يمكن تفاديها عن طريق الحوارات والمناظرات المفتوحة على طاولة البحث. دون اللجوء إلى الاحتقان والتناحر وسفك الدماء والدمار.

بعض الأسس التي يجب الاعتماد عليها في الحوارات وهي:

١ـ يفضل أن تكون الحوارات شفهية لأنها الفاعلة أكثر من المدونات الورقية.

٢ـ توضيح الأمور بدرجة تبسيطية عالية تحرر الفكر من أي تردد يحول دون إدراك المعاني السامية المركزة لحالة التعايش بين أكثر من فكر.

٣ـ إيجاد صيغة من التواصل مع الآخر الذي ليس من الضروري أن يكون ما يطرحه منسجماً مع ما نطرحه من أفكار وانطباعات.

٤ـ يفضل أن تكون هناك أجواء من الحرية التي بدونها لا يمكن توافر أي حوار حقيقي.

٥ـ الابتعاد عن العصبية والتعصب والتي يأثم صاحبها بسببها حيث يرى الرجل قومه خيراً من خيار قوم آخرين. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (ليس منا من دعا إلى عصبية)[٣] كذلك قوله صلى الله عليه وآله: (لا عصبية في الإسلام)[٤]، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله: (مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ

الْقِيَامَة مَعَ أَعْرَاب الْجَاهليَّة)[٥]، وجاءت هذه الأحاديث استناداً لما ورد في الخطاب القرآني الجليل من الآية المباركة: (**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ**)(التوبة:٩٧)

٦- عدم تعالي الأصوات في مواجهة الرأي الآخر بأسلوب يتراوح بين المرونة والتعصب والتنافس حينما يحتد لابد أن يؤدي إلى خلق أشكال متباينة من مشاعر العداء[٦].

من ملامح الحوار الهادىء أنه بعيد عن الانفعال وعن أي مظهر من مظاهر العنف لحسم قضايا الاختلاف بالطرق السلمية وقد كان التوجيه القرآني رائعاً في هذا المجال في قوله تعالى: (**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**) (فصلت: ٣٤)

ثانياً: اختلاف المسلمين مع الديانات الأخرى:

أصحاب الديانات الأخرى يقسمون إلى قسمين، معتنقي الديانات السماوية أو ما يطلق عليهم القرآن الكريم (أهل الكتاب)، ومعتنقي الديانات والعقائد الأرضية التي هي من صنع البشر.

أما بالنسبة إلى أصحاب الديانات السماوية فقد وضع القرآن الكريم الأسس والقواعد للحوار الهادئ بين المسلمين وغيرهم وفق معطيات مشتركة بين معتنقي هذه الاديان وبين المسلمين، قال تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**) (آل عمران: ٦٤)، وقال أيضًا: (**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (العنكبوت: ٤٦). فقد دعا الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً إلى عبادته لأنه هو الخالق الذي لا شريك له في ملكه (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) (الانبياء:٩٢) (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات:٥٦).

أما أصحاب العقائد والديانات الأخرى والتي هي من صنع البشر، فقد رسم الإسلام خارطة طريق عامة شاملة للتعامل معهم ومع غيرهم وفق مشترك رئيس بينهم ألا وهو (الإنسانية)، باعتبارها القاسم المشترك لجميع البشر، قال أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً الناس: (**فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**)[٧] وهذه يمكن اعتبارها القاعدة الأساسية للحوار والتفاهم ونبذ الخلافات والتعايش السلمي بين الجميع.

وبناءً على هذا فلا خلاف بين المسلمين وغيرهم من معتنقي الديانات السماوية أو غيرها من العقائد والديانات الأخرى وفق هذه المشتركات.إذا كانت النوايا سليمة غايتها تحقيق العدل والمساواة بين أبناء البشر.

إلا أن الأهواء السياسية والتسلط والمصالح والغطرسة والاستعباد قديماً وحديثًا حالت دون إيجاد فرص للحوارات المفتوحة والتوصل إلى مشتركات من شأنها تحقيق السلام والتعايش السلمي لكل مكونات المجتمع الانساني، واستبدلتها بالاحتقان والاختلاف ثم التناحر والتقاتل من أجل بقاء عروشهم وهيمنتهم وتسلطهم.

ولم يحدثنا التاريخ عن ثمة حوارات

بناءة يعتد بها بين مفكري المسلمين وغيرهم إلا اليسير منها كتلك التي حدثت بين الإمام الرضا عليه السلام إبان ولاية عهده في زمن المأمون (فقد ناظر فرقاً ومللًا مختلفة، كان من بينهم علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى، وناظر أيضاً المجوس والصابئة والزنادقة، وناظر أصحاب المقالات من فرق المسلمين المختلفة في مسائل الاعتقاد وأصول الإسلام وشتّى الموارد التي شاع فيها الجدل وكانت متّسعاً للصراع بين المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من سائر الفرق ومحدّثي الأمّة وفقهائها)[٨] (وخرج الإمام عليه السلام في جميع ما تعرّض له من مناظرات ومحاورات منتصراً على خصومه، بما يملكه من إمكانات علمية هائلة، وما يعتمده من الحجّة الواضحة في إثبات الحقّ، والقول الفصل، والبيان المعجز، والأسلوب المنهجي الهادئ)[٩].

وكذلك ما حدث للإمام الحسن العسكري عليه السلام مع الفيلسوف الكندي والتعامل مع الحوار العلمي الهادئ الرصين عندما كان الكندي مشغولاً في البحث عن تناقض القرآن بعدها أعرض عن بحثه بفضل الإمام عليه السلام وتوجيهه في حوار هادئ مفتوح[١٠].

إذن فالإسلام بفكره ونهجه يتقبل الحوارات مع من يريد التحاور معه وبسعة ورحابة صدر وبطرق خارجه عن الفوضوية والتعصب■

---

١) العقيدة الإسلامية / جعفر السبحاني ٣٥٦.

٢) بحث للدكتور نضير الخزرجي بعنوان: (أصالة التعدد مدعاة للتفاضل والسياسة فن إدارة الاختلاف).
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=٢٩٩٩

٣) نفس المصدر السابق.

٤) كيف نتعامل مع القرآن الكريم ص٥٦.

٥) بحار الأنوار/ ج٧٠ ص٢٨٣.

٦) الإسلام والأمن الدولي ص١٩٧.

٧) الكافي للكليني/ج٢ ص٣٠٨.

٨) الاتجاهات التعصبية ص١٠٣.

٩) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ ص٤٢٧.

١٠) موسوعة المصطفى والعترة/ الحاج حسين الشاكري/ ج١٢ص١٠٧.

١١) م.ن.

١٢) راجع: موسوعة الإمام العسكري/ ج٢ص٧٦

في النفس والمجتمع

معالم التربية الاجتماعية في فكر الإمام الرضا عليه السلام

– كتمان السر ومداراة الناس والصبر أنموذجاً –

د. محمد كاظم حسين الفتلاوي
كلية التربية / جامعة الكوفة

تمهيد

كان الجهد الأكبر للأئمة من أهل البيت عليهم السلام موجهاً إلى تهذيب النفوس وبناء الشخصية السوية عن طريق تربية صالحة رسمها الله سبحانه، فكانوا مع كل من يواليهم يبذلون قصارى جهدهم في تعليمه الأحكام الشرعية وتلقينه المعارف المحمدية، ويعرفونه ماله وما عليه، ليحققوا من بناء الفرد بناء المجتمع، إذ أن الفرد هو نواة المجتمع ومن ثم يتحقق البناء الاجتماعي من خلال بناء الفرد بالآخر، والفرد بالمجتمع ككل، وهذا ما سوف نلحظه في الفكر التربوي للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ونظراً إلى الموسوعة الحديثية للإمام عليه السلام النابّة عن فكره التربوي؛ سوف نعكف على تحليل حديث واحد من أحاديثه الشريفة بما ضم من معالم تربوية مهمة وجامعة، وهي مداراة الناس والعفو عنهم والصبر، وكتمان السر، فنلحظ كل هذه المعالم التربوية في فكر الإمام عليه السلام وكيف ربط الإيمان بالتربية الاجتماعية، وجعلها نتيجة له، وهو في قوله عليه السلام: (لا يكون المؤمن

مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال سُنّة من ربِّه وسُنّة من نبيه وسُنّة من وليّه، فأما السنة من ربه فكتمان سره، قال الله عز وجل: (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**) (الجن: ٢٧)، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فإن الله عزوجل أمر نبيه بمداراة الناس، فقال: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**)

أولاً: كتمان السر:

نجد أن الإمام عليه السلام يحث على كتمان السر، ويربي عليه الناس، لما فيه من أهمية بالغة في ترابط لحمة المجتمع، وكذلك عدم إفشاء الفاحشة فيه جراء القيل والقال، ومن ثم توارث الشحناء والبغضاء بين أفراده.

(الأعراف: ١٩٩)، وأما السُنة من وليّه الصبر في البأساء والضراء ما قاله تعالى: (**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) (البقرة: ١٧٧))[1]. مضيفين إليها حديثًا في الأخوة وصلة الرحم لما له من مناسبة في مطلبنا هذا، وعلى النحو الآتي:

واليوم نلحظ أنّ أكثر مشاكلنا تتأتى من إطلاق العنان للسان من دون ضوابط، وإن كثيراً من الناس يرغب في الكلام أكثر من العناية بفن الاستماع، وقد نهى القرآن المجيد عن إفشاء الأسرار، وحث على ستر العيوب، فقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ**

عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النور: ١٩)، إذ أنّ كشف السر ـ العيب ـ يسيء إلى حرمة المجتمع، ويثير الجرأة على ارتكاب المعاصي، ولهذا (أوجب الإسلام ستر العيوب والسبب في ذلك هو ما تقدم من الحيلولة دون انتشار الذنوب في المجتمع، واكتسابها طابع العمومية والشمول)[٢]، ومن أجل الترهيب من إفشاء السر، والترغيب على كتمانه في سبيل بناء المجتمع الإنساني القويم، نجد أنّ الإمام يستعمل هذا الأسلوب في التربية، يقول عليه السلام: (المذيع بالسيئة مخذول والمستتر بالسيئة مغفور له)[٣]. فجعل عليه السلام قبال إذاعة السر الخذلان، وقبال الستر المغفرة.

وكذلك يجعل الإمام عليه السلام علاجاً تربوياً لهذه العلة (إفشاء السر)، لما بدا لهذه العلة من أخطار وخيمة على المجتمع، فنلحظ أنّ الإمام عليه السلام يعالج هذه الرذيلة بالابتعاد عن القيل والقال، والتزام الصمت والاعتصام به، في حالات الانفعال أو المواقف الحرجة، ولقد أشاد الإمام عليه السلام بالصمت فهو عنده من علامات الفقه وباب من أبواب الحكمة ويرى بان له معطيات اجتماعية عديدة، فقال عليه السلام في علامات الفقيه: (الحلم والعلم والصمت إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير)[٤].

ولا عجب أن الصمت مما يرتجى منه صفاء النفس والعقل عن المشاكل، واللسان المهذار أحد الأسباب التي تكدر صفو العلاقات الاجتماعية، وإطلاق العنان للسان كثيراً ما يحصل منه العثرات والزلات ومما لا يحمد عقباه.

وإذا كان ولا بد من القول لأي سبب منه، فإن الإمام عليه السلام يردف قوله التوجيهي إلى اختيار من هم أهل للاستماع، وأهل الحكمة والمشورة، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الإرشاد عندما أردف قوله بقوله تعالى: (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**) (الجن: ٢٦-٢٧)، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية كتمان السر، وكذلك على أهمية اختيار من يُفضي إليه السر، وفي ذلك تخلق بأخلاق الله سبحانه.

ثانياً: مداراة الناس:

لعل من أهم عوامل البناء الاجتماعي بين الأفراد هو رعاية الناس والتلطف بهم، فهذا مما يبعد عن الشحناء والبغضاء، ويشد من أواصر المحبة بينهم، فتتوثق عرى الوئام.

وإن هذه المداراة لا تقف عند حدٍ معين، فهي شاملة لجميع شؤون الحياة، بصغيرها وكبيرها، ولجميع فئات المجتمع، المعلم وتلميذه، الرئيس والمرؤوس، رب الأسرة وأسرته،...، والعلاقة متبادلة بين هذه الأطراف.

وفي ترسيخ هذا المفهوم التربوي نلحظ أنّ الإمام عليه السلام يبلغ في التشديد عليه بأن قرنه بالفرائض على وجه التأكيد والأهمية من حيث الثمار التي يمكن أن تجنى منه، فنلحظه عليه السلام يقول: (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إني آخذك بمداراة الناس، كما آخذك بالفرائض)[٥].

فهذه المداراة ضرورية لاندماج الفرد بالمجتمع، فأي فرد لا يمكن أن ينجح في حياته في المجتمع إذا عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن أن

تنجح حياته أيضاً إذا عاش حياة منعزلة فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة بما يصاب به في النهاية من أمراض نفسية)[٦] ونرجسية مقيته تتأزم بها بنية المجتمع وتتفكك أواصره وتسوده الأنانية، فكانت التربية على مداراة الناس والعناية بهم من أسس الدعوة المحمدية عموماً.

ونلحظ هذه الأهمية واضحة في القرآن المجيد، وتوجيه النبي ﷺ إلى بيانها بصورة عملية، وهو فيما استشهد به الإمام عليه السلام، قال تعالى: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**) (الأعراف: ١٩٩)، فمهمة الإنسان الرسالي أن يتعامل مع الناس بصورة مباشرة، إذ أن فلسفة التربية لا تقف عند حد التنظير، بل ترسم (خطاً عملياً للتعامل مع الناس في أجواء الدعوة، في ما يواجهه من حالات التشنج والتمرد، لان المسألة لدى الرسول أو الداعية ليست مسألة مزاج يبحث عن منفذ للتنفيس، ولكنها مسألة دعوة تفتش عن مدخل إلى فكر الآخرين للحصول على قناعاتهم،...، فلا بد من اتباع الأسلوب الذي يتحرك بالتوازن في عرض الفكرة، وبالتسامح في مواجهة ردود الفعل، وبالتسهيل والتيسير في إعطاء المسؤوليات.

ومن أجل هذا البناء الاجتماعي وديمومته جعل الإمام عليه السلام التواصل مع الناس نصف العقل، إذ قال الإمام عليه السلام: (التودُّد إلى الناس نصف العقل)[٧].

وأدنى تدبر في مقولة الإمام عليه السلام يوضح جلياً أهمية التشديد على هذا الخلق وما يضيفه من أثر في التعامل اليومي للناس، ولعل موقفاً واحداً من واقعنا يكفينا التماس شواهد أخرى، والأمر موكول إلى القارئ للتجربة، فيلحظ البعد الإيجابي في ترميم العلاقات الإنسانية عموماً والإسلامية منها على وجه الخصوص، فيشيع بالتالي جوًا من الحب والتواد مما لا توفره أنظمة ولا قوانين.

وهذا بطبيعة الحال لا يتأتى إلا من خلال التربية العملية، ومداراة القابليات النفسية والجسدية معاً، وهكذا يستطيع المسؤول أن يحقق الأهداف الكبرى، وتسير عجلة الحياة الأسرية منها كمؤسسة اجتماعية أولى، وكذلك المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبهذه المداراة يتجنب المجتمع إرهاصات الخلافات وأزماتها، ومن ثم تتربى في (كل فرد من أفراد هذا المجتمع روح التعلق بالجماعة وعدم القيام بأي عمل من شأنه أن يضر هذا المجتمع أياً كان لون هذا الضرر أو شكله، وانه يُؤثر مصلحة المجتمع على مصلحته الخاصة)[٨]، جراء رسوخ القناعة ومما ناله من المداراة الداعية إلى الفكرة أو المشروع البنائي، وهذه النتيجة تحتاج إلى كثير من الحكمة والدراية، كما نحصل على هكذا تربية بناءة تجمع التنوع والتعدد في بوتقة واحدة، وتخلق مجتمعًا متعايشًا وسلميًا.

ثالثاً: الصبر:

تقدم أنّ الصبر من معالم التربية الإيمانية، وهذه التربية لا تقتصر على العلاقة مع الجانب الغيبي، بل هي أيضاً عملية حركية في الجانب الاجتماعي، إذ أن الإنسان الصبور الحليم في الجانب الاجتماعي هو الذي لا يعجل العصاة بالنقمة، بل يعفو أو يؤخر[٩].

وقد شدد الإمام عليه السلام على التمثل بهذه التربية المهمة، وإنها من خلال الأولياء الصالحين، فقال عليه السلام: (وأما السنة من

وليه الصبر في البأساء والضراء) ـ حديث متقدم ـ ولا يمكن أن نتصور بحال من الأحوال مجتمعًا لا يتمتع بنسبة معينة من الصبر، إذ أن هذه التربية السامية اتفقت عليها الأجناس البشرية عموماً، وأكدتها الشرائع السماوية، وأقرها الحكماء، إلا أن ديننا القويم ومن أجل بناء مجتمع سعيد مترابط أكد كثيراً على ضرورة هذه التربية، كما أنها ليست مما يسهل التخلق بها، فهي خلاف الشهوة الحيوانية الميالة إلى الثورة وردة الفعل الآنية.

فكان أن شجع القرآن المجيد على التزام هذه التربية في آيات عديدة منها ما استشهد به الإمام عليه السلام، وهو قوله تعالى: **(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** (البقرة: ١٧٧).

فهنا دعوة واضحة إلى التخلق بالصبر، وعدم الخروج عن طور الحكمة والأناة عند حدوث ما لا يوافق النفس ورغباتها، ومن ثم التحلي برفيع المبادئ و(الثبات على الشدائد حين تهاجم المصائب أو مقارعة الأقران)[١٠]، واحتمال المكاره من غير جزع أو قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامرَ ونواه، هو (دليل رجاحة العقل وسمو الخلق، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه وسبب الظفر والنجاح والدرع الواقي من شماتة الأعداء والحساد)[١١] والتهور الذي كثيراً يكون مما لا تحمد عقباه، ويخلفه ندم أشد من تحمل الإساءة المفضية إليه، ولات حين مندم.

والتمثل بهذا الخلق (الصبر) يحتاج إلى تربية مستمرة، ومراقبة الإنسان لسلوكه و(تدريب الإرادة بممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهيجان النفسي وبمقاومة الرغبات النفسية الشهوية)[١٢].

وأمثلته العملية كثيرة، يقتصر الباحث هنا على علاقة التجاور وآدابه، وهو مما يبتلى به المجتمع إذا ما راعى حكمة الصبر، يقول الحبيب محمد صلى الله عليه وآله: (ليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن جارك، بل حسن الجوار أن تحتمل أذى جارك)[١٣]، فكان الصبر السمة البارزة لحسن الجوار، وهذا التأكيد مما يعزز أواصر المجتمع الإيماني، ويدعو إلى التحلي بهذه الفضيلة التربوية الخطيرة■

---

١) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٠٧/٧٩.
٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٨/١١.
٣) الكليني، الكافي ٤٢٨/٢.
٤) المصدر نفسه، ١١٣/٢.
٥) علي بن بابوية (ت٣٢٩هـ)، فقه الرضا، ص٣٦٨.
٦) د. مقداد يالجن، دورة التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص٥٦.
٧) الكليني، الكافي، ٦٤٣/٢
٨) د. مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية..، ص٧٣.
٩) ظ: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٤٢٢.
١٠) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٥٤/١.
١١) عبد الحسين راشد معارج، الروايات التفسيرية للإمام الرضا عليه السلام دراسة موضوعية، ص ١٢٩.
١٢) د. مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، ص٥٣.
١٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ٤١٩/٨.

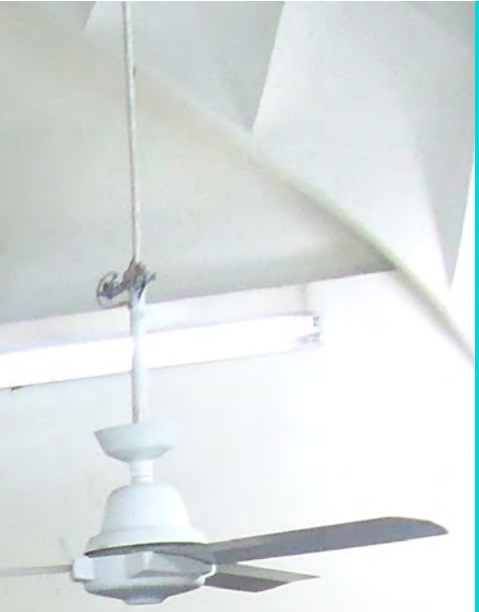

مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية... تراث خالد وحاضر زاهر

استطلاع وتصوير: حيدر الجد

ينابيع

غالباً ما ترتبط عوامل الحضارة عند الشعوب بالثقافة التي تعبّر عن درجة التفوق في المجتمع وما ينتجه من آثار قد تبقى شواهد دالة لمئات السنين إذا لم نقل للآلاف منها على وعيه. وقد تتنوع الصور الثقافية ولكنها جميعاً تصبُّ في مجرى واحد، مجرى التأصيل لعمق التجربة في المجتمع المقصود.

المكتبة العامة صورة من تلكم الصور الثقافية التي تربط الباحثين والرواد من القراء بتجارب وأفكار علماء ومثقفين قد يكون الفاصل بين هؤلاء وتجارب أولئك يتخطى حاجز الزمن من خلال الكتب التي توفرها وتحتفظ بها بين خزاناتها، ومن خلال التنوع في عطاء الأقلام التي رسمت لوحات شتى في العلوم والآداب والفنون.

لقد كانت المكتبة ولا زالت تشكل عنصراً مهماً في حياتنا، فقد ألفناها ملاذاً نستظل في فنائه عندما كنا في مقاعد الدراسة، حيث ننعم بالجو المثالي الذي لا نجده حتى في البيت بعض الأحيان، وكم طالعنا في كتبها عندما كان الأستاذ يطلب منا إعداد تقرير عن موضوع من مواضيع درسه، أو بحث نعده لنتميز فيه عن زملائنا وأقراننا لذا فقد شكلت زيارتنا للمكتبات ودوام التردد عليها ممارسة ممتعة جمعنا فيها بين كسر الروتين الممل لمكان الدراسة، وجلبنا منفعة علمية من خلال إعداد البحث.

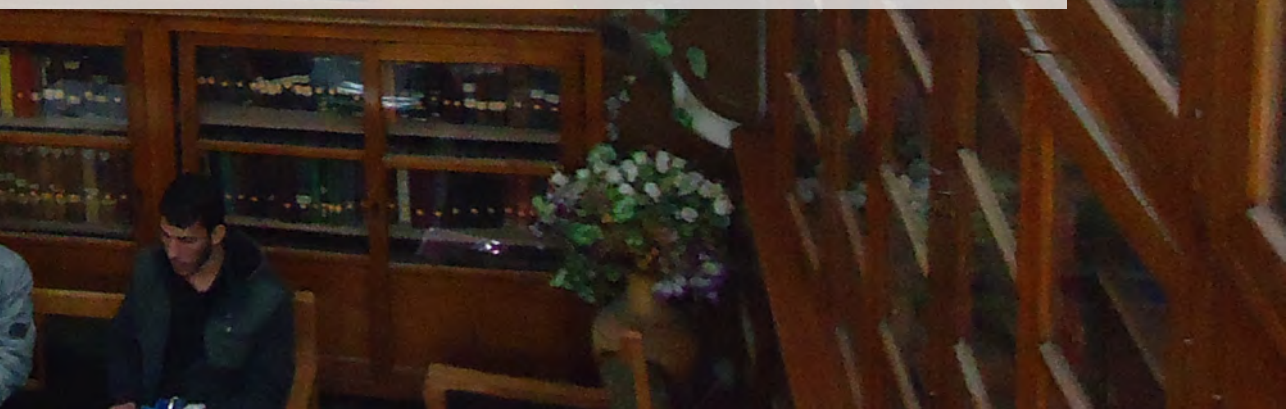

مكتبة الجوادين العامة
مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني
تأسست
سنة ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م

في مدينة الكاظمية المقدسة وبالتحديد في أحد أركان الصحن الكاظمي المقدس تتخذ مكتبة الجوادين العامة عريناً لها، فهي تستلهم من الإمامين الجوادين عليهما السلام روح العلم وتتعطر بعابق الأريج الذي ينفحه المرقد المقدس فتلقي على روادها ومرتاديها أنواراً معرفية، وتمنحهم جواً روحانياً مستمداً من الإمامين المطهرين، لذا حدانا الشوق والاحترام لقيمة المكتبة أن نحل ضيوفاً عليها لنسجل استطلاعاً لمجلتنا (ينابيع) ونتجول بين ثنايا ذاكرتها التي حوت الكثير من حديث الأمس لتبوح به لنا اليوم.

البدايات الأولى:

أسس المكتبة سماحة السيد محمد علي الحسيني الشهرستاني الشهير بـ(هبة الدين)، حيث استقر سكنه في بغداد بعدما كان ساكناً في كربلاء، حيث أصبح وزيراً للمعارف عام ١٩٢١م، إضافة لكونه رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفري حيث يمارس مهام عمله في بغداد العاصمة، وبعد إعلان الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م آثر السيد الشهرستاني الانتقال إلى الكاظمية حيث اصطحب معه مكتبته الخاصة وذلك بتاريخ ١٩٤٠/٦/١٨.

تعد مكتبته الخاصة من أهم المكتبات لما تحتويه من نفائس الكتب سواء ما كان منها المطبوع أم المخطوط، لذا أصبحت محطاً لأنظار الباحثين والمهتمين بالشأن الثقافي والعلمي حيث زارها - حينما كانت ببيت المؤسس السيد الشهرستاني في بغداد- جملة من المفكرين المستشرقين، الذين سمعوا بما تضمه فسعوا بجدهم لكي يطلعوا عليها عن كثب وليتعرفوا على ما يفيدهم في بحوثهم ودراساتهم ومحاضراتهم، منهم:

١- السنيور كارلو الفونسو نالينو (١٨٧٢-١٩٣٨) مستشرق إيطالي طبعت محاضراته بالعربية عن تاريخ علم الفلك عند العرب في روما سنة ١٩١١، كما طبعت له محاضرات عن تاريخ الآداب العربية من الجاهلية وحتى نهاية العصر الأموي، تولت طباعتها ابنته المستشرقة ماريا نالينو، وقد زار العراق عندما كان أستاذاً لعلم الفلك في جامعة القاهرة.

٢- الدكتور لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢) أستاذ مادة التاريخ الإسلامي في جامعة باريس، من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم، شغل مناصب عديدة أهمها سكرتير وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا، له عدة مؤلفات أهمها تاريخ الصوفية، الإسلام والتصوف، تاريخ الكوفة.

٣- الهر جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩) أستاذ الأدب العربي بجامعة برلين، مستشرق وباحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية، متخصص في الفقه الإسلامي، له عدة مؤلفات أهمها بداية الفقه المحمدي في فقه الإمام الشافعي، تحليل نشأة علم الحديث.

٤- الهر هلموت أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة اسطنبول ورئيس جمعية المستشرقين الألمان في اسطنبول.

٥- جيمس نورمان أندرسون أستاذ الشريعة الإسلامية في جماعة أكسفورد وكامبردج.

٦- كلير بانغ: أستاذ تاريخ الشرق الأوسط في جامعة برنستون الأميركية

وحينما انتقل المؤسس بمعية عائلته إلى الكاظمية، اتخذ من جوار الإمامين

الهمامين الكاظمين عليهما السلام سكناً له، حيث كان يؤم المسلمين في الصلاة الجامعة في الصحن الكاظمي المقدس، كما اتخذ حجرة من الحجرات المحيطة بالصحن مركزاً له يستقبل فيه الزائرين والذين يقصدونه رغبة منهم في التزود من علومه ومعارفه خصوصاً في ضحوات الجمع والأمسيات الأسبوعية.

في مطلع الشهر الثامن من سنة ١٩٤٠م عَلِمَ السيد هبة الدين أنّ في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن الكاظمي - وبالتحديد بين باب القبلة وباب المراد- توجد قاعة كبيرة مهملة يتخذها القائمون على خدمة المرقد المقدس مخزناً لحفظ المواد التالفة والمستهلكة، فرغب باتخاذها مكاناً لمكتبته ليجعلها مكتبة عامة تؤدي خدماتها العلمية إلى طلاب العلم والمعرفة قربة إلى الله تعالى حيث نقل السيد المؤسس رغبته للأستاذ رؤوف الكبيسي مدير الأوقاف العام وأعرب فيها عن حاجته لهذه القاعة ليلقي فيها دروسه.

في يوم الأحد ٢٨/رجب/ ١٣٥٩هـ المصادف ١٩٤٠/٩/١ استلم السيد القاعة بعد موافقة مديرية الأوقاف التابعة لمجلس الوزراء يومها حيث وافق رئيس الوزراء رشيد عالي الكَيلاني على الطلب المقدم من قبل السيد المؤسس، حيث تم تنظيف القاعة وترميمها بما يتناسب ومكانة المكتبة مع تزويدها بهاتف لتلبية خدماتها.

انتقل السيد الشهرستاني إليها لتكون

السيد هبة الدين الشهرستاني وإلى يمينه السفير الباكستاني في العراق غضنفر علي شاه وبجانبه الخطيب الشيخ كاظم آل نوح أثناء إهداء مجموعة من الكتب إلى مكتبة الجوادين العامة في سنة (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

مدْرَساً له يلقي فيها على طلبته الدروس صباحاً ومساءً، أما مكتبته فقد نقلها في مطلع سنة ١٩٤١م ليستفيد منها عموم الطلبة وعشاق العلم وجعل دوام المكتبة من الساعة الرابعة عصراً حتى السابعة مساءً من كل يوم، وكانت البداية الرسمية لممارسة المكتبة العامة دورها في تقديم الخدمات للجمهور في ١٩٤٢/١/١م

عهد السيد المؤسس بإدارة المكتبة لولده السيد جواد منذ سنة ١٩٤١ حيث أشرف على إدارتها ثم أصدر السيد المؤسس أمراً رسمياً بتعيين ولده أميناً عاما لها وذلك في ١٩٥٦/١/٢١م حيث جاء فيه:(قررت إناطة إدارة مكتبتي (الجوادين العامة) في الكاظمية إلى ولدي السيد جواد الحسيني الشهرستاني مع استشارتي في شؤونها المهمة وعينته أميناً عاماً لها وناظراً ومسؤولاً عن كل ما يتعلق بشؤونها وخوّلته جميع الصلاحيات اللازمة لإدارتها وتمشية أمورها وتوسعتها متمنياً له التوفيق والنجاح وللمكتبة السعة والازدهار)، وقد أدى السيد جواد الواجب الملقى على عاتقه وحافظ على الأمانة التي جعلها والده بذمته فصانها رغم المخاطر والمخاوف من غلقها أو مصادرة الكتب الموجودة فيها خصوصاً بعد مجي النظام البعثي سنة ١٩٦٨م الذي نصب الحراب اتجاه الفكر الأصيل الحر ووجد في الكتب ومطالعيها عدواً يهدد بناءه بالزوال والانهيار.

في عهد وزير الأوقاف أحمد عبد الستار الجواري بادرت الوزارة إلى ضم قطعة أرض مجاورة للمكتبة بدون بدل

ورصدت مبلغاً لتشييد قاعتين وعدة غرف ودورة مياه صحية خاصة بالمكتبة، تبلغ المساحة المضافة للمكتبة حوالي ٨٨متر مربعاً[1].

مقتطف من سيرة السيد الشهرستاني:

هو السيد محمد علي الشهير بـ (هبة الدين) بن حسين بن محسن بن مرتضى بن محمد بن الأمير علي الكبير الحسيني الحائري، ينتهي نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، وهو من أسرة كربلائية أصيلة لذا عُرف بالحائري نسبة للحائر الحسيني المطهّر، ولد في سامراء سنة ١٣٠١هـ، ونشأ بها على والده المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، والظاهر أن والد السيد كان في جملة من رحل مع السيد محمد حسن المجدد الشيرازي الذي اتخذ سامراء مقراً لمرجعيته، قرأ المترجم له مقدماته الأولية وأكملها قبل البلوغ ورجع مع والده إلى كربلاء - مدينتهم الأم- جدّ في الدرس والتحصيل وعندما توفي والده جاء مع والدته فسكن في النجف وحضر الأبحاث العالية على الملا محمد كاظم الآخوند الخراساني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني.

اكتسب معرفة في علوم شتى منها الفقه وأصوله، الهيئة، الرياضيات، وانتشر حديثه في كافة الأقطار الإسلامية، واتصل بأحرار مصر ثم سافر إليها وأكمل بها دراسته في الفلك، كما ساهم في الثورة العراقية الكبرى وحُكم عليه بالإعدام فسُجن في الحلة تسعة أشهر.

أسس سنة ١٣٢٨هـ مجلة (العلم) وهي أول مجلة صدرت في النجف الأشرف ثم

انتقل بها إلى بغداد، حيث تسلم منصب وزير المعارف أبان العهد الملكي كما أسند إليه منصب رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري وبقي رئيساً له مدة ١٢ عاماً.

ألّف وأكثر في التأليف حتى عُدّ مشاركاً في معظم العلوم الإسلامية، ولم يترك فضيلة إلا وتحلّى بها، فهو فقيه وعالم وكاتب يقظ وما كتبه المطبوعة منها أو المخطوطة إلا دليل على إمكاناته الفائقة والمتميزة[٢].

منجزات المكتبة

شرَع السيد الشهرستاني بتفسير القرآن الكريم في الساعة العاشرة صباحاً من كل يوم في شهري رجب وشعبان سنة ١٩٤٠م، وفي شهر رمضان مساءً حيث قامت إذاعة بغداد حينها بنقل الدرس مباشرة من قاعة المكتبة وقد حضر الدرس بعض المشاهير أمثال رشيد الكَيلاني ومحمد أمين الحسيني مفتي فلسطين وكبار المسؤولين في الدولة.

في مطلع عام ١٩٤٧م أهدى أمير ولاية حيدر آباد الهندية المكتبة ٦٠٠ كتاب من الكتب الإسلامية المطبوعة باللغة الأوردية عن طريق السفارة الهندية في بغداد، وفي عام ١٩٤٨ زار المكتبة أميران من أمراء المقاطعات الهندية وهم (الراجا حيدر خان والراجا محمود آباد) بمعية إحدى الشخصيات الهندية المعروفة فأهدوا للمكتبة خزانات كتب جميلة لجوانبها الثلاثة في القاعة المركزية فرتبت بنسق جميل وأزيلت الرفوف الخشبية البالية.

في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ١٩٨٦هـ المصادف ١٩٦٧/٢/٦م رحل السيد هبة الدين الشهرستاني إلى رحمة الله الواسعة فكان لرحيله أثر كبير في النفوس ولما كان السيد محباً وعاشقاً للعلم أوصى بدفنه في مكتبته وبالفعل تم دفنه في وسط القاعة التي كانت مناراً يشع منها ضياء علومه ومعارفه[٣].

الأدوار التي مرت بها المكتبة:

مرت المكتبة بأربعة أدوار حيث مثل الدور الأول مرحلة التأسيس وما تمخض عنها من إنجازات أثرت المكتبة من حيث تجهيزها بالكتب والخدمات اللازمة الأخرى، كما شكّلت هذه المرحلة بداية لجذب الرواد الذين سيشكلون الجانب الأكبر من الزوار للمكتبة وقد استمرت

هذه المرحلة تقريباً ربع قرن حتى رحيل السيد المؤسس.

بدأت المرحلة الثانية حينما صار السيد جواد السيد هبة الدين الشهرستاني أمينها العام حيث سار على خطى والده في خدمة المكتبة وتقديم كافة التسهيلات للمستفيدين منها، كما حافظ على انتظام انعقاد مجلس المكتبة الشهري والمحاضرات التي تلقى فيه، ولكن في هذه المرحلة تعرضت المكتبة إلى انتكاسة، إذ حاربها البعثيون ومنعوا فتح أبوابها كما منعوا إقامة المحاضرات فيها وكان الجواسيس ورجال الأمن يراقبون كل داخل وخارج للمكتبة، فضلاً عن مراقبتهم السيد جواد الذي ذاق الأمرّين من كثرة المضايقات حتى قرر إغلاق أبوابها على مضض، وظل يتردد عليها وحده ليطمئن على الكتب الموجودة فيها بشكل خاص وعلى وضع المكتبة ككل، هذا والسلطات لا يمكن الوثوق بسكوتها عن المكتبة فلا يدري السيد جواد متى تنقض عليها لتفترس تراثها النفيس وآثارها الخالدة ولكن الله جلت نعماؤه حماها ببركة وجود الإمامين الهمامين الكاظمين عليهما السلام.

شكلت المرحلة الثالثة التي بدأت بسقوط نظام البعث عام ٢٠٠٣م بداية جديدة حيث شمّر السيد جواد عن ساعديه مع أنجاله الكرام ليعيدوا للمكتبة دورها الأصيل ولتعود تخدم الهدف الذي تأسست من أجله فقد توجه إلى ترميم المكتبة وإعادة ما تضرر جرّاء السنين العجاف التي مرت حتى فتحت أبوابها للمطالعين.

أما الدور الرابع فيبدأ برحيل السيد جواد الحسيني الشهرستاني إلى الدار الآخرة في ٢٠٠٨/٨/١٣م حيث أناط

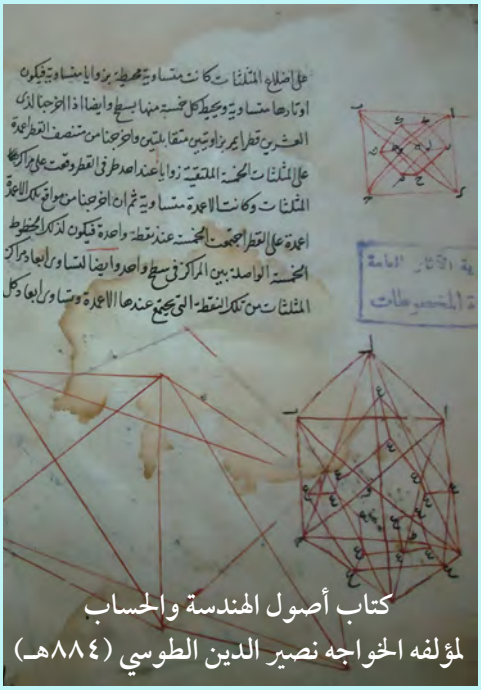

كتاب أصول الهندسة والحساب
لمؤلفه الخواجه نصير الدين الطوسي (٨٨٤هـ)

مهمة إدارة المكتبة بولده السيد محمد إياد الذي سار على نهج والده وجده في تحسين الخدمات المقدمة من قبل المكتبة وتيسير المصادر للباحثين، إضافة لقيامه بإحياء المجلس المنعقد في فناء المكتبة، حيث يعقد في أول يوم خميس من الشهر الميلادي مجلساً يتم خلاله إلقاء محاضرة لأحد الأساتذة أو المختصين في مجالات منوعة من العلم والأدب.

المكتبة في عصرنا الراهن:

منذ أن عاودت المكتبة نشاطها قام السيد جواد الشهرستاني رحمه الله بإدخال النظم الحديثة في أرشفة وفهرسة الكتب والمجلات باستعمال التقنيات الحديثة، حيث خصص جناحاً لذلك، واليوم يسعى السيد محمد إياد لتزويد المكتبة بكل تقنية حديثة من شأنها تطوير عمل المكتبة.

وصف المكتبة:

فهي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن الكاظمي المطهّر، حيث تطل بابها الرئيسة على الإيوان المحاذي للركن المذكور، والداخل عبر الباب يصادفه ممر طولي يقوده إلى قاعة جميلة تبلغ مساحتها حوالي ٤٩ مترًا مربعًا، تعلوها قبّة كبيرة عليها نقوش إسلامية رائعة الصنع، كتبت على الطوق الذي يحيطها من الأسفل سورة الدهر، تحيط بهذه القاعة رفوف جميلة ممتلئة بالكتب الحجرية والثمينة ومنها الكتب الهندية التي نوهنا عنها سابقاً، كما يتوسط القاعة مرقد السيد المؤسس هبة الدين الحسيني الشهرستاني وهو عبارة عن صندوق من الخشب المكسو بالقماش الأخضر الفاخر وقد كُتبت عليه سلسلة نسب السيد الشهرستاني التي تنتهي بزيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام يعلوه مكعب زجاجي يحتوي بداخله عمامة السيد المؤسس.

ينتهي الممر الذي يجتاز القاعة بباحة مغلقة تحتوي على غرفتين وقاعة، الغرفة الأولى معدة لإدارة المكتبة والغرفة الثانية عبارة عن مخزن صغير وتقابل الغرفتين قاعة حديثة تتقدمها باب كبيرة وقد أعدت هذه القاعة للمطالعين لكي ينعموا بجو الهدوء والسكينة مما يوفر جواً مناسباً للدراسة والبحث، تقود الباحة إلى بابٍ كبيرٍ يطل على الشارع المحاذي للصحنِ المطَهر حيث تعلو الباب الخارجية كتيبةٌ بالخط العربي المكتوب على الكاشي الكربلائي المزجج (مكتبة الجوادين العامة، مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني ومقبرته، تأسست سنة ١٩٤١م - ١٣٦١هـ).

تقع بجانب غرفة الإدارة سلالم تقود

السيد هبة الدين الشهرستاني يؤم المصلين في الصحن الكاظمي المطهر

مرتادها إلى الطابق الأول من المكتبة والذي يتكون أيضا من قاعتين، إحداهما خزانة للكتب والأخرى أيضا خزانة للكتب مع فسحة للحاسبات ولعمل الموظفين في تسجيل الكتب الحديثة التي ترد إلى المكتبة عن طريق الإهداء أو الشراء.

محتويات المكتبة:

تحتوي المكتبة على مجموعة من الكتب المخطوطة النادرة منها ٢٠٠ مخطوطة من نفائس مقتنيات السيد الشهرستاني و٣٠٠ مخطوطة أخرى وهي مؤلفاته بخط يده.

أما إجمالي عدد المطبوعات فقد بلغ ثلاثة وعشرين ألف كتاب، حيث تنوعت عناوينها بين حقول العلم والأدب والمعرفة، ولا زالت المكتبة جادة في اقتناء أي مصدر مهم يستفيد منه الباحثون والقرّاء عن طريق الشراء أو الإهداء.

تبقى المكتبة مناراً يشع على المعمورة علماً وعطاءً وتظل جدرانها تشدو بما قاله الشاعر:

أعز مكانٍ في الدنا سرج سابح
وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ

المصادر

(١) الشهرستاني، جواد هبة الدين، كيف تأسست مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية، ملزمة مستنسخة محفوظة في المكتبة.

(٢) الفتلاوي، كاظم عبود، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، ص٥٥٦

(٣) الشهرستاني، جواد هبة الدين، مكتبة الجوادين العامة، نشأتها وآثارها، كراس غير منشور.

قراءات

إطلالة على المدارس التفسيرية في النجف الأشرف

المحامي عبدالرزاق أحمد الشمري
بغداد/ المدائن

ينابيع

يعتبر وصول الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) إلى النجف نقطة تحول في تاريخ هذه المدينة، حيث أنه كان مقيماً في بغداد لدى الشيخ المفيد محمد بن النعمان والشريف المرتضى السيد علي بن الحسين.

وكانت رحلته إلى النجف ٤٥٠هـ على إثر فتنة طائفية أشعلها الملك السلجوقي ـ طغرل بك ـ ببغداد وذلك أول مجيئه إليها، فكان أن أحرقت مكتبته ومؤلفاته التي ألفها في بغداد[١].

ورب ضارة نافعة كما يقال، فإن هيجان تلك الفتنة كانت سبباً في وصول الشيخ الطوسي إلى النجف وتأسيسه لجامعتها العلمية وبناء صرحها الشامخ منذ ذلك التاريخ إلى يوم الناس هذا، فما إن وصل حتى تقاطر على النجف طلاب العلوم الدينية من كافة الأقطار الإسلامية، وبلغ عدد الحاضرين لمجلس الشيخ الطوسي في النجف ما يزيد على ثلاثمائة من العلماء المجتهدين فنشطت الحركة العلمية في هذه المدينة.

وقد قام الشيخ الطوسي خلال إقامته في النجف لمدة عشر سنوات أو تزيد قليلاً بتأليف ما يزيد عن أربعين كتاباً ضخماً في التفسير والأصول والأدعية والكلام والفقه والرجال بدليل أن كل كتبه ومؤلفاته قد أحرقت حينما كبست داره ببغداد إبان الفتنة الطائفية التي حدثت هناك، فكل مؤلفاته الموجودة لدينا هي التي اكتتبها أثناء وجوده في النجف الأشرف.

وهذا كتاب (التبيان في تفسير القرآن) تفسيره الذي كتبه الشيخ الطوسي في أخريات حياته حينما حل في النجف الأشرف، وهذا الكتاب يحظى بقوة ومتانة وقدرة علمية فائقة شأنه شأن أي كتاب جاء تأليفه في سنين مهمة من حياة المؤلف[٢].

وبحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحد ذاك الوقت والتي كان أكثرها مختصرات تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكل ما ذكره المفسرون من قبل وحاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه[٣].

وهو من أهم كتب الشيخ الطوسي

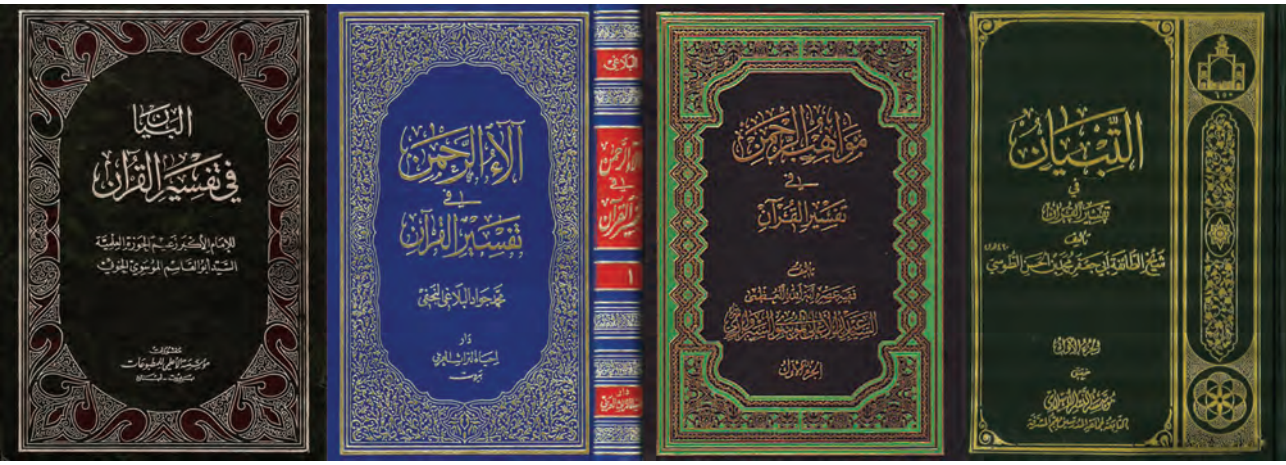

وأشهرها وأكثرها تميزاً، ألفه بنمط جديد ومنهج مبتكر لم يسبق إليه. إذ أنه أول تفسير للإمامية يضم في أبواب متفردة مختلف مباحث التفسير وعلوم القرآن كالقراءات وحجتها والمعاني والإعراب واللغة والنظم وأسباب النزول وغيرها، وقد أشار إلى هذا التفسير كثير من القدامى في تراجمهم للطوسي كالسبكي والصفدي وابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي وجلال الدين السيوطي وغيرهم، ووصفه الصفدي وابن تغري بأنه تفسير كبير كما أشار إليه ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير)[٤].

ويقول مؤلفه شيخ الطائفة الطوسي في مقدمة التفسير: (فهو تفسير وسط جامع شامل حاوياً لمحاسن من تقدمه تاركاً فضول الكلام مما يميل قارئه فجاء في أحسن ترتيب وأجمل تأليف فللّه دره وعلى اللّه أجره).

والذي يهمنا في هذا الأمر بالإضافة إلى الإشارة إلى مزايا هذا التفسير أن نشير إلى تأثير بيئة وطبيعة النجف الأشرف على نفسية الشيخ الطوسي وصقل مواهبه في هذا التفسير مما يؤكد لنا وبلا شك وجود الأجواء الروحية التي تحلق بروح قاطنيها وخصوصاً من طلبة العلوم فتَؤُدي إلى الإبداع في شتى المجالات، ولذلك فقد لقب بـ (شيخ الطائفة) لأنه زعيمها وقائدها وسائقها ومعلمها الأول في مختلف العلوم، فياله من منبع علم ومدخر فضيلة ازدهر به العالم الإسلامي نوراً وعلماً.

إن تفسير القرآن الكريم لا يتسنى لأي إنسان ما لم يكن قد قطع شوطاً في التحرس والإحاطة بجملة من العلوم والقواعد الأولية التي تعتبر من اللوازم الرئيسية للمفسر في خوضه لهذه العملية المعقدة (التفسير).

إن التفسير الرائج في الأجيال الماضية هو تفسير القرآن حسب السور والآيات الواردة في كل سورة (التفسير الترتيبي) فمنهم من سنحت له الفرصة أن يفسر آيات القرآن برمتها ومنهم من لم يسعفه الحظ إلا بتفسير بعض السور وهذا النوع من التفسير يطلق عليه اسم التفسير الترتيبي ينتفع به أكثر شرائح المجتمع الإسلامي وكلٌ حسب استعداده وقابليته[٥].

بيد أن هناك لوناً آخر من التفسير

يطلق عليه اسم التفسير الموضوعي الذي ظهر في العقود الأخيرة واستقطب قسطاً كبيراً في اهتمام العلماء نظراً لأهميته وهو تفسير القرآن الكريم حسب الموضوعات الواردة فيه بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة حول موضوع واحد ثم تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة واحدة وقد أطلق على هذا اللون من التفسير بـ(التفسير الموضوعي)[٦].

وأول من طرق هذا الباب لفيف من علماء الشيعة الإمامية عند تفسيرهم لآيات الأحكام الشرعية المتعلقة بعمل المكلف في حياته الفردية والاجتماعية وهذا يقوم على جمع الآيات المتفرقة والراجعة إلى موضوع واحد في مبحث واحد فيفسرون ما يرجع إلى الطهارة في القرآن في باب واحد وكذلك ما يرجع إلى الصلاة في باب واحد وهكذا.

إن ما تميزت به النجف الأشرف من أجواء جعلها مركز استقطاب عشاق الطبيعة الخلابة والهواء المعتدل النقي وما تميزت به من حراك علمي لم يفقد في يوم من الأيام ووجود مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أعطى هذه المدينة هذا الزخم العلمي المتحرك.

فالنجف الأشرف ومنذ أن حلّ عليها الشيخ الطوسي وإلى يومنا الحاضر ـ وبتوفيق من الله لها ـ استمرت في هذا النشاط العلمي، وهذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها أو يتجاوزها أحد من الناس[٧].

وهذا الوضع التاريخي لهذه المدينة العظيمة كانت له آثار ومداليل على الناحية العلمية والتراث العلمي باعتبار أن كبار علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام تخرجوا من هذه الحوزة العلمية ولا سيما في القرون الثلاثة الأخيرة حيث كان النشاط العلمي في أوجه ومثّل مرحلة كبيرة في حركة الجانب العلمي.

وهذا ما أتاح المجال لظهور وبروز طاقات استثنائية في كافة العلوم العقلية والنقلية، وما يهمنا هنا هو دور هذه المدينة وإسهاماتها في إثراء المدرسة والدراسات القرآنية، وقد نوّهنا عن الأسبقية لهذه المدرسة القرآنية بوضع بواكير التفسير الموضوعي.

إن الدراسة القرآنية ولا سيما (علم التفسير) قد انتعش وازدهر في أروقة هذه المدينة، وما دام في القرآن حقائق علمية وعقلية تستطيع البشرية فهمها ـ كلما تقدمت الحياة وتوغلت في المعرفة ـ فمن الضرورة القصوى لذلك متابعة فهم القرآن وفق هذا التقدم والاغتراف من معينه وبذل الجهد في معرفته وفهمه يوماً بعد يوم، ثم من الضرورة القصوى الوقوف إلى جانبه والحفاظ على ما خلف للبشرية من شريعة وعقل وحضارة[٨].

وهذه الحقيقة آمن بها أسلافنا وهي السر الذي دفع بهم إلى العناية المتواصلة بالقرآن والبحث عن كنوزه واستجلاء أسراره ومعانيه فقام المفسر بما يحسن من التفسير ونهض كل دارس بما يستوعب من قدرة على التعبير..

ومن هذا التفاسير الفريدة ـ تفسير (البيان في تفسير القرآن) وهو وإن لم يتجاوز فاتحة الكتاب إلا أنه سيظل منهجاً نموذجيا يترسمه كل مفسر معاصر يستهدف فهم القرآن فهما ذاتياً منبعه القرآن وهو يفسر كلام الله المنزل الذي دل على ذاته بذاته ويستدر فهمه من المنبع الذي يستأثر منه الوحي الإلهي بأسلوبه

الواضح النير[٩].

ومن المحاولات التفسيرية الرائدة في النجف الأشرف تفسير (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) لمؤلفه العالم الكبير آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢) والذي قضى حياته الكريمة في الدفاع والنضال عن حامية الإسلام بقلمه وفكره وله في كلا المجالين مواقف مشهودة، وهذا التفسير من أدق مؤلفاته وأمتنها، لكنه من المؤسف جداً أن الأجل لم يمهله فقضى نحبه عند بلوغه قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**) (النساء: ٥٧).. فأكمل تفسير الآية ولحق ربه الكريم ليوفيه أجره حسبما وعد في الآية الكريمة إذا وعد وفى....[١٠].

وكان شيخنا العلامة البلاغي عارفاً باللغات العبرية والانجليزية والفارسية إلى جانب لغته العربية مُجيداً فيها... وتفسيره هذا هادف إلى بيان حقائق كلامه تعالى وإبداء رسالة القرآن في أسلوب سهل ويكفي أن مقدمة التفسير تصلح أن تكون دراسة متكاملة تناولت كل ما يتعلق بإعجاز القرآن وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وصيانته من التحريف وغير ذلك، وقد طبعت مستقلة في تفسير العلامة عبدالله شبر مرارًا[١١].

ومن المحاولات التفسيرية المهمة في مدرسة النجف الأشرف هي محاولة آية الله السيد عبدالأعلى السبزواري ﷺ في كتابه (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) وقد أفاض في دراسة وتفسير القرآن والإحاطة بكل جوانبه اللغوية والتاريخية والاعجازية والفلسفية والعرفانية... وهذه الميزة الأخيرة أهم ميزة في هذا التفسير...

وكذلك فإن المحاولات الجادة في التفسير ومنها تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي (١٣٢١ـ ١٤٠٢هـ) فإنها تسجل لمدينة النجف الأشرف والذي يعتبر من أهم التفاسير التي ظهرت في المكتبة الإسلامية الشيعية والذي اعتمد على أسلوب التفسير بالقرآن.

هذه إلمامة سريعة بأهم المدارس التفسيرية التي احتضنتها مدينة النجف الأشرف وتأثرت بمدارسها وإن كان مؤلفوها قد فارقوا النجف الأشرف إلا أن التأثير ظل لفترة طويلة في مؤلفاتهم■

---

١) حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري/د.عبد الصاحب الموسوي ـ ص٣٨.
٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب المحقق هادي معرفة ج٢، ص٣٧٥.
٣) المصدر نفسه ص٣٧٦
٤) منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن الكريم ص١٩، د. كاصد ياسر الزيدي.
٥) مفاهيم القرآن ـ آية الله جعفر السبحاني ـ ج١ ص٨.
٦) نفس المصدر ص٨ـ ٩.
٧) انظر ماضي النجف وحاضرها الشيخ جعفر باقر آل محبوبة ص٤.
٨) موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية ـ السيد محمد باقر الحكيم ﷺ ج١ ص (٣٨٦ـ ٣٨٧).
٩) راجع البيان في تفسير القرآن ـ آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي ﷺ.
١٠) م.ن.
١١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ـ محمد هادي معرفة ج٢ـ ص٤٣٧ـ ٤٣٩.

قراءات

قراءة في الاتساق الذاتي للقرآن الكريم والكتب القديمة

الباحث: هادي عبد الأمير الحيدري

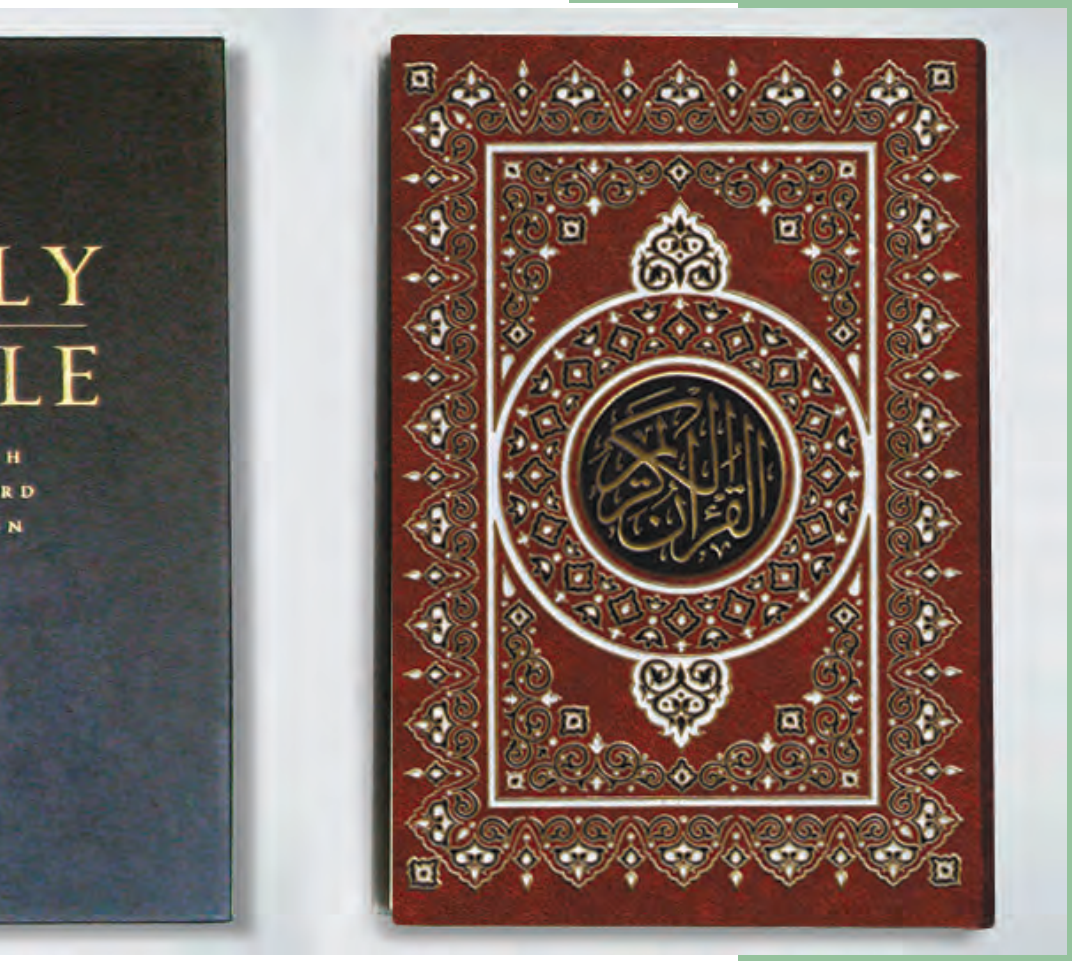

ينابيع نحن نعلم أن القرآن الكريم قد نزل بشكل إنزال دفعي إلى السماء الدنيا مرة واحدة، كما في قوله تعالى: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**) (البقرة: ١٨٥) ونزل منجماً كما في قوله تعالى: (**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**) (الإسراء: ١٠٦).

التنزيل يفيد التدريج. أما عن كُتّاب الوحي فكان لرسول الله ﷺ كتاب للوحي على رأسهم الإمام علي عليه السلام ويشهد الفريقان بأن القرآن كله كتب في عهد الرسول ﷺ إلا أن السيوطي يقول: (وكان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور)، ويقول البعض إن القرآن جمع ثلاث مرات الأولى في عهد النبي ﷺ والثانية في عهد الخليفة الأول والثالثة في عهد الخليفة الثالث. لكننا نعرف أن القرآن كان ينزل على الرسول ﷺ فيحفظه ويبلغه الناس ويأمر كتّاب الوحي بكتابته ويدلهم على موضع المكتوب من سوره فيقول لهم، ضعوا هذه السورة

بجانب تلك وهذا الآية بإزاء تلك الآية، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى إلّا والقرآن كله مكتوب، وإن أحداً لم يجمع القرآن إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام كما جاء في بصائر الدرجات: حدثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي مقدام عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن كله كما أنزل اللّه إلا كذاب وما جمعه ولا حفظه كما أنزله اللّه إلّا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام[1].

وعن سالم بن أبي سلمة قال قرأ رجل على أبي عبد اللّه عليه السلام وأنا أسمع حروفًا من القرآن ليس على ما يقرأها الناس فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: (مه مه كفّ عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام فقرأ كتاب اللّه على حدّه وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام وأخرجه إلى الناس حيث فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب اللّه كما أنزل اللّه على محمد وقد جمعته بين اللوحين، قالوا هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، قال: أما واللّه لا ترونه بعد يومكم هذا أبدًا إنما كان عليّ أن أخبركم به حين جمعته لتقرؤوه).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: ما يستطيع أحد يقول جمع القرآن كله غير الأوصياء[2].

إذن ما قال أحد أنه جمع القرآن غير أهل البيت عليهم السلام إلا وكذب، إذ أننا نعرف أن أهل البيت عليهم السلام أعرف ما في البيت من غيرهم. أما القول بالأحرف السبعة، فعن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال عليه السلام: (كذبوا أعداء اللّه، ولكنه واحد نزل من عند الواحد). وإن السيد الخوئي قدس سره يقول: (إن الأحرف يراد بها الأبواب السبعة وهي الزجر والأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال)[3] كما أن صدور المؤمنين كانت أناجيلهم إذ كان يجمع في الصدور. وقال سبحانه (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: ٩).

وإذا شكّ أحد في القرآن ليأخذ نسخة من شرق الدنيا وأخرى من غربها سيجدها متطابقة وحتى بما موجود منه في الصدور. إذ ليس في الإنسانية شيء أصدق وأصح من القرآن، وإن الذي معنا منه هو بعينه الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله إلى العالم. لماذا، لأنه مسند من اللّه.

الرسول الأعظم في نظر مفكري الغرب:

يقول مايكل هارت في مقدمة كتابه (أعظم مائة رجل من التاريخ): إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

ويقول المستشرق المجري إيليوس جرمانوس الذي أسلم وحج إلى بيت اللّه الحرام في كتابه (اللّه أكبر): إن تعاليم القرآن هي أوامر اللّه، وهي مرشد أبدي للبشر، إنه كتاب ملؤه الصراحة والوضوح لمن صدقت رغبته في تفهمه، وإن محمدا لأعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ مؤيد بوحي من عند اللّه، ونحن مأمورون أن نفهم تعاليمه، ونطبقها على شؤون حياتنا الدنيوية مع الإيمان بأن ما أوحى به اللّه، إنما هو أساس لا يهتز ولا يتعثر لكونه إلهيا، ولقد أخطأ المسيحيون إذ لم يفهموا الإسلام على حقيقته، وبالتالي لم يتشبعوا بروحه.

ويقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): (إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم فإن محمدًا كان من أعظم من عرفهم التاريخ...إنني لا أدعو إلى بدعة مستحدثة، ولا إلى ضلالة مستهجنة، بل إلى دين عربي قويم، أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ فكان أميناً على رسالته، حريصًا على بث دعوته.

الاتساق الذاتي:

أولاً: انعدام الاتساق الذاتي في التوراة، فالاتساق الذاتي معناه أن يخلو الكتاب من أي تناقض في نصوصه ومعانيه، وهذه الدراسة من داخل الكتاب نفسه، إذ لا يعقل لكاتب أن يكتب كتابات متناقضة.

تناقضات في التوراة، ومنها: تناقض في بيان أولاد بنيامين. تناقض في ميراث موسى لأرض بني عمون. تناقض في سفر التكوين بين الإصحاح السادس والسابع، في الأول نقرأ البهائم الطاهرة وغير الطاهرة، أما الثاني من نفس السفر الطاهرة فقط، وهناك تناقض في عدد ركاب سفينة نوح وزمان استقرارها، البعض يرى الشهر السابع، وغيره يراه الشهر العاشر، هناك تناقض في أخذ الأبناء بذنب الآباء[٤]، ونكتفي بهذا. أما كيف تعددت التوراة: بعد عام ٥٨٦ق. م وهي سنة السبي البابلي حيث ظلت التوراة على حالها إلى ذلك الوقت، وبعدها فكر العلماء الذين اتخذوا لهم مكانة بالمكر والخداع في بلاط الحاكم الفاتح على تحريف التوراة وكتابتها من جديد، إذًا التوراة محرفة[٥]. وكذلك الترجمة أدت إلى التحريف وبشكل متعمد حتى يعود الناس إلى العبرانية، والرومان أخذوا التوراة اليونانية المحرفة وفضلوها على غيرها[٦] من كل ذلك نلاحظ تناقضًا وعدم اتساق ذاتي في التوراة اليونانية والعبرانية والسامرية[٧].

ثانياً: انعدام الاتساق الذاتي في الأناجيل.

هنا سنناقش الأناجيل الأربعة لأنها الأساس عندهم، فإذا ما تهاوت تهاوى الجميع.

يقول القس تورميدا: (الأربعة الذين كتبوا الأناجيل اختلفوا في أشياء كثيرة، وذلك دليل على كذبهم، فلو كانوا على الحق ما اختلفوا في شيء)[٨] (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**) (النساء: ٨٢)، ويقول شارل جنبير: (وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم[٩].

ومن خلال التناقضات الواردة في الاناجيل لا يمكن اعتمادها كتباً تاريخية فضلاً عن اعتمادها كتبًا إلهية.

وإن اعتماد كاتب لأحد الأناجيل على ما رواه كاتب إنجيل آخر، كان أولى به أن يوجد تالفاً بين الأناجيل، ويمنع التناقض والاختلاف بينها، لكن الذي حصل عكس ذلك وهذا يكفي لرفض ما ذكره أحد الأناجيل، إذا أخذنا برواية الإنجيل الآخر، أيهما نأخذ به وأيهما نرفض؟[١٠] والقول العلم عند الله أفضل. وعلى هذا الأساس نحن لا نعتبر ولا نعتقد أن ما في هذه الأناجيل وحيٌ من السماء، بل لا نعتبر الذين كتبوها معصومين ولا أنبياء ولا من تلاميذ المسيح. ويقول القس تورميدا: (اعلموا إن الذين كتبوا الأناجيل أربعة، وإن هؤلاء هم

الذين أفسدوا دين عيسى، وزادوا ونقصوا وبدلوا كلام الله تعالى وليس هؤلاء من الحواريين)[١١] ومن الصعوبة التوفيق بين المتناقضات في الكتاب المقدس، ولهذا يقول: القس تورميدا: إني أتحدى من ينجح في هذه المهمة[١٢]، ويستمر قائلاً: (إن القرآن منذ ١٤٠٠عام بيّنَ أن أهل الكتاب ضيعوا الوحي الإلهي وحرفوه. وهناك ثلاث آيات يقول الله فيها: (**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ**) (النساء: ٤٦)، والثانية: (**تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ**) (الأنعام: ٩١)، والثالثة: (**فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ**) (المائدة: ١٤).

هل بعد ذلكَ يقال عن أسفارهم وأناجيلهم أنها كتب مقدسة؟

ثالثاً: الاتساق الذاتي في القرآن:

إن وصول القرآن بسند متصل عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عليه السلام عن الله (عز وجل) دون تغيير ولا تبديل يقره المسلمون وغيرهم، ونسخ القرآن إلى اليوم بلغته التي نزل بها، وتلاوته بالطريقة التي نقلت عن رسول الله ﷺ متواترة حتى اليوم، لَمنْ أقوى الأدلة على صحته، وإن تنزيه القرآن عن التناقض والتضاد بين الآيات لدليل واضح على أنه كلام الله تعالى، وإلا وجدنا فيه اختلافاً كثيراً، والقرآن بهذا الوصف يختلف عن التوراة والإنجيل. وعليه نستطيع أن نقول: إن القرآن نسخة واحدة، بلغة واحدة، من رب واحد، من شخص واحد، اسمه محمد بن عبدالله ﷺ، وهذا دليل على اتساق القرآن.

الاتساق في ترتيب القرآن

يختلف ترتيب القرآن في النزول عنه في المصحف وذلك لتحقيق الهدف في كلا الترتيبين إذ لكل منهما أسراره. إن القرآن نزل في (٢٣سنة) منجماً بحسب الوقائع والأحداث وما يحتاج إليه من أحكام ليثبت به قلوب المؤمنين.

أولاً: القرآن في ترتيبه النزولي منهج دعوة لتأسيس دين الله بين قوم لا يدينون بالحق ومنهج تربية لأمة مختارة ومصطفاة لنشر هذا الدين.

ثانياً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ قال الكفار لو أنزل عليه كما في باقي الأديان جملة واحدة، فأجاب الله تعالى: (**كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**) (الفرقان: ٣٢).

ثالثاً: لتثبيت أفئدة المؤمنين: فإنهم في بداية الدعوة يصيبون ويخطئون وإن نزول القرآن مدرجاً يلفت أنظارهم ويرشدهم كخطئهم يوم حنين إذ أعجبتهم كثرتهم ويوم أحد وذلك ليبلغ بهم الكمال للتحلي بالعقيدة الحقة.

الترتيب المصحفي والنبوءات والشكوك

الآيات التي نزلت منجمة أعيد ترتيبها مرة أخرى وتنسيقها، فوضعت الآية بجانب أختها فتكونت السور والسورة بجانب أختها حتى اكتمل القرآن، وكل ذلك بأمر الرسول ﷺ بوصية من جبرائيل عليه السلام عن الله. فكان هناك دقة في الترتيب ودرجة عليا للبلاغة التي أخرست البلغاء، وإن هذين الاتساقين دليل على أنه أحسن الحديث.

رابعاً: اتساقه مع النبوءات: مثال ذلك أن المسيحية تنبأت بنهاية العالم في نهاية القرن الأول الميلادي ولم يحدث حتى اليوم (فإني الحق أقول لكم، لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان) أي الخلق الجديد[١٣]، أما القرآن على العكس، تحققت نبوءاته حرفاً حرفاً، وهذا الواقع

يكفي لإثبات أن الكلام صادر من عقل وراء الطبيعة، وهو يعرف ما يحدث منذ الأزل إلى الأبد وساق لذلك أمثلة كثيرة منها: (**كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**)(المجادلة: ٢١) وقوله: (**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**) (الصف: ٨) ولم تمض على هذه البشرى أيامٌ طويلة، حتى وجد المسلمون الجزيرة تحت أقدامهم، ووعد القرآن بنصر الروم وتحقق ذلك الوعد.

أما عن الشُبَهْ وادعاء التناقض: فمن الشبه التي تثار من قبل المستشرقين هي حول القراءات السبعة، وأجبنا عليها سابقاً بقول الإمام أبي عبد الله عليه السلام: كذب من قال ذلك والقرآن نزل بحرف واحد والقراءة واحدة، إن ما كتب في عصر النبي صلى الله عليه وآله سَلِمَ من التغير ولم تجر عليه الحروف السبعة، وبعد النبي صلى الله عليه وآله هناك أولياء الله المنَصّبون من الله لردّ الشبهات والشكوك ولا يُؤخذ من غيرهم، وهذه الشكوك لا تفسد الدين خصوصاً إذا علمنا من تعدد اللهجات وإن ذلك لم ينقص من المعنى شيء. أما القول عن تأويل في المتشابه: هناك البعض الذين يحرفون الكلم عن مواضعه خصوصاً في المتشابه فإن ذلك لا يضر ما دام هناك حماة لهذا الكتاب، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بيته بأنهم حفظة الكتاب وتراجمته بقوله: (أنّهم حفظة الكتاب والمترجمون عنه بما لا يعلمه غيرهم)[١٤].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وما من آية من كتاب الله نزلت في ليل أو نهار أو سهل أو جبل أو حضر أو سفر مكيها ومدنيها إلا وأنا عالم بتفسيرها وتأويلها وناسخها ومنسوخها)[١٥]، وقد قال عليه السلام: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، وفي سهل أم في جبل، والله ما أنزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من أنزلت، وإنّ ربّي وهب لي لسانًا طلقًا وقلبًا عقولًا)[١٦].

وكذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: (عندنا والله علم الكتاب كله)[١٧].

وهكذا بقي الأئمة عليهم السلام ينقلون القرآن واحداً بعد آخر، وجاء بعدهم العلماء الفقهاء، ولذا بقي قرآننا محفوظاً مصوناً لم يدخله تحريف أو زيغ.

(**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) (الإسراء: ٨٨)،(**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) (فصلت: ٤٢)■

---

١) بصائر الدرجات/ص٢١٣.
٢) م.ن/ص٢١٤
٣) مجلة مآب/عدد ٨ سنة ٢٠٠٨/ص٦٢-٦٣.
٤) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف/د.يحيى محمد علي/ص٢٢٦.
٥) م.ن/ص٢٦١.
٦) م.ن.
٧) نقد التوراة/ص١١٢.
٨) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب/ تورميدا/ص١١١.
٩) المسيحية نشأتها وتطورها/ت:عبد الحليم محمود/ص٣٧.
١٠) الفرق بين المخلوق والخالق/ص٩.
١١) تحفة الأريب/ص٦١.
١٢) م.ن/ص١١٩.
١٣) الإسلام يتحدى/وحيد الدين خان/ص١١١.
١٤) عمدة عيون صحاح الأخبار/ابن بطريق/ص١١٨.
١٥) منار الهدى/علي البحراني/ص٧١.
١٦) أسد الغابة ٤: ٢٢. وينابيع المودة ١: ٦٥. ومناقب الخوارزمي: ٩١، ح ٨٥.
١٧) روضة المتقين/المجلسي الأول/ج١٣ص١١٠.

في الذاكرة

شهر رجب الأصب

١ ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام عام ٥٧ هـ، في المدينة المنورة.

٢ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام عام ٢١٤ هـ (على رواية) في المدينة المنورة.

٣ استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ مسمومًا على يد المعتمد العباسي.

٥ استشهاد النحوي الإمامي ابن السكيت على يد المتوكل العباسي.

٨ ولادة الحر العاملي عام ١٠٣٣هـ. صاحب كتاب وسائل الشيعة.

٩ هلاك المأمون العباسي سنة ٢١٨ هـ..

١٠ ولادة الإمام محمد الجواد عليه السلام عام ١٩٥هـ، في المدينة المنورة.

١٢ دخول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد حرب الجمل واتخاذها عاصمة له سنة ٣٦ هـ.

١٢ هلاك معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠ هـ.

١٣ ولادة إمام المتقين وسيد الموحدين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في

داخل الكعبة المشرفة قبل البعثة بعشرة أعوام.

١٥ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام عام ٢ هـ.

١٥ وفاة عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام سنة ٦٢ هـ.

١٦ خروج فاطمة بنت أسد من داخل الكعبة المشرفة تحمل وليدها الإمام علياً عليه السلام.

١٨ وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله سنة ١٠ هـ، وله من العمر سنة وعشرة أشهر.

١٨ هلاك المعتمد العباسي سنة ٢٧٩ هـ.

٢٠ وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عام ١٠١ هـ.

٢٢ وفاة الشيخ جعفر الكبير قدس سره صاحب كتاب كشف الغطاء سنة ١٢٢٧ هـ..

٢٣ طعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على يد الجراح بن سنان في المدائن سنة ٤١ هـ.

٢٤ فتح خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام عام ٧ هـ.

٢٤ رجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة عام ٧هـ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحًا بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

٢٥ استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في السجن سنة ١٨٣هـ ببغداد على يد هارون العباسي.

٢٦ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وحاميه وناصره سنة ١٠ من البعثة المباركة.

٢٧ البعثة النبوية الشريفة وبَدْءُ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعمره ٤٠ عامًا.

٢٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق عام ٦٠ هـ..

في الذاكرة

شهر شعبان المعظم

١ وفاة شيخ الفقهاء صاحب الجواهر سنة ١٢٦٦هـ.

٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزو بني المصطلق عام ٥هـ.

٣ ولادة سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام عام ٤هـ.

٤ ولادة أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام عام ٢٤هـ.

٥ ولادة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عام ٣٨هـ.

١١ ولادة علي الأكبر بن الحسين عليهما السلام عام ٣٣هـ.

١٤ ليلة النصف من شعبان.

١٥ مولد منقذ البشرية صاحب الزمان الإمام المنتظر عليه السلام عام ٢٥٥هـ.

٣٠ وفاة سلطان الواعظين الشيرازي صاحب كتاب (ليالي بيشاور) سنة ١٣٩١هـ.

٢٢ وفاة الشيخ محمد جواد البلاغي عام ١٣٥٢هـ.

٢٣ وفاة الفقيه المجدد المجاهد الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٣١٢ هـ.

وقفة مع الذكرى

علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليهما السلام

ولادته: ١١ شعبان عام ٣٣ هـ

هو السيّد أبو الحسن، علي الأكبر ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

اتفق المؤرخون على أن علي الأكبر ولد قبل الإمام السجاد بأربع أو خمس سنين، وكان عمره يوم استشهد مع أبيه الحسين عليه السلام في كربلاء سبعاً وعشرين سنة. وأمه هي ليلى بنت أبي مرة بن مسعود الثقفي وهي من بيت شرف ومنعة. وتلتقي ليلى مع المختار ابن أبي عبيد الثقفي في مسعود الثقفي.

وكان لعلي الأكبر منزلة رفيعة عند أبيه الإمام الحسين عليه السلام الذي كان يقدمه على غيره من أصحابه وأهل بيته إلا أبي الفضل العباس. وذكر المؤرخون أن الإمام الحسين حين اجتمع ليلة عاشوراء بابن سعد أمر من كان معه بالتنحي عنه إلا أخاه العباس وابنه

علي الأكبر وكان مع ابن سعد غلامه وابنه حفص.

ودلت الشواهد على أن علي الأكبر كان أشبه الناس بجده رسول الله صلى الله عليه وآله منها قول الإمام الحسين عليه السلام في حقه: (اللّهُمّ اشهد، فقد برز إليهم غُلامٌ أشبهُ النّاس خَلقاً وخُلقاً ومَنطِقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه)، فكان بذلك مرآة الجمال النبوي ومثال كماله الأسمى وأنموذجًا من منطقه البليغ الرائع.

تعودنا الاختلاف في الروايات المدونة حول كثير من الأمور التاريخية.. ووفق هذهِ العادة الملحوظة يأتي الكلام عن زمن ولادة عليّ الأكبر عليه السلام. أما مكان ولادته فهو مدينة جده المنورة، من دون مبرر للشك والاختلاف في ذلك فزمن ولادته في خلافة عثمان. وقيل قبل قتل عثمان بسنتين، وبالتحديد في ١١ شعبان عام ٣٣هـ وهذه أقوى الروايات، على ما أورده الأصفهاني، مؤيداً بما أورده النسابة الكلبي ومصعب. وإن للأصفهاني قرائن تؤكد ولادته حين ذلك وتؤكد معاصرته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أما شجاعته عليه السلام فينقل الرواة أنه لمّا ارتحل الإمام الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل، في طريقه إلى كربلاء، خفق وهو على ظهر فرسه خفقة، ثمّ انتبه عليه السلام وهو يقول: (إنّا لله وإنّا إليهِ راجِعُون، والحمدُ لله رَبِّ العَالَمِين)، كرّرها مرّتين أو ثلاثاً.

فقال علي الأكبر عليه السلام: (ممّ حمدتَ الله واسترجَعت)؟.

فأجابه عليه السلام: (يا بُنَي، إنِّي خفقتُ خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعِيت إلينا).

فقال علي الأكبر عليه السلام: (يا أبه، لا أراك الله سوءاً، ألَسنا على الحق)؟ فقال عليه السلام: (بلى، والذي إليه مَرجِع العباد).

فقال علي الأكبر عليه السلام: (فإنّنا إذَن لا نُبالي أن نموت مُحقّين)، فأجابه الإمام الحسين عليه السلام: (جَزَاكَ اللهُ مِن وَلدٍ خَير مَا جَزَى وَلَداً عن والِدِه).

أما موقفه عليه السلام يوم عاشوراء، فبسالته وشجاعته مضربٌ للأمثال، وبعد استشهاده جاءه الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه، وقال: (قَتَلَ اللهُ قوماً قتلوك يا بُنَي، ما أجرأهُم على الرحمان، وعلى انتهاك حرمة الرسول).

وانهمرت عيناه بالدموع، ثمّ قال عليه السلام: (عَلى الدُّنيا بَعدَك العفا).

وقال لفتيانه: (احمِلُوا أخَاكُم)، فحملوه من مصرعه ذلك، ثمّ جاء به حتّى وضعه بين يدي فسطَاطه. ودفن مع الشهداء ممّا يلي رجلي أبيه الحسين عليه السلام.

قال الشيخ عبد الحسين العاملي قدس سره:

جمع الصفات الغر فهي تراثه
عن كل غطريف وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر
بإبى الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلق وطيب خلائق
وبليغ نطق كالنبي محمّد

وقفة مع الذكرى

الحر العاملي في سطور

ولادته: ٩رجب /١٠٣٣هـ

* الشيخ أبو جعفر، محمد بن الشيخ الحسن بن علي الحر العاملي ويرجع نسبه إلى الشهيد الحر بن يزيد الرياحي، المستشهد مع الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

* ولد في الثامن من رجب ١٠٣٣ هـ، بقرية مَشْغَرى من قرى البقاع في لبنان.

* كان أديباً وشيخاً فقيهاً ومحقّقاً، فقد أغنى المكتبة الإسلامية بكتبه القيّمة والتي أصبحت مرجعاً لبقية الكتب، ومنها كتاب وسائل الشيعة، وهو البحر الذي لا يعرف له ساحل، وكذلك صنّف العديد من الكتب والرسائل. ولمكانته وعلمه فقد أصبح قاضي قضاة خراسان.

* قالوا فيه:

١- قال الشيخ محمد الأردبيلي في جامع الرواة: (الشيخ الإمام العلاّمة، المحقّق المدقّق، جليل القدر، رفيع المنزلة، عظيم الشأن، عالم فاضل، كامل متبحّر في العلوم،

مرقد الشيخ الحر العاملي ـ مدينة مشهد

لا تحصى فضائله ومناقبه).

٢ـ قال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب: (شيخ المحدِّثين، وأفضل المتبحّرين، العالم الفقيه النبيه، المحدّث المتبحّر، الورع الثقة الجليل، أبو المكارم والفضائل، صاحب المصنَّفات المفيدة).

٣ـ قال السيد علي خان في السلافة: (تصانيفه في جبهات الأيّام غُرَر، وكلماته في عقود السطور دُرَر...، يُحيي بفضله مآثر أسلافه، وينتشي مصطبحاً ومُعتبقاً برحيق الأدب وسُلافه، وله شعر مُستعذَب الجَنى، بديع المُجتلى والمُجتنى).

* فضلاً عن فقاهته وروايته للحديث، وتبحُّره في كثير من المعارف والعلوم، فقد كان شاعراً مُجيداً، وله ديوانٌ كبيرٌ حوى عشرين ألف بيت، وضمَّ منظومات عديدة في التاريخ، والمواريث، والزكاة، والهندسة، إضافة إلى قصائده الكثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام.

تُوفّي الشيخ الحرّ العاملي في الحادي والعشرين من شهر رمضان ١١٠٤ هـ بمدينة مشهد في إيران، ودفن بصحن حرم الإمام الرضا عليه السلام، وقبره معروف يزار.

للفضيلة نجومها

حِجرْ بن عَدِيّ الكِندي... المجاهد الشهيد

فارس رزاق الحريزي
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

أحلى ما يخط القلم على القرطاس، التحدث عن الملأ العظماء ذوي الشأن والبأس، وينتج عنه ذكر سجايا وبطولات احتل أصحابها سنام القمة، واجتبوا الوسيلة الصالحة والحكمة، دلّتهم على ذلك سنخيتهم، وأوصلتهم إلى صهوة الحلم والشرف، وامتطاء الخطوب، لذا دنّوا تواضعاً وعلواً مجيداً بعد أن صبروا على مضض الحسود وجَنوْا دلائل النبل والبلوغ بشمائلهم غير المرتاعة وعقولهم الوثابة، غير مكترثين بعد أن انجلت أمامهم الأمور ووضحت البُهم، وتبين لديهم من هو الألأم ومن هو الأكرم، ومن هو الدليل الساطع ومن هو المجرم، فاختاروا بقلب مقبل على طاعة اللّه ذوي الرأفة والرحمة وطريق الهدى والسداد، والأسوة الحسنة غير وجلين بعد أن لاح لهم الطريق الواضح بغير اعوجاج، وهكذا كان ديدنهم وطريقهم الأمثل. أجل كان ذلك للشهيد حجر بن عدي وأصحابه الذين أبوا إلا أن يكونوا من صفوة المؤمنين باللّه ورسوله صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام لأنه الصراط المستقيم والطريق الواضح والسبيل الأقوم. طلبوا من حجر البراءة من إمامه علي عليه السلام لينجو بنفسه فأبى وقال: دعوني أصلي ركعتين قبل موتي لتكون آخر عمل لي في حياتي.

فلقد ذابوا في حب مولاهم وإمامهم ليصلوا إلى أعلى درجات الإيمان ومن ثم التضحية بأعز ما يملكون بعد ثباتهم على

مبادئهم، إذ سمعوا ووعوا قول الرسول صلى الله عليه وآله: (يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)[١]، والرسول صلى الله عليه وآله هو الذي نصّب علياً بأمر من الله، فالويل لمعاوية من حجر وأصحابه. وقد قال الحسن البصري: (أربعة خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة منها لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف، واستخلافه من بعده سكيراً خميراً، وادعاؤه زياد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه[٢].. ولم يكتف الخط الأموي بقتله، فبعد حوالي (١٤٠٠) عام يعود لنبش قبره وتدمير ضريحه، فإلى الله المشتكى.

كان وَفَدَ إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصبح فيما بعد حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] قال الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب علي عليه السلام حجر بن عدي الكندي كان من الأبدال. والأبدال: قوم يقيم الله بهم الأرض[٤]، لا يموت فيهم أحد إلا قام مكانه آخر[٥]. فلذلك سُموْ الأبدال. إضافة إلى تشرفه بصحبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ثبت على نفس الخط الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله باتباع الثقلين كتاب الله وعترته عليهم السلام. فبعد التحاق النبي صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى كان حجر من خلص أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن أصحاب الإمامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام[٦]. وكناية له حجر الخير. وذكر السيد الخوئي قدس سره شخصية أخرى أيضاً اسمه حجر بن عدي الكندي الكوفي وقال إنه من أصحاب الصادق عليه السلام وهو غير سابقه الذي قتله معاوية[٧].

أجل إن لحجر الخير سيرة لصحيفة الأبرار طاهرة نقيّة لذا لا بُدّ دون الشهد من إبر النحل، إذ أن العسل في شمعها، وإبرة النحل شوكتها فالذي يطلب الشهد لم يصل إليه حتى يقاسي لسع النحل. كذلك حجر الخير وصل إلى سنام القمة، وهذه المنزلة المرموقة في واقع الأمة بتضحيته في نفسه وولده وأصحابه ففضل الموت على الحياة ولم يغير في موقفه وعقيدته في أئمته والموالاة لهم رغم شدة الخطب وانقلاب الأمة وانهيار الأنفس وتسلط المجرمين وشدتهم. وقد صدق دعبل الخزاعي:

ما أكثر الناس لا بلْ ما أقلّهم!
الله يعلم إنّي لم أقل فندا
إنّي لأفْتح عيني حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا[٨]

فتقدم حجر إلى الإسلام ولم تكن اختمرت في نفسه المبادئ الجاهلية، إذ تقدم وهو فارغ من النوازع الوثنية الجاهلية وعوامل الوراثة، ومن هنا صح له أن يتأثر بالإسلام تأثراً سريعاً وصح أن يكون راهب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله زهداً وورعاً وصار مثالاً إسلامياً من المثل العليا انتهت به مثاليته إلى التضحية[٩].

ملازمته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه:

١ـ حرب الجمل: كان من المخلصين الثابتين والمحامين عن الإمام عليه السلام ونهجه العادل. أرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة يستنجدهم يوم الجمل، قام حجر الخير فيمن قام وتكلم قائلاً: أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً مرّوا وأنا أولكم. فأنشد في المعركة شعراً قال فيه:

يا ربّنا سلم لنا علياً
سلم لنا المبارك المضيا
المؤمن، الموحد النقيا
لا خطل الرأي ولا غويا

بل هادياً موفقاً مهدياً
واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له ولياً
ثم ارتضاه بعده وصيا[١٠]

٢ـ حرب صفين: قوله لإمامه عليه السلام نحن بنو الحرب وأهلها، الذين نلقحها وننتجها ضارستنا وضارسناها، ولنا الأعوان ذوو صلاح، عشيرة ذات عدد ورأي مجرب وبأس محمود، وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة[١١]... الخ

وقد أمّر علياً عليه السلام حجر على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة[١٢].

٣ـ لما أغار سفيان بن عوف على الأنبار، وقُتّل حسان بن حسان البكري ندب الإمام علي عليه السلام المسلمين للجهاد، فتباطأ بعضهم، فقام حجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه فو الله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن فقدت ولا على عشائرنا إن قتلت في طاعتك[١٣].

يا صائد الجحفل[١٤] الموهوب جانبه
إن الليوث تصيدُ الناس أحدانا[١٥]

أجل إنك يا حجر أشد من الأسد، لأن الأسد يصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمته، وتزجي الأمور نحو الأماكن العالية ومهما طال أمر الحرب، وتكررت أحقاد المجرمين فقد امْتَزْتَ بالعزة والمنعة.

٤ـ موقفه من الضحاك بن قيس: وجه معاوية سنة (٣٩هـ) الضحاك في ثلاثة آلاف في الأغارة على كل من مرّ به ممن كان في طاعة علي عليه السلام من الأعراب فسار الضحاك وأغار وأخذ الأموال ومضى إلى الثعلبية، وأغار على مسلحة علي عليه السلام وانتهى إلى القطقطانة، فلما بلغ ذلك علياً عليه السلام أرسل إليه حجر بن عدي فقتل تسعة عشر رجلاً، وقُتل من أصحابه رجلان وهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حجر بن عدي ومن معه بعد أن طهر الأرض من دنسهم[١٦].

٥ـ حرب الخوارج: استنفر الإمام علي عليه السلام الناس في الكوفة إلى حرب أهل الشام بعد الحكمين، وطلب أن يكتب له كل رئيس ما في قبيلته من مقاتلين، فقام إليه جماعة من الرؤساء، وقالوا سمعاً وطاعة، وكتبوا له ما طلب، وكان من جملة الذين قاموا حجر بن عدي، فعندما عبّأ الإمام من أصحابه في النهراون، وقد كان قسم من أهل الكوفة لم يجيبوه وأكثروا اللغط فساء الإمام عليه السلام ذلك، ووضع على الميمنة حجراً لإخلاصه وتفانيه.

٦ـ عندما استولى معاوية على الحكم وحاول إذلال أصحاب الإمام علي عليه السلام الذين يأبون الضيم ولا ينامون على الذل ولا تأخذهم في الله لومة لائم، فكانوا يجاهرون بوجه الطغاة والظلمة ومنهم حجر بن عدي، كان إذا سمع النيل من علي عليه السلام قال: كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحسن بالفضل، وإن من تزكون وتطرون أولى بالذم[١٧].

كان حجر حاضراً يحث قومه والمسلمين على الجهاد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام لأنه عارفٌ بحقه، وبعد شهادة الإمام عليه السلام وتولّى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة لم يختلف حجر عن سابقه فبقي ذلك الفارس المغوار في الدفاع عن دينه وعن إمامه إمام الحق، فاستعان به الإمام في كثير من أمور الحرب. فلما بلغ الإمام الحسن عليه السلام مسير معاوية بالعسكر قاصداً العراق، وأنه عبر جسر منبج تحرك حجر

فأمر العمال والناس بالتهيؤ...

وكان حجر من المتحمسين لقتال معاوية والزمرة الأموية ويحث الناس على القتال ويستنهضهم. لم تسره الهدنة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية إلّا أن الإمام عليه السلام عرف مشاعره وصدقه، وحاول أن يوضح له لماذا فضل الصلح على القتال[١٨].

وصفوة الكلام: رغم صروف الدهر المهلكة اصطفى حجر بن عدي الطريق الصعب إذ بالغ في طلب المعالي والسعي وراءها رغم الارزاء المحيطة بها، وانجلاء المواقف بوضوح، وسير البوصلة نوح الضيق إذ لعن والي الكوفة (المغير بن شعبة) بدلاً من لعن الإمام علي عليه السلام بعد طلب منه ذلك.

تولى معاوية تمزيق هذا الأمة إرباً إرباً بعد الهدنة بينه وبين الحسن عليه السلام وأزاح الموالين لأهل البيت عليهم السلام من وظائفهم واستعاض عنهم بالنواصب، ثم أوعز إلى ولاته بسب الإمام علي عليه السلام على المنابر، وأن يلاحقوا من يوالي أهل البيت عليهم السلام لغرض قتلهم ومنهم حجر الخير وابنه همام لمكانة حجر عند قبيلته والقبائل الأخرى وستة آخرين معهما. وعندما يدخل حجر المسجد ويسمع والي معاوية المغيرة يسب علياً عليه السلام ويترحم على عثمان يقول برفيع صوته: أنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل والمدح والثناء، وإن من تزكون هم أولى بالذم والاحتقار، وإن عثمان أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق، فيجيبه المغيرة ويحك يا حجر اتق السلطان وسطوته. وكان لكلام حجر صدى واسع بين المصلين[١٩].

مات المغيرة (٥١هـ) فعين معاوية مكانه زياد بن أبيه والذي هدد بأقصى العقوبات، ثم استدعى حجر وقال له: (تعلم يا حجر أني أعرفك، وقد كنت وإياك على من قد علمت (يعني حب علي حين كان خليفة) وأنه قد جاء غير ذلك، املك عليك لسانك واقض نشاطك وليسعك منزلك فأكفني نفسك... الخ[٢٠]، فلم يستجب لما قاله له زياد بل ازداد تمسكاً بموقفه، وبردِ ومجابهة كل فرد يشتم الإمام علياً عليه السلام.

تولى زياد القبض على حجر مع اثني عشر فرد من رؤوس أصحابه وأعوانه. وقد شهد ضد حجر سبعون شخصاً من النواصب وأرسل حجر وجماعته إلى (مرج عذراء) قرب دمشق والتي كانت محررة من قبل المسلمين وفي مقدمتهم حجر الذي قال: (أما والله لئن قتلتمونا فإني أوّل فارس من المسلمين سلك في واديها، وأوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها..)[٢١].

وجاء مبعوث معاوية إلى (مرج العذراء) وخاطب ثمانية من القابعين في السجن بعد أن تهاون أربعة أشخاص للتقية، بما رآه معاوية وهو: البراءة من علي عليه السلام واللعن له فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم فأجاب أجمعهم (إناّ لسنا فاعلي ذلك،.... بل نتولاه ونبرأ ممن تبرأ منه)[٢٢]، وقد اندفعوا إلى الموت بسرعة قائلين (من عرف مستقره سارع إليه).

واستشهد حجر بعد صلاة ركعتين. ويقال قدم ابنه همام قبله إلى القتل انصافاً به لنيل الشهادة والبقاء على إيمانه ودخوله الجنة. هكذا قدم حجر رقبته رخيصة من أجل كلمة الله العليا، وراية القرآن الخفاقة وصوت الإسلام الرفيع والمدوي في ربوع الأرض ومن أجل بصائر للناس فتحقق ما يرمون إليه (**وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) (آل عمران: ١٧٣)، وفي قولهم

هذا بيان لشدة إيمانهم، وترتب كلامهم على ما تضمره سرائرهم، من صدق الاعتقاد بكفاية الله لهم، وأنه هو وحده ناصرهم، لذا يجب التوكل عليه في تدبير أمورهم فاجتمع صدق النية، والكلام الكاشف عنها، والعمل المتوجب على ذلك فتحقق النصر بنيل الشهادة[٢٣] وقد كان حجر تقياً ورعاً خائفاً من الله تعالى مراقباً له في حركاته وسكناته، وكان شديد الحب لوالديه لاسيما أمه، فقد كان يداريها ويسهر على راحتها كثيراً. فقد وصل به الأمر في برّ أمه في عدم اكتفائه بوضع يده على فراشها خوفاً أن يكون عليه شيء حتى يمسه بظهره لأن يديه خشنتان قد لا يمسان بما على الفراش[٢٤]. فكان في غاية الطاعة لأبويه مطيعاً بذلك تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة لكونه من أصحاب العقول، وعلى هدى من أمره، فلا ضير إذا ما أزلفت إليه الجنة رغم الدواهي التي اعترضته ونال منزلاً صالحاً مرضياً.

في الإصابة كما في غيرها: إن حجراً أصابته جنابة فقال للموكل به: أعطني شرابي أتطهر به ولا تعطني غداً شيئاً، فقال ذلك: أخاف أن تموت عطشاناً فيقتلني معاوية، فدعا حجر الله فانسكبت له سحابة ماء فأخذ منها الذي احتاج إليه، فقال له أصحابه: ادع الله يخلصنا. فقال: اللهم خر لنا. فقُتل وطائفة منهم[٢٥].

محادثة الحسين عليه السلام ومعاوية بعد شهادة حجر وأصحابه:

لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين عليه السلام فقال: يا أبا عبدالله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال له عليه السلام: وما صنعت بهم؟ قال: لقد قتلناهم وكفنّاهم وصلّينا عليهم، فضحك الحسين عليه السلام وقال: خصمك القوم يا معاوية، ولكنّا لو قتلنا شيعتك ما كفنّاهم ولا صلّينا عليهم ولا قبرناهم[٢٦]. فافهم القصد أيها القارئ اللبيب من رد الحسين عليه السلام على معاوية.

وقد سئل إسحاق السبيعي عن ذل الناس؟ قال: حين مات الحسن عليه السلام، وادُّعيَ زياد، وقُتل حجر بن عدي[٢٧].

قالوا في حجر وأصحابه:

١ـ قالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء[٢٨].

٢ـ عن الحرث بن يزيد عن عبدالله بن رزين العاتقي: قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: يا أهل العراق سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم مثل أصحاب الاخدود، فقتل حجر بن عدي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين[٢٩]. إذ لم يتراجعوا عن إمامة علي عليه السلام كما لم يتراجع أصحاب الاخدود عن إيمانهم.

٣ـ كان عبدالرحمن بن عمر يتابع خبر اعتقال حجر وأصحابه، وأخذهم أسارى إلى دمشق، حتى جاء الناس وأخبروه بقتل حجر وأصحابه وهو في السوق فحلّ حبوته ووثب وانطلق حتى يُسمع نحيبه وهو مُوَلٍ[٣٠].

٤ـ قال عروة بن جرير: ما دخلت على معاوية إلا ذكر قتل حجر وأصحابه وهو يقول: أي يوم لي من حجر وأصحاب حجر، ويومي منك يا حجر يوم طويل[٣١].

٥ـ مر بنا قول الحسن البصري ومنه... قتله حجراً ويا له من حجر، مرتين[٣٢].

ولله درّ لبيد حيث يقول:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يرجى خيرهم
ويُعاب قائلهم وإن لم يشعُبِ[٣٣]

١ـ مسند أحمد/أحمدبن حنبل/ج١ص٩٥.
٢ـ الطبري: ١٢١/٦.
٣ـ الدرجات الرفيعة: ص ٤٢٨.
٤ـ القاموس المحيط: ٣٣٣/٣.
٥ـ لسان العرب: ١/١١.
٦ـ معجم الرجال السيد الخوئي: ج٥ ص٢١٨.
٧ـ معجم رجال الحديث: ٢١٨/٥.
٨ـ ديوان دعبل الخزاعي/ص٨٤.
٩ـ حجر بن عدي، عبد الله السبيتي: ص٧٥.
١٠ـ أعيان الشيعة محسن الأمين: ٣٠٦/٧.
١١ـ وقعة صفين بن مزاحم المنقري: ص١٠٢ـ ١٠٣.
١٢ـ أعيان الشيعة: ص٣٠٧.
١٣ـ أعيان الشيعة المجلد السابع: ٣٠٨.
١٤ ـ الجحفل: الجيش الكبير.
١٥ـ أحدانا: جمع واحد، وأصلحه وحدانا.
١٦ـ المصدر السابق.
١٧ـ تأريخ الطبري: ٢٤٥/٥.
١٨ـ أعيان الشيعة: ج٧ ص٣٠٩.
١٩ـ انظر: تاريخ الطبري/ ج٤ص١٨٨وما بعدها.
٢٠ـ الأعلام من الصحابة والتابعين/ الشاكري/ ج٦ص٤٠.
٢١ـ الأغاني/أبو الفرج الاصفهاني/ج١٧ص١٠١.
٢٢ـ انظر: تاريخ ابن عساكر/ج٨ص٢٥.
٢٣ـ مجلة ينابيع العدد: ٦٨، ص٤٢.
٢٤ـ أعيان الشيعة: مجلد سبعة، ص٣٠٥.
٢٥ـ الإصابة، والواصل إلينا في كتاب حجر بن عدي للسبيتي: ص٦٥.
٢٦ـ الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ٤١٢/٣.
٢٧ـ تأريخ الطبري، ابن عساكر: ٢٠٨/٤.
٢٨ـ أعلام الورى: ٤٣.
٢٩ـ شذرات الذهب في حوادث سنة (٥١هـ) وكذلك في الدرجات الرفيعة.
٣٠ـ تأريخ مدينة دمشق ابن عساكر: ٢٢٨/١٢.
٣١ـ نفس المصدر: ٢٢٤/٥٩.
٣٢ـ تاريخ الطبري، ابن عساكر: ٢٠٨/٤.
٣٣ـ الاستيعاب: ٣٥٩/١.

للفضيلة نجومها

حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام في التاريخ

الباحث كريم جهاد الحساني/ مركز الأمير عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي

ينابيع

إنَّ مشروع دراسة تاريخ وسيرة الأسرة الهاشمية المعظمة ربما لو تهيأ لباحثٍ مُجدٍّ لكشف عن جوانبٍ خفية ودقيقة من حياتهم صلوات الله عليهم أجمعين ؛ لأنهم منابع الفكر والوعي في دنيا العرب والإسلام، ومصدر الهداية لهذه الأمة، إذ ساهم أبناؤها في بلورة الفكر الإسلامي، ووقفوا بعزم وشموخ أمام الظلم والطغيان.

من الشخصيات التي انتمت لهذه الأسرة، شخصية السيدة حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام التي لم يقف عندها التاريخ الإسلامي ويعطيها حقها من الذكر وتبيان الحال ؛ لذلك آثرنا الكتابة عنها رغم صعوبة البحث، وتشتت الموارد في ذكر هذه السيدة الجليلة في بطون الكتب وإن كان ذكرها لا يعدو أن يكون كلماتٍ هنا وهناك.

النسب الوضاح:

هي حميدة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن عدنان.

فهي من صميم الأسرة الهاشمية التي عُرفت بالنبل والشهامة، والتي التقت بها جميع عناصر الشرف والكرامة التي جعلتها في طليعة الأسر العربية سموّاً وشرفاً.

أبوها:

مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام من أعمدة الشرف والنور، الفدائي الأول في

النهضة الحسينية المباركة، والرائد الفاتح فيها، والشخصية الفذة في دنيا الإسلام.

أمها:

أم كلثوم [الصغرى السيدة رقية] بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ أنَّ مسلماً تزوّج من ابنة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، وولدت له السيدة (حميدة)، وليس له منها عقب من الاولاد[١].

وذكر السيد المقرم، أن أم كلثوم – أم السيدة حميدة – هي المكناة بـ (أم كلثوم الصغرى)[٢]. أما السيد الأمين، فيشير إلى أنها المكناة بـ (أم كلثوم الوسطى)[٣]. إذ أنَّ بنات أمير المؤمنين عليه السلام اللواتي اسمهن وكنيتهن بـ (أم كلثوم) أكثر من ثلاثة كما أورده أصحاب السير والتراجم، وهنَّ:

١- أم كلثوم، رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام التي تزوجها مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد ولدت له عبد الله وعليا[٤]، واستشهد عبد الله مع الإمام الحسين عليه السلام، ولعلها المكناة بـ(الوسطى).

٢- أم كلثوم الصغرى، رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام، أم السيدة حميدة وزوجة مسلم بن عقيل عليه السلام، وحيث لا يصح الجمع بين الأختين فلابد من فراق إحداهما أو موتها، والظاهر أنها الثانية، إذ أولدت له البنت الوحيدة (حميدة)[٥].

٣- أم كلثوم الكبرى، رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام زوجة عون بن جعفر.

فهي إذًا ـ السيدة حميدة ـ هاشمية من هاشميين وطالبية من طالبيين.

الولادة الميمونة:

ولدت السيدة حميدة رضوان الله عليها بالمدينة المنورة[٦]. ولم يضبط المؤرخون سنة ولادتها على التحقيق إلاّ اللهم ما ذكره العلامة الكرباسي من أنها ولدت سنة ٤٩هـ ولم يذكر تحقيقه في ذلك. وعلى وجه العموم لا الحصر يمكن أن نورد مايؤثر عن المؤرخين في ذلك.

أولاً: ذكر ابن عنبة في العمدة: أن لها من العمر ثلاث عشرة سنة أو أقل[٧].

ثانياً: قال الطريحي في المنتخب: وكانت لمسلم بنت عمرها إحدى عشرة سنة مع الحسين عليه السلام[٨]. وقال الحائري في المعالي: وفي بعض كتب المقاتل: كانت لمسلم عليه السلام بنت عمرها إحدى عشرة سنة، واسمها حميدة[٩]. والظاهر إلى ذلك ذهب الكرباسي في تحديد ولادتها سنة ٤٩هـ كما ذكرناه آنفاً.

ثالثًا: ذكر الهاشمي في ثمرات الأعواد: أنه كان لها من العمر ثمان سنوات حين قتل أبوها مسلم بن عقيل[١٠].

رابعاً: قال السماوي في إبصار العين: روى بعض المؤرخين: أن الحسين عليه السلام لما قام من مجلسه بالثعلبية توّجه نحو النساء وانعطف على ابنة لمسلم صغيرة فجعل يمسح على رأسها[١١].

هذا ما أوردهُ المؤرخون وأصحاب المقاتل في ذكر عمرها الشريف حين مقتل والدها وهي السنة التي وقعت فيها حادثة الطف الأليمة سنة ٦٠ للهجرة، وبما أنهم اختلفوا في تحديد عمرها آنذاك إلاّ أن إشاراتهم تدل على أن ابنة مسلم حين استشهاده كانت صغيرة لم تبلغ مبالغ النساء، فما ذكره ابن عنبة ليس واقعياً مع أنه لم يجزم بأن عمرها حينذاك كان ثلاث عشرة سنة، إذ قال: (ثلاث عشرة أو أقل).

زواجها:

لمّا بلغت السيدة حميدة رضوان الله عليها مبالغ النساء تقدّم لخطبتها ابن عمّها وابن خالتها في الوقت نفسه (عبد الله بن محمد

بن عقيل) المعروف بـ (الأحول) وأمهُ زينب الصغرى بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[١٢]. وكان ـ عبد الله بن محمد- شيخاً جليلاً محدثاً فقيهاً، وقد جزم الترمذي بصدقه ووثاقته وأنه في مقدمة رجاله الثقاة، وخرّج حديثه في جامعه، كما احتجَّ به أحمد بن حنبل والبخاري وأبو داود وابن ماجه[١٣]. وعدّهُ الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق[١٤]. توفي في المدينة المنورة سنة ١٤٢هـ[١٥].

ذريتها:

أنجبت السيدة حميدة من زوجها عبد الله بن محمد الأحول ولداً اسمه (محمد) والمعروف بـ (محمد الأكبر) وله من المعقبين أربعة هم: عقيل، وعلي، وإبراهيم، والقاسم[١٦]. وزاد ابن عنبة عليهم خامساً وهو (طاهر)[١٧]. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن أكثر من ذكرهم أهل الأنساب ممّن ينتمون إلى آل عقيل هم من أولاد محمد الأكبر ابن السيدة حميدة من زوجها عبد الله الأحول وهم كثرة من علماء ومحدثين وشعراء ونسابين وأمراء ووجهاء.

مع الركب الحسيني:

خرجت السيدة حميدة رضوان الله عليها مع ركب أهل البيت عليهم السلام بقيادة الامام الحسين عليه السلام الذي توّجه إلى العراق. وذكر المؤرخون أنَّ من بين هذا الركب عدد من النساء اللاتي وردَ لهنَّ ذكر صريح في الروايات التاريخية، أو اشتهر حضورهنَّ مع أقاربهنَّ أمثال (الأب، الأم، الزوج....)، ومن بين تلكم النساء كانت حميدة بنت مسلم التي حضرت مع أمها رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام وأخيها عبد الله الذي استشهد في كربلاء[١٨].

ونقل بعض التواريخ والمقاتل، أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لمَّا جاءه خبر شهادة أبيها مسلم بن عقيل عليه السلام وهو في منطقة زرود، جاء ودخل خيمة النساء، ودعا له ابنته حميدة، وجعل يُلاطفها ويعطف عليها فاستشعرت حينها بنزول المصيبة، فقالت: ياعم، أراك تعطف عليَّ عطفك على الأيتام، أفأُصيب أبي مسلم؟ فَرَقَّ الإمام الحسين عليه السلام لها وجرت دمعته، وقال لها: يا بُنية لا تحزني، فلئن أُصيب أبوك فأنا أبوك وبناتي أخواتك، فلما سمعت هذا الكلام من الحسين عليه السلام صرخت وأعولت فسمع صراخها آل عقيل، فارتفعت أصواتهم بالبكاء، وانتحبوا انتحاباً عالياً، وساعدهم أهل بيت الحسين عليه السلام في النوح والبكاء وعظُمَ على أبي عبد الله عليه السلام المصاب واشتد به الحزن[١٩].

وفاتها:

توفيت رضوان الله عليها في المدينة المنورة بعد وفاة زوجها عبد الله الأحول حدود سنة ١٤٢هـ[٢٠].

مرقدها:

أما الحديث عن مرقد السيدة حميدة بنت مسلم فإنَّ المرّجح أنها دفنت في مقبرة آل أبي طالب التي كانت بالأصل هي دار عقيل بن أبي طالب، التي ذكروا عنها أنها صارت مقبرة لآل أبي طالب بمن فيهم من آل عقيل، وتقع بالقرب من البقيع، أو أنها دفنت بالبقيع ولا مناص في ذلك؛ لعدم وجود أي إشارة إلى خروجها من المدينة المنورة، ومن الطبيعي أنها تدفن في هذه المقبرة التي كانت عامرة منذ أن بدأ الإسلام. أما الأثر القائم اليوم في مقبرة الباب الصغير في دمشق فإنه لا يمكن التعويل عليه؛ لعدم وجود أي مؤشر

يؤيد ذلك، إذ أن المؤرخين لم يذكروا بأنَّ السيدة حميدة، أو زوجها عبد الله الأحول سافرا إلى دمشق أثناء العهد الأموي أو العباسي، أو أنها خرجت مع زوجها وتوفيت هناك. فإن صحت نسبة المرقد إلى حميدة بنت مسلم فهو مكان إقامتها أيام الأسر سنة ٦١ للهجرة، أو أن هذا القبر لإحدى المواليات دفنت بجوار الفواطم فاختلط الأمر على الناس. وعلى أي حال فإن المرقد يكون إلى جانب مرقدين هما: مرقد السيدة أسماء بنت عميس، ومرقد السيدة ميمونة بنت الحسن المجتبى عليها السلام. والظاهر على ما هو عليه من التحقيق أن نسبة الأشخاص وسنة الوفاة لهذين المرقدين غير صحيحة أيضاً؛ إذ أن السيدة أسماء بنت عميس توفيت ودفنت في الكوفة، أما ميمونة بنت الإمام الحسن عليها السلام فليس له عليها السلام بنت بهذا الاسم■

١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / ابن عنبة / ص٣٢ ؛ إكمال الكمال / ابن ماكولا / ج٦ / ص٢٣٥.
٢) الشهيد مسلم بن عقيل / عبد الرزاق المقرم / ص١٧٧.
٣) أعيان الشيعة /محسن الأمين / ج٣ / ص٤٨.
٤) المعارف / ابن قتيبة / ص٨٨.
٥) المحبر /البغدادي /ص٥٦ إذ قال في إشارة إلى أصهار الإمام علي عليه السلام: (وصاهر مسلم بن عقيل مرة أخرى تزوج رقية الصغرى بنت علي).
٦) دائرة المعارف الحسينية (تاريخ المراقد، الحسين وأهل بيته وأنصاره)/ محمد صادق الكرباسي/ ج٥
٧) عمدة الطالب/ ص١٦.
٨) المنتخب / ج٢/ ص٣٧٢.
٩) معالي السبطين/ ج١ / ص٢٦٦.
١٠) ثمرات الأعواد /السيد عبد الحسين الهاشمي / ج١ / ص١١٧
١١) إبصار العين في أنصار الحسين / محمد طاهر السماوي / ص٩٦.
١٢) ينظر: المجدي/العمري/ ص٢٠٠ ؛ لباب الأنساب /ج٦، ص٣٣٥.
١٣) تهذيب التهذيب / ج٦ / ص١٣.
١٤) الخلاف / ج٦ / ص٤٧٠.
١٥) تهذيب التهذيب / ج٦ / ص١٤.
١٦) الشجرة المباركة في أنساب الطالبيين /الرازي /ص٢١٣.
١٧) عمدة الطالب /ص١٧.
١٨) ينظر: أسرار الشهادة /الدربندي/ ص٩٦؛ معجم أنصار الحسين /الكرباسي / ج١ / ص٢٤١.
١٩) ينظر: المنتخب/ ج٢/ ص٣٧٢؛ معالي السبطين / ج١ / ص٢٦٦؛ مقتل الحسين/ بحر العلوم/ ص٣٢٢؛ أبصار العين في أنصار الحسين/ ص٢٥١.
٢٠) دائرة المعارف الحسينية/ معجم أنصار الحسين (النساء) / الكرباسي / ج٢ / ص١٩٠.

واحة الأدب

فاجعة زيد الشهيد رضي الله عنه في الشعر المصري الحديث ملحمة أحمد شوقي أنموذجًا

الدكتور حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

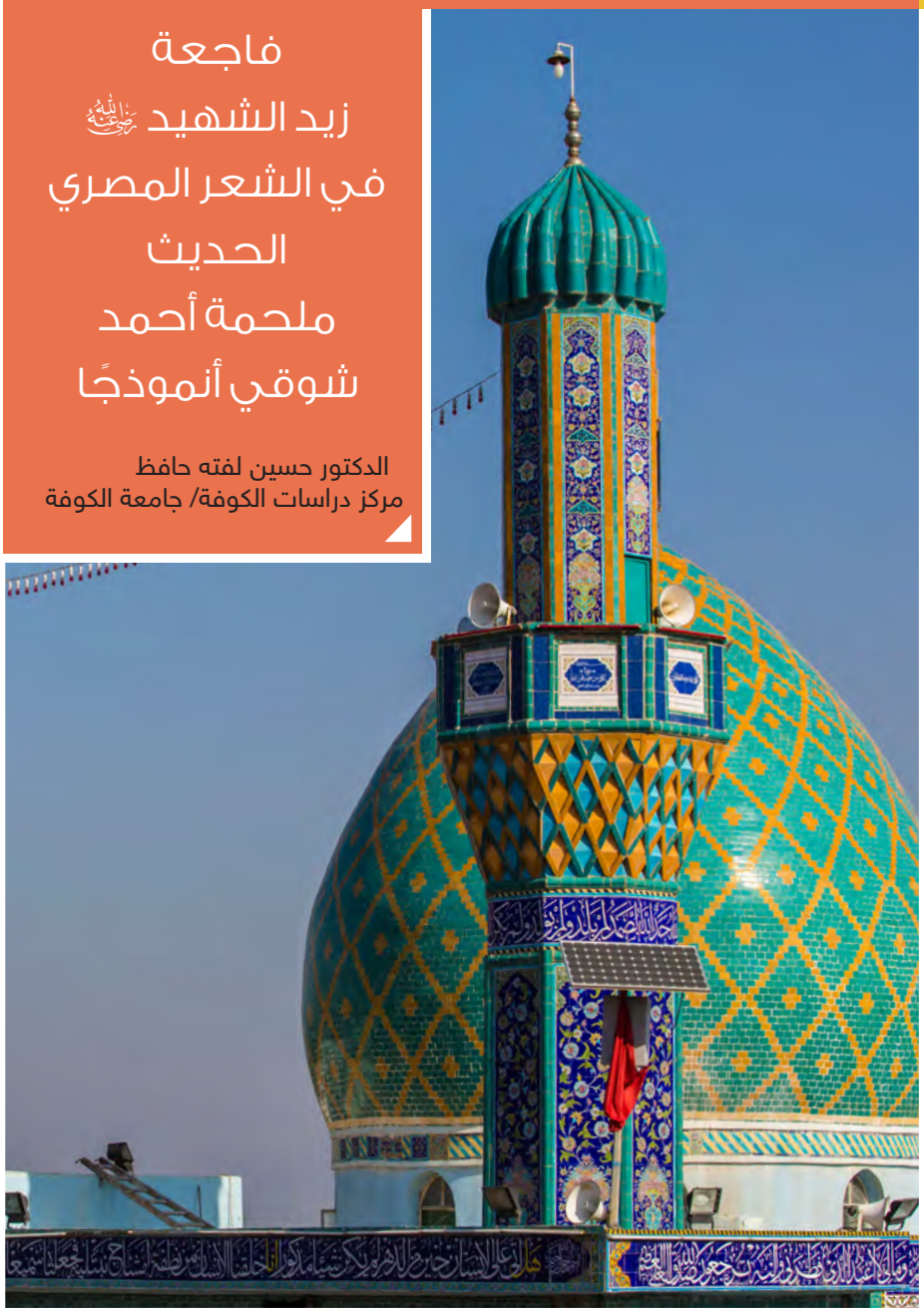

ينابيع تعرض أهل البيت عليهم السلام إلى مصائب جمة على يد زمر الضلالة والكفر التي ناصبتهم العداء، ولا يخفى على من اطلع على التاريخ مدى بشاعة الظلم الذي وجه إليهم، ليس لشيء سوى تمسكهم بتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله، والسير بهداهما حتى تصل الأمة إلى برّ الأمان، ولاشك في أن للأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص دورًا كبيرًا في توثيق جرائم بني أُمية ومن لف لفهم بحق أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم حتى يومنا هذا. ويعد الشاعر أحمد شوقي من كبار الشعراء، وقد أسهم في رثاء أهل البيت من خلال قصائد كتبها، ومنها ملحمته موضوع بحثنا، والتي تحاول أن تسلط الضوء على أهم مفاصل القصيدة والغرض الرئيسي والبناء الفني من خلال اتباع المنهج الفني التحليلي وكما سيتضح لاحقًا.

أحمد شوقي: حياته... وثقافته:

ولد أحمد شوقي في القاهرة عام ١٨٦٨م، في أسرة ميسورة الحال تتصل بقصر الخديوي، أتم الثانوية، ودرس بعد ذلك الحقوق، وبعد أن أتمها عينه الخديوي في خاصته، وأرسله بعد عام إلى فرنسا ليستكمل دراسته، وأقام هناك ٣ أعوام، عاد شوقي إلى مصر أوائل سنة ١٨٩٤م فضمه توفيق إلى حاشيته.

أصدر الجزء الأول من الشوقيات ـ الذي يحمل تاريخ سنة ١٨٩٨م وتاريخ صدوره الحقيقي سنة١٨٩٠م، نفاه الإنجليز إلى الأندلس سنة ١٩١٤م بعد أن اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، وفرض الإنجليز حمايتهم على مصر١٩٢٠م، أنتج في أخريات سنوات حياته مسرحياته وأهمها: مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، قمبيز، وعلي بك الكبير، توفي شوقي في ١٤ تشرين الأول ١٩٣٢م مخلفاً للأمة العربية تراثاً شعرياً خالداً.(١)

اشتهر شعر أحمد شوقي كشاعر يكتب من الوجدان في كثير من المواضيع، فهو نظم في مديح الرسول صلى الله عليه وآله، ونظم في السياسة ما كان سبباً لنفيه إلى الأندلس، ونظم في الشوق إلى مصر وحب الوطن، كما نظم في مشاكل عصره مثل مشاكل الطلاب، والجامعات، كما نظم شوقيات للأطفال وقصصًا شعرية، ونظم في المديح وفي التاريخ. بمعنى أنه كان ينظم مما يجول في خاطره تارة والرثاء والغزل وأجاد في كلها وابتكر الشعر التمثيلي أو المسرحي في الأدب العربي. تأثر أمير الشعراء بكتاب الأدب الفرنسي ولا سيما موليير و راسين.(٢)

مكانة شوقي:

منح الله شوقي موهبة شعرية فذة، وبديهة سيالة، لا يجد عناء في نظم القصيدة، فدائمًا كانت المعاني تنثال عليه انثيالاً وكأنها المطر الهطول، يغمغم بالشعر ماشيًا أو جالسًا بين أصحابه، حاضرًا بينهم بشخصه غائبًا عنهم بفكره؛ ولهذا كان من أخصب شعراء العربية؛ إذ بلغ نتاجه الشعري ما يتجاوز ثلاثة وعشرين ألف بيت وخمسمائة بيت، وقد لقب بـ (أمير الشعراء). وكان شوقي مثقفًا ثقافة متنوعة الجوانب، فقد انكب على قراءة الشعر العربي في عصور ازدهاره، وصحب كبار شعرائه، وأدام النظر في مطالعة كتب اللغة والأدب، وكان ذا حافظة لاقطة لا تجد عناء في استظهار ما تقرأ؛ حتى قيل بأنه كان يحفظ أبوابًا كاملة من بعض المعاجم، وكان مغرمًا بالتاريخ يشهد على ذلك قصائده التي

لا تخلو من إشارات تاريخية لا يعرفها إلا المتعمقون في دراسة التاريخ، وتدل رائعته الكبرى (كبار الحوادث في وادي النيل) التي نظمها وهو في شرخ الشباب على بصره بالتاريخ قديمه وحديثه. وكان ذا حس لغوي مرهف وفطرة موسيقية بارعة في اختيار الألفاظ التي تتآلف مع بعضها لتحدث النغم الذي يثير الطرب ويجذب الأسماع وله آثار نثرية كتبها في مطلع حياته الأدبية، مثل: (عذراء الهند)، ورواية (لادياس)، و(ورقة الآس)، و(أسواق الذهب)، وقد حاكى فيه كتاب (أطواق الذهب) للزمخشري، وما يشيع فيه من وعظ في عبارات مسجوعة. وقد جمع شوقي شعره الغنائي في ديوان سماه (الشوقيات)، ثم قام الدكتور محمد صبري السربوني بجمع الأشعار التي لم يضمها ديوانه، وصنع منها ديوانًا جديدًا في مجلدين أطلق عليه (الشوقيات المجهولة)[٢].

نص الملحمة: بالنظر لطول ملحمته فقد اخترنا منها ما يتسع له المقام:

مَـن جَعَـل المَغرِبَ مَطلَـعَ الضُحى
وَسَـخَّـرَ البَربَـرَ جُنـدًا لِلهُـدى
وَصَرَّف الأَيّامَ حَتّى أَحدَثَت
ما كانَ في الأَحلامِ أَحلامَ الكَرى
وَأَظفَر الصابِر بِالنُجحِ فَيا
هَزيمة اليَأسِ وَيا فَوز الرَجا
وَنَقَلَ الدَولَةَ في بَيت الهُدى
فَلَم تَزُل عَن طُنُب إِلّا إِلى
سُبحانَهُ المُلكُ إِلَيه وَلَه
يُؤتيهِ أَو يَنزِعُهُ مِمَن يَشا
قامَ إِمامٌ مِن بَني فاطِمَة
خَليفَة ثُم تَلاهُ مَن تَلا
ما عَجَبي لِمُلكِهِم كَيفَ بُنِى
بَل عَجَبي كَيفَ تَأَخَّر البِنا
جدّهمُ لا دِين دُون حُبِّه
وَأُمُّهُم بِالأُمَهات تُفتَدى
وَمُذ مَضى مُضطَهِدا وَالدُهم
أَصبَحَ بِالمُضطَهد اهتم المَلا
أَجلَّهم عَلِيَةُ كُلِّ حقبَة
وَخَصَّهُم فيها السَوادُ بِالهَوى
وَالفُرسُ وَالتُركُ جَميعاً شيعَةٌ
لَهُم يَرونَ حُبَّهُم رَأس التُقى
فَشَهِدَ اللهُ لَهُم ما قَصَّروا
القَتل صَبراً تارَة وَفي اللُقا
كَم ثارَ مِنهُم في القُرون ثائِرٌ
بِالأُمويين وَبِالآل الرِضى
هَذا الحُسينُ دَمُهُ بِكربلا
رَوّى الثَرى لَما جَرى عَلى ظَما
وَاستَشهد الأَقمارُ أَهلُ بَيته
يَهوُون في التُرب فرادى وَثُنا
ابن زيادٍ وَيَزيدُ بغيا
وَاللهِ وَالأَيامُ حَربُ مَن بَغى
لَولا يَزيدُ بادئاً ما شَرِبَت
مَروانُ بِالكَأس الَّتي بِها سَقى
وَثار لِلثارات زَيدُ بن عَلي
بن الحُسين بن الوَصيِّ المُرتَضى
يَطلُبُ بِالحُجة حَقَّ بَيته
وَالحَقُّ لا يُطلَبُ إِلّا بِالقَنا
فَتى بِلا رَأيٍ وَلا تَجرِبَة
جَرى عَلَيه مِن هِشامٍ ما جَرى
اتَخَذ الكُوفَةَ درعا وَقَنا
وَالأَعزِلُ الأَكشَفُ مَن فيها احتَمى
مَن تَكفه الكُوفَةُ يَعلَم أَنَّها
لَا نَصر عِندَ أَهلِها وَلا غَنا
سائل عَليًا فَهُوَ ذُو علم بِها
وَاستَخبِر الحسينَ تَعلم النبا
فَماتَ مَقتولاً وَطالَ صَلبُهُ
وَأُحرِقَت جِثَتُه بَعدَ البَلى
عَلى أَبي جَعفَرَ ثارَت فتيَةٌ
ما أَنصَفوا وَاللهِ في شَق العَصا

هُم أَهلُ بَيتَ الحُسن الطاهر أَو
من شَبَّ من بَيت الحُسين وَنَما
أَيطلُبون الأَمرَ وَالأَمرُ لَهُم
قَد قَرَّ في بَيت النَبيِّ وَرَسا
يَحمِلُ عَنهُم هَمَّهُ وَغَمَّهُ
أَبناءُ عَمٍّ نُجُبٌ أُولو نُهى
فَلَيتَ شعري كانَ ذا عَن حَسَد
أَم بُخلِهِ بلَّغهم إِلى القَلى

الدراسة:

أولًا البناء الفني:

البناء في اللغة بنى: بيتاً أحسن بناءً وبنيان، وهذا بناء حسن وبنيان حسن ((كأنهم بنيان مرصوص)) وسمي المبني بالمصدر. وبناؤك من أحسن الأبنية. وبنيت بنية عجيبة ورأيت البُنى فما رأيت أعجب منها وبنى القصور[٤].

و تحدث ابن طباطبا عن بناء الشاعر لقصيدته فقال:

(فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مَخَضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه)[٥].

امتازت مرثية أحمد شوقي بأنها لم تلتزم بالبناء الفني الكلاسيكي القديم الذي دأب عليه الشعراء بأن تبدأ قصائدهم بمقدمة وعادة ما تكون تلك المقدمة طللية، إذ نلاحظ أن الشاعر بدأ قصيدته بسؤال في قوله:

مَن جَعَل المَغربَ مَطلَعَ الضُحى
وَسَخَّر البَربر جُنداً للهُدى

وهو سؤال ينطوي على معاني كثيرة منها قضية التأمل في هذا الكون ومن هو المدبر الحقيقي، ذاكرًا آية من آيات الخالق وهي الصنع العجيب بالمغرب والضحى التي أقسم الباري عز وجل بها في آية من آياته المباركة.

ويستمر الشاعر في سرد الدلائل الربانية من قبيل تصريف الأيام التي يداوله الله للناس في قوله:

وَصَرّف الأَيّامَ حَتّى أَحدَثت
ما كانَ في الأَحلام أَحلامَ الكَرى

الملاحظ أن الشاعر يلجأ إلى استعمال الأفعال الماضية للتعبير عن الأحداث التي مرت ذاكرًا إياها من باب العبرة والتأسي بتلك الأحداث وهي عبارة عن تمهيد للغرض الأساسي وهو سرد ما حصل مع العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام.

حسن التخلص:

امتازت قصيدة الشاعر بحسن التخلص فقد كان الشاعر يتخلص إلى غرضه دون أن يشعر القاريء بذلك وهذا ينم عن قدرته الفنية في توظيف هذا الغرض، انظر إلى قوله :

سُبحانَهُ المُلكُ إِلَيه وَلَه
يُؤتيه أَو يَنزِعهُ ممَن يَشا
قامَ إِمامٌ مِن بَني فاطمَة
خَليفَة ثُم تَلاه مَن تَلا
ما عَجبي لِمُلكهم كَيفَ بُنى
بَل عَجبي كَيفَ تَأَخَر البنا
جدّهمُ لا دِين دُون حُبِّه
وَأُمُّهُم بالأَمَهات تُفتَدى

نلاحظ كيف أن الشاعر ينتقل من المقدمة إلى غرضه بطريقة فنية وظّف فيها النص القرآني في اشارة واضحة إلى الآية القرآنية في قوله تعالى: (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (آل عمران: ٢٦).

فالشاعر هنا يقر بخلافة أبناء فاطمة عليهم السلام معددًا مفاخرهم وأمجادهم والبناء الروحي الذي بنوه، ذلك البناء الذي استفادت منه البشرية جمعاء وإلى يومنا هذا.

فضلًا عن هذا امتازت قصيدة الشاعر بقدرته على التناسب بين مكونات القصيدة فلم يغلب غرضًا على آخر أي أنه كان يوافق بين أجزائها.

مفردات الشاعر:

استعمل الشاعر أسلوب توظيف المفردة القرآنية في قصيدته وربما يعود السبب إلى موضوع القصيدة وهو الحديث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام وكلنا يعلم مدى صلة وقرابة أهل البيت عليهم السلام من القرآن الكريم، من هنا صار الحديث عنهم يؤدي إلى الحديث عن القران الكريم لأنهم تخلقوا بأخلاق القرآن، نحو قوله:

وَقالَ يا قَوم اتبِعوا واليكُم
هَذا الخَليفَةُ ابنُ بنت المُصطَفى

لقد استفاد الشاعر من مضمون الآيات القرآنية، فضلًا عن مفرداتها نحو الولي والخليفة ورسول الله والملك والمصطفى في أمثلة أخرى من قصيدته.

غرض القصيدة:

ركّز الشاعر حديثه على الغرض الرئيسي وهو مدح العترة الطاهرة متبعًا طريقة السرد في نقل تلك المآثر نحو قوله:

وَمُذ مَضى مُضطَهدا وَالدُهم
أَصبَحَ بِالمُضطَهد اهتم المَلا
أَجلَّهم عليَّةُ كُلِّ حقبَة
وَخَصَّهُم فيها السَوادُ بالهَوى
وَالفُرسُ وَالتُركُ جَميعاً شيعَةٌ
لَهُم يَرونَ حُبَّهُم رَأس التُقى
فَشَهدَ اللهُ لَهُم ما قَصَّروا
القَتل صَبراً تارَة وَفي اللُقا
كَم ثارَ منهُم في القُرون ثائرٌ
بِالأمويين وَبالآل الرضى
هَذا الحَسينُ دَمُهُ بكربلا
رَوّى الثَرى لَما جَرى عَلى ظَما
وَاستَشهد الأقمارُ أهلُ بَيته
يَهوُون في التُرب فرادى وَثُنا

نلاحظ أن الشاعر يرى أن مظلومية أهل البيت عليهم السلام بدأت منذ أن اغتصبت الخلافة، فقد عبر عن اضطهاد الإمام الذي عبر عنه بالوالد، وهو يرى أن حبهم قد تعدى القومية حتى عادت الفرس والترك جميعا شيعة لهم.

أما المرتكز الآخر في قصيدة الشاعر فيتمثل في رثاء فاجعة زيد الشهيد رضوان الله تعالى عليه في قوله:

وَثار للثارات زَيدُ بن عَلي
بن الحُسين بن الوَصيِّ المُرتَضى
يَطلُبُ بِالحُجة حَقَّ بَيته
وَالحَقُّ لا يُطلَبُ إلّا بِالقَنا
فَتى بلا رَأي وَلا تَجربَة
جَرى عَليه من هشام ما جَرى
اتَخَذ الكُوفَةَ درعا وَقَنا
وَالأعزلُ الأكشَفُ مَن فيها احتَمى
مَن تَكفه الكُوفَةُ يَعلَم أَنَّها
لَا نَصر عندَ أهلها وَلا غَنا
سائل عَليّا فَهُوَ ذُو علم بها
وَاستَخبر الحسينَ تَعلم النبا
فَماتَ مَقتولاً وَطالَ صَلبُهُ
وَأُحرقَت جثَتُه بَعدَ البَلى

فالشاعر هنا يصور زيد الشهيد على أنه الثائر المنتقم لجده الحسين عليه السلام فهو لا يقبل بالضيم وإن طال الزمن وأن المجرمين العتاة لابد أن يلاقوا جزاءهم،

وقد نبه الشاعر على مسالة مهمة وهي أن زيد الشهيد كان يطلب بالحجة وكلمة الحق إلا أن الدفاع عن الحق يحتاج إلى القنا وكل سبل ووسائل الحرب.

لقد أجاد الشاعر في عملية الربط والموازنة بين شهادة الإمام علي عليه السلام من جانب، وشهادة الحسين عليه السلام وشهادة زيد رضوان الله تعالى عليه من جانب آخر، فهو يؤكد أن الغاية واحدة والمبدأ واحد.

أما الصورة الأخرى التي رسمها الشاعر فتتمثل في قضية (الصلب) وهي شكل من أشكال التمثيل التي حرمها الله سبحانه وتعالى، والشاعر يريد أن يقول إن بني أمية ومن لف لفهم قد انتهكوا كل المحرمات وفي هذا إشارة واضحة إلى عدم إيمانهم بالدين وتعاليمه وأنهم كانوا يطلبون الملك الدنيوي.

ويبدو أن الشاعر كان يرمي منه إلى طرد الحزن الجارف الذي خيم في نفسه نتيجة فقد تلك الشخصيات العظيمة، فهو (تسلية لمن عضّته النوائب بأنيابها، وفرقت الحوادث بين نفسه وأحبابها)[٦].

السرد التاريخي:

السرد في استعمال من استعمالاته عمل يقوم به السارد، الذي يروي حدثًا واحدًا أو أحداثًا كثيرة، ويكون المعتبر هنا إعادة بناء الأحداث المنقضية، وقد أجاد الشاعر أحمد شوقي في حديثه عن الأحداث التي تناولها في قصيدته مع مراعاة التسلسل التاريخي لها.

إن بحث الشاعر أحمد شوقي عن وسائل وأدوات تعبيرية جديدة كان من شأنها دفع الشعر العربي على طريق الحداثة، إذ جعله يلتقي بمحاولات التجديد في الشعر العالمي، هذه المحاولات التي (اقترنت غالباً بنمو العناصر الدرامية والملحمية والحكائية داخل القصيدة الجديدة إلى جانب العناصر..الأخرى)[٧].

وربما كان أخطر ما تلقاه الشاعر العربي الحديث من هذه المؤثرات الوافدة مقولة (اليوت) عن (المعادل الموضوعي) فضلاً عن شعره، إذ لم يعد الشاعر يسوق فكرته أو يعبر عن عاطفة بصورة مباشرة كما هو الأمر في شعرنا القديم، بل صار يلجأ لنقل انفعالاته إلى عقل القارئ، إلى وسيط هو: (مجموعة من الموضوعات، موقف، سلسلة من الأحداث)[٨].

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر اعتمد على مجموعة تقنيات منها الزمن والسارد والوظيفة فضلًا عن مستوى الشخصيات في القصيدة وكل هذه العوامل مجتمعة ساعدت على إنتاج ملحمة مؤثرة استطاعت أن تخلد تضحيات أهل البيت عليهم السلام ومن والاهم إلى يومنا هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين■

---

١) ينظر الأعلام للزركلي
٢) شوقي وشعره الإسلامي د.ماهر حسن فهمي، ص ٢٢
٣) ينظر ديوان شوقي: ٣
٤) أساس البلاغة: جار الله الخوارزمي الزمخشري: ١/٨
٥) عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر:١١.
٦) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ٤/٥ ١٦.
٧) معالم جديدة في أدبنا المعاصر، فاضل ثامر، ص٢٩٢.
٨) النقد الأدبي تأريخ موجز، النقد الحديث، ص١٥٢.

واحة الأدب

قصة قصيرة....

((بركان الوجع))

بنت العراق

ينابيع

طوال الأيام التي مرت كنت أمني النفس بأن ما شاع من الأخبار إن هو إلا كابوس يزول يوما وإني سأصحو صبيحة يوم ما وأجد أن ما كان لم يكن..... فأستأنف رغد العيش الذي لم أشعر به يوماً رغدا إلا بعد أن حدث الذي حدث....وعندما تأكد الأمر كانت مرارة تصديق ذلك لا تطاق.. لم أحتمل رؤية دموع الفجيعة ولا سماع عويل النساء الثكلى لذا هربت.. انزويت في ركن بعيد في المنزل ولم يفتقدني أحد لساعات خلت.

ومرت ساعات ثقيلة على كاهلي وتفكيري شعرت أن رئتي امتلأتا بالدموع حتى كادت تخنقني وضاق نفسي، أذهلتني... الصدمة وبقيت فترة غير قصيرة أحدق في سقف الغرفة الذي بدا كئيباً باكياً.

أخيراً تحررت دموعي استطعت البكاء سمعت صوت نحيبي وشعرت بجسدي يهتز من شدة النشيج....

كنا نعيش الانتظار بأقسى صوره ونتشبث بأي بارقة أمل ونحلم بكل جوارحنا أن يكون حديث الآخرين وما تناقلوه ضرباً من الوهم الخيال..... كانت الحقائق واضحة...

ولكن ككل المفجوعين لم نشأ التصديق... واخترنا الحلم على الواقع المرير.... كان لنا نصيب من الشهداء من بينهم عمي وأخي... أخي...

معيلنا الوحيد...

أنا وأمي وزوجه وابنه.... وبما أننا نعيش متجاورين مع بقية الأقارب فقد امتلأ بيتنا بالنساء وضج بعويلهن ولم أحتمل ذلك فخلوت مع أفكاري رحت أتصور الفاجعة؛ وما تخلفه من أيتام وأرامل وألم وقسوة وضياع..... ولم أستطع تخيل أي طريقة غدروه بها... كان الأمر صعبًا.. وأقسى من أن أتصوره....

فبكيت لمجرد التفكير... ولكن لماذا غدروهم؟... والأولى أن يدافع عنهم لا أن ينكل بهم، يالعمق الجرح وشدة نزفه.....ألفا شهيد!؟؟ كيف احتملت الأرض دماءهم....! إنه لأمر موجع...!...ليس لأن كل الشهداء شباب في ربيع العمر ومن بعدهم شاب الوطن وشاخ فحسب. بل يعني أيضاً أكثر من ألف أرملة وقرابة ثلاثة الآف يتيم..... "إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون أيخون إنسان بلاده؟ إن خان معنى أن يكون..... فكيف يمكن أن يكون" أيخون إنسان بلاده؟ أيبيع إنسان بلاده؟ والى أي وطن ينتمي بعده....! وتساءلت مع نفسي ألف مرَه - هل الخائن يحيا مثلنا أتراه يغفو ليلا" وينام رغدًا..

ويأكل ويشرب... أتراه يصلي ويتضرع إلى اللّه.... أتراه يعرف اللّه؟؟... وهل يبتسم ويرق قلبه لرؤية صبية يلعبون ويضحكون بل هل عنده قلب !؟ هل عنده أسرة..... زوجٌ وأطفال.. عنده أطفال؟!! ويدرك معنى الأبوة. أيضمهم إلى صدره.... وتمتلئ رئتاه بعطر البراءة.... أتراه يداعب أطفاله ويلاطفهم !!!؟.. ألا تلوح في ضميره صورة أيتام من تسبب بمقتلهم ودموعهم التي يهتز لها عرش الرحمن... هل يتابع ما حدث ويرى صور الفجيعة التي تؤرق من يراها ليالي طوالاً.... وتحرمه لذة العيش... فكيف لمن تسبب بذلك ألا يشعر بشيء؟.... هذا التفكير أذهلني لساعات كنت أتمنى لو أتخيل صورته هل يبدو عادياً كمثل الناس.... ألا أجد في ملامحه صفات الوحوش وإذا كشر بدت له أنيابٌ بدل الأسنان.

آه يا سبايكر! لا أخال جرحك سيبرأ يوماً؛ وإن نهض العراق وأشرقت شمسه ستبقى تلك الندبة على قسمات وجهه وصمة عارٍ في تاريخ الخونة.ويومًا للشهادة والفداء و نقشًا محفورًا في ذاكرة كل عراقي...

وذكرى تتجدد في كل يوم وكل ساعة.

سبايكر... ستكون نشيدنا الوطني الذي

يردده الصغار عندما يعانق العلم السماء.. وتكون أول حروف نعلمها للهجاء وفي كل كتاب قراءة يحضنه طفل سيكون هناك حكاية اسمها سبايكر (عن أب أيتم أطفاله... أو أم قدمت ولدها قربانًا للوطن..أو زوجًا ضحت بزهرة أيامها... و.. و... ألف حكاية وحكاية) في كل منهج يدرس يجب أن نضع سبايكر بين صفحاته لكي نحيا باقي أيامنا ' مدركين أن لكل لحظة ثمن باهض دفع مسبقاً..... نزرعها في قلوب الأطفال بذرة حتى لا تغدر أجيالنا الجديدة... وتعرف أي ثمن دفع للحياة... ولا تنسى دماء الشهداء.

نظرت إلى ابن أخي.. حدقت في براءته.... إنه صغير جداً لا يعرف معنى اليتم مازال يحبو بيننا ويدير بصره حائراً لا يعرف ما يجري كان قد أتحف والده بكلمة (بابا) أول مرة قبل رحلته الأخيرة إلى المعسكر وطوال غياب والده؛ تحايلنا عليه ليكررها دون جدوى وأحسبها الآن جفت على شفاهه الصغيرة فلا ينطقها أبداً... كان قد بدأ يخطو أولى خطواته رغم كل ما حوله... يقوم ويقع أكثر من مرة ولكن يحاول.. ويحاول..

سيسير قريبا.... جلت ببصري بالمنزل الكبير الذي بدا كئيباً.... أمي في زاوية تندب... زوج أخي.... نساء أخريات كثر ما أحسب دموعهن ستجف يومًا.... ولا دماء الشهداء كذلك.

روايات

*** عن الوشاء عن بعض أصحابه عن أبي عبد اللهَّ عليه السّلام قال « إنا صبر وشيعتنا أصبر منا قلت جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم قال لأنا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون». (الكافي/ ٢ / ٩٣)**

*** عن الفضيل بن يسار قال «دخلت على أبي عبد اللهَّ (عليه السّلام) في مرضة مرضها لم يبق منه إلا رأسه فقال يا فضيل إنني كثيرا ما أقول ما على رجل عرفه اللهَّ هذا الأمر لو كان في رأس جبل حتى يأتيه الموت يا فضيل بن يسار إن الناس أخذوا يمينا وشمالا وإنا وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم. يا فضيل بن يسار إن المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيرا له ولو أصبح مقطعا أعضاؤه كان ذلك خيرا له يا فضيل بن يسار إن اللهَّ لا يفعل بالمؤمن إلا ما هو خير له يا فضيل بن يسار لو عدلت الدنيا عند اللهَّ جناح بعوضة ما سقى عدوه منها شربة ماء يا فضيل بن يسار إنه من كان همه هما واحدا كفى اللهَّ همه ومن كان همه في كل واد لم يبال اللهَّ بأي واد هلك». (الكافي، ٢/ ٢٤٦)**

الحكمة والموعظة من خطبة (الوسيلة) لأمير المؤمنين عليه السلام

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلَامِ، ولَا كَرَمَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، ولَا مَعْقِلَ أَحْرَزُ مِنَ الْوَرَعِ، ولَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، ولَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، ولَا وِقَايَةَ أَمْنَعُ مِنَ السَّلَامَةِ، ولَا مَالَ أَذْهَبُ بِالْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقَنَاعَةِ، ولَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ، ومَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ وتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ، والرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ التَّعَبِ، والِاحْتِكَارُ مَطِيَّةُ النَّصَبِ، والْحَسَدُ آفَةُ الدِّينِ، والْحِرْصُ دَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ وهُوَ دَاعِي الْحِرْمَانِ، والْبَغْيُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ والشَّرَه جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، ورُبَّ طَمَعٍ خَائِبٍ، وأَمَلٍ كَاذِبٍ، ورَجَاءٍ يُؤَدِّي إِلَى الْحِرْمَانِ، وتِجَارَةٍ تَؤُولُ إِلَى الْخُسْرَانِ، أَلَا ومَنْ تَوَرَّطَ فِي الأُمُورِ غَيْرَ نَاظِرٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُفْضِحَاتِ النَّوَائِبِ، وبِئْسَتِ الْقِلَادَةُ الذَّنْبُ لِلْمُؤْمِنِ،

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَا كَنْزَ أَنْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ، ولَا عِزَّ أَرْفَعُ مِنَ الْحِلْمِ، ولَا حَسَبَ أَبْلَغُ مِنَ الأَدَبِ، ولَا نَصَبَ أَوْضَعُ مِنَ الْغَضَبِ، ولَا جَمَالَ أَزْيَنُ مِنَ الْعَقْلِ، ولَا سَوْأَةَ أَسْوَأُ مِنَ الْكَذِبِ، ولَا حَافِظَ أَحْفَظُ مِنَ الصَّمْتِ، ولَا غَائِبَ أَقْرَبُ مِنَ الْمَوْتِ،

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِه اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِه، ومَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَأْسَفْ عَلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِه، ومَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِه، ومَنْ حَفَرَ لأَخِيه بِئْراً وَقَعَ فِيهَا، ومَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِه انْكَشَفَ عَوْرَاتُ بَيْتِه، ومَنْ نَسِيَ زَلَلَهُ اسْتَعْظَمَ زَلَلَ غَيْرِه، ومَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِه ضَلَّ، ومَنِ اسْتَغْنَى بِعَقْلِه زَلَّ، ومَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، ومَنْ سَفِه عَلَى النَّاسِ شُتِمَ، ومَنْ خَالَطَ الأَنْذَالَ حُقِّرَ، ومَنْ حَمَلَ مَا لَا يُطِيقُ عَجَزَ،

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَا مَالَ هُوَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، ولَا فَقْرَ هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ، ولَا وَاعِظَ هُوَ أَبْلَغُ مِنَ النُّصْحِ، ولَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، ولَا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ، ولَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ، ولَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ، ولَا وَرَعَ كَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، ولَا حِلْمَ كَالصَّبْرِ، والصَّمْتِ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الإِنْسَانِ عَشْرُ خِصَالٍ يُظْهِرُهَا لِسَانُه شَاهِدٌ يُخْبِرُ عَنِ الضَّمِيرِ، حَاكِمٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخِطَابِ، ونَاطِقٌ يُرَدُّ بِه الْجَوَابُ، وشَافِعٌ يُدْرَكُ بِه الْحَاجَةُ، ووَاصِفٌ يُعْرَفُ بِه الأَشْيَاءُ، وأَمِيرٌ يَأْمُرُ بِالْحَسَنِ، ووَاعِظٌ يَنْهَى عَنِ الْقَبِيحِ، ومُعَزٍّ تُسَكَّنُ بِه الأَحْزَانُ، وحَاضِرٌ تُجْلَى بِه الضَّغَائِنُ، ومُونِقٌ تَلْتَذُّ بِه الأَسْمَاعُ،

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّه لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ، واعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّه مَنْ لَمْ يَمْلِكْ لِسَانَه يَنْدَمْ، ومَنْ لَا يَعْلَمْ يَجْهَلْ، ومَنْ لَا يَتَحَلَّمْ لَا يَحْلُمْ، ومَنْ لَا يَرْتَدِعْ لَا يَعْقِلْ، ومَنْ لَا يَعْلَمْ يُهَنْ، ومَنْ يُهَنْ لَا يُوَقَّرْ، ومَنْ لَا يُوَقَّرْ يَتَوَبَّخْ، ومَنْ يَكْتَسِبْ مَالاً مِنْ غَيْرِ حَقِّه يَصْرِفْه فِي غَيْرِ أَجْرِه، ومَنْ لَا يَدَعْ وهُوَ مَحْمُودٌ يَدَعْ وهُوَ مَذْمُومٌ، ومَنْ لَمْ يُعْطِ قَاعِداً مُنِعَ قَائِماً، ومَنْ يَطْلُبِ الْعِزَّ بِغَيْرِ حَقٍّ يَذِلَّ، ومَنْ يَغْلِبْ بِالْجُوْرِ يُغْلَبْ، ومَنْ عَانَدَ الْحَقَّ لَزِمَه الْوَهْنُ، ومَنْ تَفَقَّه وُقِّرَ، ومَنْ تَكَبَّرَ حُقِّرَ، ومَنْ لَا يُحْسِنْ لَا يُحْمَدْ...» (الكافي/ للكليني/ ج٨ص١٨)

طروحات عامة

بدع ومستحدثات معاوية بن أبي سفيان في الإسلام

الشيخ حسن العيساوي
باحث إسلامي وخطيب

ينابيع

لقد أحدث معاوية بن أبي سفيان في الإسلام أموراً لم تكن موجودةً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ولا في زمن الخلفاء الثلاثة ولكنه بدهائه ومكره استطاع أن يحدث هذه الأمور ويجعلها مقبولة إلى يومنا هذا بل لا يسمح بالمناقشة فيها مع إنها بدع اخترعها معاوية لتثبيت حكمه وسلطته بعد أن عشق السلطة وتمسك بالدنيا وملذاتها، وهذا لا يتم له إلا بالاحتفاظ بالكرسي والمنصب الدنيوي الذي فعل كل شيء في سبيل البقاء فيه ولذلك غير سنة النبي صلى الله عليه وآله وابتدع ما لم يشرعه النبي صلى الله عليه وآله أو يقله أو يأمر به أو يقرره.

وبعد هذا التلاعب والاستخفاف بالدين والتشريع النبوي العظيم فعل معاوية الجرائم العظيمة، فقتل كل من عارض حكمه وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأشعل نار الحرب بين المسلمين عندما رفض بيعة الإمام علي عليه السلام فكانت حرب صفين التي ذهب ضحيتها آلاف من المسلمين ولم يكن ذنب لهم سوى أن معاوية رفض بيعة الإمام علي عليه السلام الخليفة الشرعي الذي بايعه المهاجرون والأنصار في المدنية المنورة، وبعد أن وصل معاوية إلى سلطة الحكم غير في بيت أموال المسلمين فجعل الذهب والفضة خاصة له، وقد استعمل المال والدهاء في تثبيت ملكه، وكان شعاره استخدام الغدر والخيانة بتصفية خصومه والتخلص منهم، كما سيمر علينا.

إلا أن الإمام عليًا عليه السلام واجه هذا الطاغية وحاربه وقد كاد أن يقضي عليه، لولا حيلة معاوية برفع المصاحف، والتي

أدت إلى انشقاق جيش الإمام علي عليه السلام وظهور الخوارج. مما أفضى إلى حدوث شرخ وتصدع في جبهة الإمام عليه السلام ما أتاح لمعاوية البقاء في السلطة. وقد خلا له الجو تماماً بعد مؤامرة اغتيال الإمام علي عليه السلام واستشهاده.

وللبقاء والاستمرار في حكمه ابتدع معاوية مذهب الجبر ـ كما سنبين ذلك لاحقا ـ وجعله الأساس الذي عليه بنى حكمه وخلافته، وبقي واستمرت هذه النظرية من بعده يعتمد عليها الظالمون واحدًا بعد آخر وإلى يومنا هذا، والعجيب في الأمر أن معاوية استطاع بدهائه ومكره أن يخدع المسلمين بهذه النظرية فيجعل ولاية العهد لابنه يزيد الذي كان معروفًا عند المسلمين بخمره وفسوقه خليفة لهم، ولا يحق لأحد أن يعترض عليه لأنه منصب من قبل الله سبحانه تعالى ـ بحسب النظرية الجبرية.

وفيما يلي نستعرض ما أحدثه معاوية وابتدعه حسب ما يتسع له المقام، ونبين مخالفته للسنة النبوية.

* قتال الوالي لخليفة المسلمين

لقد كانت خلافة الخلفاء الثلاثة مبنية على تعيين الولاة أو عزلهم في كل خلافة من قبل الخليفة مباشرة، باعتبار أن الخليفة منصب من قبل المسلمين وهم الذين اختاروه بالشورى ـ كما يدعون ـ فعملية تنصيب الولاة وعزلهم من حق الخليفة حصراً، وهذا ما دأب عليه الخلفاء الثلاثة طيلة فترة حكمهم. فلما وصل الأمر والخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام، بدأ في ممارسة مهامه كخليفة منتخب، ومن بين تلك المهام كتب إلى الولاة بمبايعته لينفذوا

أوامره في الأمصار وليطبق سياسته فيها من خلالهم، ومن بين تلك الكتب كتابه عليه السلام إلى معاوية، جاء فيه:

(أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، إذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما، كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه، .....)[١].

ولكن معاوية لم يدخل في بيعة المسلمين ورفض كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، واستطاع بدهائه ومكره الوصول لكرسي الخلافة حينما خدع المسلمين بأن الإمام عليًا عليه السلام هو الذي أمر بقتل الخليفة عثمان، وصور للشاميين كأن العملية انقلاب على الخليفة الشرعي (عثمان)، والدليل على ذلك أن علياً يحتفظ بقتلة عثمان وهم آمنون، وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن سلمني قتلة عثمان وأنا أسلمك ولاية الشام ـ باعتبار أن عثمان أموي ـ وأشاع بين أهل الشام أنه لا يريد الخلافة لنفسه ولكنه يريد معرفة قتلة الخليفة المظلوم.

وقد أفضى ذلك التمرد إلى نشوب الحرب بين الخليفة والوالي وراح ضحيته آلاف المسلمين.

وهكذا كانت أولى بدع معاوية هي: (مقاتلة الوالي لخليفة المسلمين).

*** إلحاق ابن الزنا بالزاني:**

من العجائب التي فعلها معاوية هي إلحاق ابن الزنا بالزاني وليس بالزوج صاحب الفراش الذي تزني زوجته وقد خالف بهذه البدعة قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)[٢] وقد ألحق ابن زياد بنسبه وهو ابن امرأة معروفة بالزنا حيث كانت بالطائف (وكانت جارية لرجل من بني يشكر أصابه وجع شديد أعيى من حوله الأطباء فبلغه مكان الحارث بن كلده الثقفي بالطائف الذي استطاع أن يعالجه حتى يشفيه من مرضه فوهب له اليشكري سمية)[٣] ولكن الحارث تأثر من أقوال الناس على جاريته لاشتهارها بالزنا فاضطر إلى تزويجها (من عبد رومي كان راعياً للغنم عنده يدعى عبيد)[٤] وقد زنى بها أبو سفيان عندما طلب من أبي مريم الخمار أن يحضر له امرأة ليزني بها فأحضر له سمية ليزني بها ولكن معاوية لمصلحة سياسية مع ابن زياد استلحقه بنسبه، وهو خلاف صريح للسنة النبوية الشريفة. وقد اعترض الكثيرون على معاوية على فعلته هذه، منهم النسابة المعروف في زمانه أبو العريان العدوي ،إلا أن معاوية أسكته بمائتي دينار بعثها إليه[٥]، كذلك اعترض أيضاً يونس بن سعيد بن عبيد على هذا الاستلحاق، وهذا لم تنفع معه إغراءات معاوية فدس إليه السم فقتله، وكذلك اعترض أبو بكرة أخو زياد وحلف أن لا يكلمه أبداً، وعندما سمع أن زياد يريد الحج دخل عليه (وفي حجر زياد بني يلاعبه وجاء أبو بكرة حتى وقف عليه فقال للغلام: كيف أنت يا غلام؟ إن أباك ركب في الإسلام عظيما زنى أمه وانتفى من أبيه)[٦] وهكذا استطاع أن يدخل وهو خليفة المسلمين كما يدعي ما رفضه الإسلام وحاربه وسعى إلى تخليص المجتمع منه وهو الزنا ولكن معاوية أثبته واعتبره من الأمور التي لا يجوز الاعتراض عليها وقد أعطى أموالاً في سبيل تثبيت الزنا بل والافتخار بأن له أخًا من الزنا

ولذلك قال الشاعر عبد الرحمن بن بكر بن الحكم على فعل معاوية عندما نسب إلى أبيه الزنا مفتخراً بذلك:

ألا أبلغ معاوية بن حرب
أتغضب أن يقال أبوك عف
فأشهد أن رحمك من زياد
وأشهد أنها حملت زيادا
لقد ضاقت بما تأتي اليدان
وترضى أن يقال أبوك زان
كرحم الفيل من ولد الأتان
وصخر من سمية غير دان[٧]

لم يختلف اثنان من المسلمين على حرمة الزنا إلا معاوية لم يحرم الزنا الذي حرمه الله سبحانه تعالى لأن معاوية:

أولاً: تظاهر بالإسلام للمحافظة على كرسي الحكم الذي عشقه وفعل كل شيء في سبيل البقاء في منصبه حتى لو كان الثمن تهديم الإسلام وإنكار ما جاء به النبي ﷺ وجعل الحلال حرامًا والحرام حلالاً ولم يدخل الإيمان قلبه وإنما أراد تحقيق حلم بني أمية وأبيه أبي سفيان الذي قال لعثمان يوماً عندما رآه يبذل المال على بني أمية: (بأبي أنت وأمي أنفق ولا تكن كأبي حجر وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان فو الله ما من جنة ولا نار)[٨].

ثانياً: إن معاوية مولود من امرأة زانية تدعى هند وكانت معروفة بالزنا عند العرب، بل من ذوات الأعلام في الجاهلية[١٠]، فلذلك قبل معاوية أن يكون أبوه زانياً ولا يكون عفًا.

*مذهب الجبر والرضا بالظالم:

ابتدع معاوية مذهب الجبر لإرغام المسلمين على مبايعته وأنه أحق بالخلافة لأنه في البداية ادعى أنه أقرب إلى رسول الله ﷺ من الإمام الحسن عليه السلام ولكن هذه الخديعة لم تنفع في إضلال الناس لأن الإمام الحسن عليه السلام أقرب إلى رسول الله ﷺ منه لأن جده رسول الله ﷺ وهو ابن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ ولذلك ابتدع معاوية هذا المذهب الذي يدعي بأن الناس يجب عليهم الرضا بأي حاكم لأنه منصب من قبل الله فقد قال لأهل الكوفة: (قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)[١٠] قد ساعد معاوية على هذه البدعة في الإسلام العلماء المنحرفون عن الدين الذين باعوا الدين بالدنيا أمثال الحسن البصري الذي كان يقول عن الوالي الظالم: (إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف وعليكم بالصبر والسكينة)[١١] واستمر الخلفاء من بعده على هذه البدعة إلى يومنا هذا، فهم قد وصلوا إلى السلطة بقوة السيف ولا يقبلون أي انتخابات تجري لانتخاب غيرهم، يمنعون غيرهم من الوصول إلى كرسي الحكم حتى ولو كان بقتل الناس المعارضين لهم، وقد زاد هذا المذهب من قبضة معاوية فقد بدد كل نظرية تعارض نظريته، فرفض نظرية التعيين التي يقول بها الشيعة الإمامية ورفض نظرية الشورى التي يقول بها أهل السنة وبقي على هذا المذهب إلى أن هلك بعد أن سلم الخلافة إلى ابنه يزيد (لعنه الله).

*البيعة لولي العهد

أحدث وابتدع معاوية البيعة لابنه يزيد من بعده وليًا للعهد في الإسلام والذي بقي من بعده إلى يومنا هذا، فكرسي الرئاسة يستقل به الأب ثم إذا مات جعل ابنه مكانه، وتشير المصادر التاريخية أن أول من طرح الفكرة على معاوية هو المغيرة بن شعبة المعروف بدهائه ومكره، فقال: (يا أمير

المؤمنين) قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة، قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك)[١٢].

وقد استمر معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد عبر أتباعه في مختلف الأمصار، وفي المدينة المنورة قام مروان بن الحكم خطيبا في الناس بالمسجد قائلا: (إن (أمير المؤمنين) ـ يعني معاوية ـ قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده..) فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: (كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ما الخير أردتما لأمة محمدﷺ ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل)[١٣].

* جعل ضياع الملوك وأراضيهم ملكاً للخليفة

كانت قصور الملوك وأراضيهم وضياعهم تابعة لبيت مال المسلمين عندما يفتحها المسلمون بعد المعارك التي ينتصرون بها على الكفار ولكن معاوية جعلها له ولأهل بيته ووزع عليهم قسمًا منها فكان أول خليفة له الأراضي في كافة البلدان الإسلامية[١٤] وبهذه البدعة صار معاوية يملك القصور في كل بلاد الإسلام جاعلاً لنفسه ما للملوك قبل الإسلام.

* جعل الذهب والفضة والصوافي خالصة له

عندما كان المسلمون يذهبون إلى الجهاد كانت الغنائم تقسم بين المسلمين بعد أن يدفع خمسها إلى بيت المال ولكن معاوية أمر الفاتحين أن يعزلوا له الذهب والفضة خالصة له ويوزعوا الباقي على الفاتحين، ولم يكتفِ بذلك، بل (وأوعز معاوية إلى زياد بنِ أبيه أن يصطفي له الذهب والفضة فقام زياد مع عماله بإجبار المواطنين على مصادرة ما عندهم من ذلك وإرساله إلى دمشق وقد ضيق بذلك على الناس، وترك الفقر آخذا بخناقهم)[١٥]. وكذلك جعل الصوافي له خاصة، والصوافي: هي (الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدها صافية)[١٦]. وبذلك استطاع أن يزيد من أمواله الخاصة ويتصرف فيها كيفما شاء فيعطي لمن يواليه ويتبع سياسته ويحرم المعاند له والمخالف لحكمه وظلمه.

* جعل نصف دية المعاهد لنفسه

جعل معاوية دية المعاهد لنفسه بعد أن كانت لبيت المسلمين (وألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد، حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال)[١٧] وساعد تراكم الأموال في خزينة معاوية بدلًا من بيت المال على إعطائه المرونة والقابلية على المراوغة مع أعدائه وجذب من يستطيع إغراءه بالمال. وقد حاول مع أبي الأسود الدؤلي الذي كان من أصحاب الإمام عليعليه السلام (هدية فيها حلواء، يريد بذلك استمالته وصرفه عن حب أمير المؤمنين عليعليه السلام، فدخلت ابنة صغيرة له، فقال لها أبو الأسود: يا بنتي... هذه حلواء أرسلها

إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين عليه السلام، ويردنا عن محبة أهل البيت عليهم السلام، فقالت الصبية: قبحه الله يخدعنا عن السيد المطهر، ثم قالت:

أبالشهد المزعفر يا ابن هند
نبيع عليك أحسابا ودينا
معاذ الله كيف يكون هذا
ومولانا أمير المؤمنينا[١٨]

* استخدام الغدر والخيانة في تصفية المخالفين له.

استخدم معاوية أسلوب الحيلة والدهاء والمكر والغدر في قتل كل من يخالفه أو يمتنع عن التسليم لسلطته ويعترض على سلطته وهذا ما حصل لعدد كبير من الأشخاص الذين لم يبايعوه فقد قتلوا غدراً وخيانة حتى قال معاوية قولته المشهورة المتقدمة (إن لله جنودًا من عسل)[١٩]، لأنه كان يقتل الناس بطريقته الخاصة حيث كان يضع السم في العسل ثم يقدمه إلى خصومه على أنه شراب طيب فيشربه فيموت فوراً وهذا ما فعله معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام عندما دس السم عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث التي دست له، وكذا مالك الأشتر، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: (واللّه مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ولَكِنَّه يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ ولَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجَرَةٌ وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢٠]■

---

١) شرح نهج البلاغة/ابن أبي الحديد/ ج٣ص٧٥.
٢) المقنع/الشيخ الصدوق/ص٤٠١.
٣) أنساب الأشراف ج٥ ص١٩٨.
٤) ن. م.
٥) شرح النهج/ج١٦ص١٨٧.
٦) ن.م
٧) ن.م
٨) ن.م/ج٢ص٤٥.
٩) ناسخ التواريخ/سبهر لسان الملك/ص٣٢٩.
١٠) البداية والنهاية: ٨/ ١٤٠.
١١) البداية والنهاية: ٩/١٥٦.
١٢) الكامل في التاريخ: ٣/ ٥٠٤.
١٣) ن.م/ص٥٠٦.
١٤) راجع تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٨.
١٥) حياة الإمام الحسين عليه السلام/القرشي/ج٢ص١٣٣.
١٦) النهاية/ابن الأثير ٣ / ٤٠.
١٧) الأغاني/أبو الفرج الأصفهاني/ج١٦ص٣٩٧.
١٨) مواقف الشيعة/الأحمدي اليانجي/ج٣ص٢٧٤.
١٩) مختصر تاريخ ابن عساكر٢٤/٢٤.
٢٠) نهج البلاغة/صبحي الصالح/ص٣١٨.

طروحات عامة

شيخ الخطاطين في عصره الوزير ابن مقلة ودوره الإبداعي في تطوير الخط العربي

حيدر عبد الباري الحداد
شعبة إحياء التراث /العتبة العلوية المقدسة

ينابيع

يتمتع الخط العربي بسحر وجمال وجاذبية ما جعله يخطف أبصار ناظريه منذ عهد بعيد حيث يستوقف الناظر ويثير فيه الدهشة والإعجاب، ولو تأملنا تلك النصوص المكتوبة على الحجر والبردي أو التي كتبت على الرق ومن ثم على الورق لرأينا إبداعها وهي تكشف عن مفاتن خطوطها وإيحاءاتها، حتى يكاد المشاهد لا يدري بأي جانب يعجب بجمال الخط ودقته، أم بحسن الزخارف ورونقها، أم بأصالة الكلمة ودلالتها، حتى أنها أصبحت كبطاقة تعريف ينظر من خلالها المتتبع مدى رقي وتقدم الحضارة العربية وخصوصاً في العصر الإسلامي، الذي امتاز فيه الخط بالجمع بين رصانة ودلالة المقروء مع إبداعية الفنان الخطاط فيتحقق بذلك إبداع الصورة والمعنى اللفظي.

لذا سنلقي الضوء في هذه المقالة على جانب مشرق من حياة مبدع جعل موهبته فيما سطرته أنامله من فن غاية في الرقي من خلال رشاقة الخط وتناسق سطوره ومداته وحركاته.

لقد أشرق فجر العصر العباسي بنبوغ فنان كان له الدور الكبير في إضفاء لمسات غاية في الإبداع والجودة والإتقان في تطوير الخط العربي، إنه صاحب الخط المليح الخطاط الوزير، أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله بن مقلة (٢٧٢ – ٣٢٨هـ.)[1].

ولد الوزير أبو علي محمد بن مقلة في أسرة لها باع في حسن الخط وإجادته وتوارثه جيلًا بعد جيل، فأخذ الخط عن أبيه حيث كان خطاطاً مليح الخط، وقد

ذكر ابن النديم[٢] أنه رأى مصحفًا بخط علي بن مقلة، ومقلة لقب والد الوزير أبو علي محمد.

وتعلم هذا الفن أيضاً من أستاذه الأحول المحرر والذي يعد صاحب بدايات التحول في الخط العربي من الخط الكوفي إلى خط النسخ وغيره من الخطوط، كما وتعلم الخط على يد إسحاق بن إبراهيم التميمي، معلم المقتدر وأولاده والذي يعد أكتب زمانه وله رسالة في الخط سماها (تحفة الوامق)[٣].

وأخذ علومه على يد كبار علماء عصره، وتتلمذ على يد ثعلب صاحب الفصيح وابن دريد صاحب الجمهرة. فقد أتقن اللغة نحوها وصرفها وأبدع في الأدب شعره ونثره حتى أنه بلغ مرتبة عالية في العلم والفن وامتاز بفضائل كثيرة فاق بها نظراءه من أهل عصره.

وقد أشاد الصولي الذي يعتبر من أكثر المؤرخين المعاصرين لابن مقلة، وهو أيضا نديم الخليفة الراضي فقال: (ما رأيت وزيرًا منذ توفي القاسم بن عبيد الله أحسن حركة، ولا أظرف إشارة، ولا أملح خطاً، ولا أكثر حفظاً، ولا أسلط قلماً، ولا أقصد بلاغة، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن علي يعني ابن مقلة، قال: وله بعد هذا كله علم بالإعراب وحفظ اللغة)[٤].

لقد كان لابن مقلة دور كبير في تطوير الخط العربي فهو أول من هندس حروف الخط العربي ووضع لها قوانين وقواعد حيث وضع قواعد دقيقة في بدايات الحروف ونهاياتها ونسبة كل حرف وقياسه وأوضاعه وأبعاده بالنقط وضبطها ضبطا محكما فسمي خطه هذا بالخط المنسوب، بالإضافة إلى ذلك أجاد خطاً سمي بالدرج، وذكر القلقشندي، عن الوزير ابن مقلة وأخيه، نقلًا عن صاحب «إعانة المنشئ» قال: (وولّدا طريقة اخترعاها، وكتب في

زمانهما جماعة فلم يقاربوهما. وتفرد أبو عبد الله بالنسخ، والوزير أبو علي بالدّرج؛ وكان الكمال في ذلك للوزير؛ وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخطُّ في مشارق الأرض ومغاربها)[٥].

بلغ أبو علي محمد بن مقلة في خطه شأناً عظيماً ودرجة عالية في نفوس الناس حتى وصفوه بأنه أجمل خطوط الدنيا وعنه انتشر، وإليه انتهت رئاسة الخط العربي في عصره وعلى طريقته سار الخطاطون من بعده.

فقد ذكر القلقشندي: (ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة إلى الوزير أبي عليّ محمد بن مقلة وأخيه أبي عبد الله)[٦].

وذكر ياقوت الحموي: (كان الوزير أوحد الدنيا في كتابة الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع)[٧].

وقال الثعالبي: (خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر)[٨].

ويروي الثعالبي أن ابن مقلة: (كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه)[٩].

ولاشك أن ابن مقلة الوزير كان له الإبداع في نقل الخط العربي وتطويره حيث ظل خط النسخ سائداً تكتب به المصاحف والوثائق واللوحات وغيرها، حتى انبرى الخطاط ابن مقلة إلى وضع قواعد خط النسخ وسماه (البديع) والذي استحسنه الناس لجماليته وسهولة كتابته لذا يعتبر المؤسس لقاعدتي الثلث والنسخ[١٠]، كما أنه وضع قواعد دقيقة للحروف وله وصف بديع في الأقلام وأنواعها وفي بري القلم وصناعة الأحبار[١١].

وذهب إدوارد روبرتسن إلى القول إن: (ابن مقلة قد اخترع طريقة جديدة للقياس بواسطة النقط، ونظرياً فإن النقطة تتكون من وضع رأس الريشة على الورق، وبتحريك الريشة إلى الأسفل مع الضغط لفتحها إلى أقصى حد حيث يرفع مباشرة وبسرعة وبهذا يمكن عمل مربع أو معين، وبجعل الريشة وحدة للقياس، فقد جعل ابن مقلة حرف الألف الكوفي مستقيما بعد إن كان منحنيًا من الرأس نحو اليمين كالصنارة، وقد اتخذه مرجعًا لقياساته، وخطا ابن مقلة خطوة أخرى حيث هذب الحروف، وأخذ الخط الكوفي كقاعدة وأخرج من هذه الحروف أشكالاً هندسية، وبذلك أمكنه قياس هذه الحروف ومن هذه القياسات استنبط نسبًا لكل حرف بالنسبة للألف، وفي حالة الحروف المقوسة مثل الراء والنون والسين فقد جعل قطر كل حرف ألفا وهكذا)[١٢].

لقد ابتدع ابن مقلة القوانين الهندسية للحروف وقعد لها القواعد واخترع طريقة أجاد تحريرها كما وأجاد الآراء الفنية الهندسية، حيث يعتبر ذلك عاملا مهما يدل على قدرته وإلمامه بالعلوم الهندسية مضيفاً إليها آراءه في تاريخ الخط وأنواعه وتطوره، ويعتبر المهندس الأول للخط المنسوب[١٣]، ومن أوائل الذين وضعوا مصنفًا في قواعد الخط العربي حيث

كانت له أراء هامة في هذا المجال، ومن آثاره رسالة في علم الخط والكتابة والتي ضمنها مصطلحات لم تكن معروفة، وكذلك قوانين هندسة ووزن الحروف العربية بميزان فني هندسي والتي تعتبر بحق آية في هذا الميدان، حيث ذكر فيها بأن حسن الكتابة وجودتها من جهتين:

الجهة الأولى:

حسن التشكيل:

قال الوزير أبو علي محمد بن مقلة[١٤]: وتحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء هي:

الأول: التوفية، وهي أن يوفى كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي يركب منها من مقوس ومنتصب ومنحنٍ ومنسطح.

الثاني: الإتمام، وهو أن يعطى كل خط حظه وقسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها من طول وقصر ومن كبر ومن صغر.

الثالث: الإكمال، وهو أن يؤتى كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها من انتصاب وتسطيح وانكباب واستلقاء وتقوس.

الرابع: الإشباع، وهو أن يؤتى كل خط حظه من صدر القلم حتى تتساوى صورته ولا يكون بعض أجزائه أدق من بعض وأغلظ من بعض إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقيه مثل الألف والراء ونحوهما.

الخامس: الإرسال، وهو أن يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه.

الجهة الثانية:

حسن الوضع:

قال الوزير ابن مقلة، ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء:

الأول: الترصيف، وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف.

الثاني: التأليف، وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن.

الثالث: التسطير، وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطرًا منتظم الوضع كالمسطرة.

الرابع: التنصيل، وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة.

أما ما يخص هندسة الحروف ومعرفة اعتبار صحتها فقد ذكر ابن مقلة في رسالته هندسة كل حرف وقاعدته وهي كالتالي: -

حرف الألف: وهو شكل مركب من خط منتصب يجب أن يكون مستقيمًا غير مائل إلى استلقاء ولا انكباب وليست مناسبة لحرف في طول ولا قصر.

قال ابن مقلة: واعتبارها أن تخط إلى جانبها ثلاث ألفاتٍ فتجد فضاء ما بينهما متساويًا.

حرف الباء: هي شكل مركب من خطين منتصب ومنسطح، ونسبته إلى الألف بالمساواة. واعتبار صحتها أن تزيد في إحدى سنيها ألفا فتصير لاما.

حرف الجيم: هي شكل مركب من خطين منكب ونصف دائرة، وقطرها مساوٍ للألف.

قال ابن مقلة: واعتبار صحتها أن تخط عن يمينها وشمالها خطين فلا تنقص عنهما شيئاً يسيرًا ولا تخرج.

حرف الدال: هي شكل مركب من خطين منكب ومنسطح، مجموعهما مساوٍ للألف.

قال ابن مقلة: واعتبار صحتها أن تصل طرفيها بخط فتجده مثلثًا متساوي الأضلاع.

حرف الراء: وهي شكل مركب من خط مقوس وهو ربع الدائرة التي قطرها الألف وفي رأسها سنة مقدرة في الفكر.

قال ابن مقلة: واعتبار صحتها أن تصلها بمثلها فتصير نصف دائرة.

حرف السين: وهو شكل مركب من خمسة خطوط منتصب ومقوس ومنتصب ومقوس ثم مقوس.

قال ابن مقلة: واعتبار صحتها يعني صحة رأسها أن تمر بأعلاها وأسفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئا ولا تنقص.

حرف الصاد: هي شكل مركب من ثلاثة خطوط مقوس ومنسطح ومقوس.

واعتبار صحتها أن تجعلها مربعة فتصير متساوية الزوايا في المقدار.

حرف الطاء: واعتبارها كاعتبار الصاد.

حرف العين: وهي شكل مركب من خطين مقوس ومسطح أحدهما نصف الدائرة واعتبار صحتها كاعتبار الجيم.

حرف الفاء: هي شكل مركب من أربعة خطوط منكب ومستلقٍ ومنتصب ومنسطح.

واعتبار صحتها أن تصل بالخط الثاني منها خطاً فتصير مثلثًا قائم الزاوية.

حرف القاف: وهو شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب ومستلقٍ ومقوس. واعتبار صحتها كاعتبار النون.

حرف الكاف: هي شكل مركب من أربعة خطوط منكب ومنسطح ومنتصب ومنسطح.

واعتبار صحتها أن ينفصل منها ياءان.

حرف اللام: هي شكل مركب من خطين منتصب ومنسطح.

واعتبار صحتها أن تخرج من أولها إلى آخرها خطًا يماس الطرفين فيصير مثلثا قائم الزاوية، وتكتب على الأنواع الثلاثة التي تكتب عليها الياء.

حرف الميم: هي شكل مركب من أربعة خطوط منكب ومستلقٍ ومنسطح ومقوس. واعتبار صحتها كاعتبار الهاء.

حرف النون: هي شكل مركب من خط مقوس، هو نصف الدائرة وفيه سنة مقدرة في الفكر.

واعتبار صحتها أن يوصل بها مثلها فتكون دائرة.

حرف الهاء: هي شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب ومنتصب ومقوس. واعتبار صحتها أن تجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العليا كتساوي الزاويتين السفلاوين.

حرف الواو: هو شكل مركب من ثلاثة خطوط مستلقٍ ومنكب ومقوس.

حرف الياء: شكل مركب من ثلاثة خطوط مستلقٍ ومنكب ومقوس.

واعتبار صحتها كاعتبار الواو.

إضافة إلى ما ذكره ابن مقلة في حسن الخط وجودته وهندسة الحروف ومعرفة اعتبار صحتها فقد ذكر أيضا أصناف الأقلام وأجناسها، وطرق بريها وكيفية إمساك القلم عند الكتابة ووضعه على الورق وكذلك طريقة صناعة المداد وذكر أصناف الكتاب ومراتبهم.

يعد خط ابن مقلة أنموذجا يحتذى في الإبداع وجمالية الخط، وقد استمرت رئاسة الخط له حتى القرن الخامس الهجري، حيث اشتهر علي بن هلال (المعروف بابن البواب) المتوفى سنة ٤١٣ هجرية فهذب طريقة ابن مقلة في الخط، ونقحها وكساها طلاوة وبهجة وأنشأ

مدرسته للخط[١٥].

رغم هذا الإبداع الجمالي والسحر الفني فقد بقي ابن مقلة طيلة حياته عرضة للمحن والفتن إلى أن أصدر الخليفة الراضي العباسي بسجنه وقطع يده سنة ٣٢٤ هجرية وكان ابن مقلة يشد القلم إلى ساعده ويكتب بها، وكتب بيده اليسرى وقد أجاد الكتابة بها وفي ذلك يقول:

ليس بعد اليمين لذة عيش
يا حياتي بانت يميني فبيني

ثم قطع بعد ذلك لسانه وتوفي في السجن مقطوع اليد واللسان ومن الغريب أن ابن مقلة تقلد الوزارة ثلاث مرات في عهد المقتدر، والقاهر، والراضي، ودفن ثلاث مرات[١٦].

وفي ختام المطاف إننا حيث تناولنا في هذه المقالة جانبا لمبدع من مبدعي هذا الفن ورائدًا من رواد الخط العربي الأصيل فإن ذلك يحتم علينا أخلاقيًا أن ننبه إلى حجم الخطر الذي يحدق بالخط العربي وما يواجهه هذا الفن العريق من المحن والضياع لذلك ندعو كل من له اهتمام في هذا الجانب إلى تحمل مسؤولية إبرازه والارتقاء به، وكذلك هي دعوة لأبناء عصرنا من أبناء الأمة الإسلامية وخصوصًا أبناء الأمة العربية بالمحافظة على هذا التراث القيم من أجل أن لا يسحق تحت عجلات الخطوط الحديثة وما تنتجه الآلة والحاسوب والطابعة، كي يبقى تراثنا نبراسًا نستمد منه الهمم وعاملًا محفزًا للرقي والإبداع نفتخر به جيلًا بعد جيل ما بقيت الدنيا ومن الله تعالى نستمد العون والرشاد إنه ولي التوفيق وهو المسدد للصواب■

---

١) خيرالدين الزركلي، الأعلام، ج٦/ ص٧٢٣.
٢) فهرست ابن النديم، ص١٢.
٣) ابن النديم البغدادي، الفهرست، ص ٧١١.
٤) يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٣/ ص٢٦٨.
٥) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣ / ص١٨.
٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣ / ص١٨.
٧) معجم الأدباء، ج٩ / ص٢٩.
٨) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٦٦.
٩) المصدر السابق، ٣٤٥.
١٠) سهيلة الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، ص٧١.
١١) القلقشندي، صبح الأعشى،ج٣
١٢) نقلاً عن: سهيلة ياسين الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق ص ٩٦
١٣) ينظر: المصدر السابق،ص٧٠ ؛
١٤) ينظر مخطوطة ابن مقلة، رسالة في الخط والقلم؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣.
١٥) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣/ص٣٤٢ ؛
١٦) ينظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج٢٣/ص١٤٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤/ص٨٣ ؛ يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج٣/ ص٢٦٢.

من شعر الحكمة

قالوا في العقل والعاقل:

ما نسب للإمام علي عليه السلام قوله:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمان للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه ... على العقل يجري علمه وتجاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه

يشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناصبه

ومن كان غلابا بعقل ونجدة ... فذو الجد في أمر المعيشة غالبه

وقال أيضاً:

إذ كنت ذا علم ولم تك عاقلا ... فأنت كذي نعل وليس له رجل

وإن كنت ذا عقل ولم تك عالما ... فأنت كذي رجل وليس له نعل

ألا إنما الإنسان غمد لعقله ... ولا خير في غمد إذا لم يكن نصل

(نهج السعادة/ المحمودي/ ج٨ص٢٠٢)

طروحات عامة

كربلاء الإمام الحسين عليه السلام.. أم كربلاء السيد المسيح عليه السلام ؟!

أ.م.د. محمد زوين
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

قد يبدو للوهلة الأولى غرابة العلاقة بين موضع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وبين موضع ولادة نبي الله عيسى عليه السلام.

إلا أن المتتبع لأوجه الشبه بينهما من خلال روايات أهل البيت عليهم السلام يجد أن لا غرابة في هذه العلاقة. فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن هناك ارتباطٌ بين الإمام الحسين عليه السلام وذكره، مع ذكر نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، فهما يتجانسان في حدود المكان والموقف الرسالي، وقد نصت كثير من الروايات على أن المكان الذي ولد فيه عيسى عليه السلام عينه المكان الذي تقدّس بشهادة الإمام الحسين عليه السلام (كربلاء البقعة المباركة)، فقد حددت الآيات القرآنية صفات مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام ولوازمه بقوله تعالى: (**مَكَانًا شَرْقِيًّا**)(مريم: ١٦)، وقوله: (**مَكَانًا قَصِيًّا**) (مريم: ٢٢)، وقوله جل ذكره: (**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**) (مريم: ٢٥)، وقوله: (**رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**) (المؤمنون: ٥٠).

وجميع هذه الآيات قد أوضحتها بيانات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية لتحدد مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام، وبالمقاربة بين دلالة الآيات الكريمة وألفاظها (مكانا شرقياً، مكاناً قصياً، وهزي إليك بجذع النخلة، ربوةٌ ذات قرار ومعين) التي تقتضي أن تكون جهة توجه مريم عليها السلام إلى الشرق، وإلى مكان بعيد عمّا هي فيه ـ بغض النظر عن طريقة الانتقال إليه بصورة خارقة معجزة كحال حملها من غير زواج، أو بصورة اعتيادية كما هو حال ولادتها ـ فضلاً عن أن المكان يحفل بالنخل، ووجود المرتفعات- التلال- والماء

الظاهر الجاري على وجه الأرض، هذه مميزات مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام، فإذا قاربناها مع أحاديث أهل البيت عليهم السلام التفسيرية، وقدسية المكان الذي قصد لرأينا أن ذلك لا ينطبق على جهة غير كربلاء البقعة المباركة المقدسة[1]، روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: (**مَكَانًا قَصِيًّا**) (مريم: ٢٢)،قال: (خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثم رجعت من ليلتها)[2].

أما بيان المكان الذي يحفل بالنخل والمعني بقوله تعالى: (**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**)، فقد أوضحهُ الصادق من آل محمد عليهم السلام في حديث يحيى بن عبدالله قال: (قال: كنا بالحيرة. فركبت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما صرنا حيال قرية فوق المآصر* قال: هي هي حين قرب من الشط وصار على شفير الفرات، ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: أتدري أين ولد عيسى عليه السلام؟ قلت: لا، فقال: في هذا الموضع الذي أنا جالس فيه، ثم قال: أتدري أين كانت النخلة؟ قلت: لا، فمد يده خلفه، فقال: في هذا المكان، ثم قال؟: أتدري ما القرار وما الماء المعين؟ قلت: لا، قال: هذا هو الفرات. ثم قال: أتدري ما الربوة؟ قلت: لا، فأشار بيده عن يمينه، فقال: هذا هو الجبل إلى النجف.....)[3].

ومما يستوقف الباحث هنا تحديد الإمام عليه السلام موضع ولادة عيسى وموضع النخلة التي ذكرت، فضلاً عن الإشارة إلى مكان الربوة والماء وهو الجبل الممتد إلى النجف، الفرات الذي يتصل بجريانه إلى النجف.

وتتوافر روايات أهل البيت عليهم السلام في بيان موضع الربوة والماء الذي ولد عنده السيد المسيح عليه السلام ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام برواية الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير الآية قال: (الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين الفرات)[٤] وعن الصادق عليه السلام قال: (الربوة: نجف الكوفة والمعين الفرات)[٥]، وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي قال: (الربوة: الحيرة، وذات قرار ومعين: الكوفة)[٦] وعلق على الرواية صاحب البحار (قده) فقال: (لعل المعنى أن القرار هو الكوفة، والمعين ماؤها، أي الفرات، والحيرة أي كربلاء: لقربها منهما أضيفت إليهما)[٧] وقد يتوهم بعضهم بتعارض هذه الروايات وأمثالها التي تنص على معنى الربوة النجف أو الكوفة أو الحيرة أو كربلاء، والمعنى عند التدقيق في نصوص أهل البيت عليهم السلام واحد، فكيف ذاك وأنى؟

أقول المُطلع على جغرافية اتصال النجف الأشرف بكربلاء المقدسة يلحظ من خلال الرسم والتصوير الجغرافي سلسلة جبلية تمتد من الحيرة اتصالاً بالنجف (ظهر الكوفة) تمتد باتجاه النجف غرباً وصولاً لكربلاء وهذه هي ما يشير إليها الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام بقوله (الجبل الممتد إلى النجف)، ويتصل الفرات بها من جهات مختلفة لذا جاء التعبير عن الربوة مرة بالكوفة أو الحيرة أو كربلاء لتواصل هذه الحواضر بعضها مع بعض بسلسلة جبلية يظهرها ويستكشف معالمها الرسم الجغرافي وترى أن هذه المدن تقع عند حافة هذه السلاسل فالنجف تقع في أعلى منطقة لهذه السلسلة وتشكل الحيرة مكانا يشبه لسانا يمتد بينهما (بين النجف والكوفة) لتظهر كلها بصورة مثلث قاعدته من طرف الحيرة ومن الطرف الآخر الكوفة ورأسه هضبة النجف التي تعلوها ثلاثة تلال يتوسطها قبر الإمام علي عليه السلام وتتصل حافة هذه الهضبة مع امتداد الجبال المسماة بـ(طار النجف) وصولاً والتقاء بجبال أو طار كربلاء[٨].

إذاً فليس ثمة تباين واختلاف في إشارة أهل البيت عليهم السلام إلى أن موضع ولادة عيسى عليه السلام كان في كربلاء، التي يعبر عنها في كثير من الروايات بأنها البقعة المباركة[٩]، عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: (شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة كربلاء)[١٠].

وما من نبي إلّا وزار كربلاء ولعن قتلة أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام فقد روي أن (أوّل من لعن قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام إبراهيم خليل الرّحمن، لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمّ لعنه موسى بن عِمرانَ، وأمر أُمّته بذلك، ثمّ لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك، ثمّ لعنه عيسى، وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل العنوا قاتله، وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه، فإنّ الشّهيد معه كالشّهيد مع الأنبياء، مقبل غير مُدبر، وكأنّي أنظر إلى بُقعته، وما من نبيٍّ إلاّ وقد زارَ كربلاء ووقف عليه وقال: إنّك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القَمَر الأزهر)[١١]، ولعل من ينكر زيارة عيسى عليه السلام لأرض الطف، لا يخرج عن إنكار إحياء الميت وشفاء الأكمه والأبرص، هذا ما يراه المفكر النصراني انطون بارا ويضيف إنه ليس من العسير أن المسيح عليه السلام يمر بكربلاء ويتنبأ بمن يُصرع

على أرضها من الشهداء والمصطفين بعد قرون، أوليس الأنبياء أولاد علّات والشهداء والمصطفون إخوان في أسرة واحدة أعدها الله تعالى لتحقيق وعده للبشر، وهل من الإيمان أن يخوض بعضهم في إنكار هذه التجليات الإلهية ويفسرها بمنطقهم البشري القاصر، ورؤاهم العاجزة؟[١٢]

فعن ابن عباس قال: (كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو شط الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ فقلت له: ما أعرفه، يا أمير المؤمنين. فقال الإمام علي عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي. قال: فبكى طويلًا حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره، وبكينا معًا، وهو يقول: أوه أوه، مالي ولآل أبي سفيان، مالي ولآل حرب، حزب الشيطان، وأولياء الكفر، صبرًا - يا أبا عبد الله - فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. ثم دعا بماء فتوضأ وضوءه للصلاة وصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم ذكر نحو كلامه الأول، إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه فقال: يا ابن عباس. فقلت: ها أنا ذا. فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيرًا، يا أمير المؤمنين. قال: رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض، قد تقلدوا سيوفهم، وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الارض خطة، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول، فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة - يا أبا عبد الله - إليك مشتاقة. ثم يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر، فقد أقر الله به عينك يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم انتبهت هكذا. والذي نفس علي بيده، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلى الله عليه وآله أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلا من ولدي وولد فاطمة، وأنها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس. ثم قال: يا ابن عباس، اطلب لي حولها بعر الظباء، فو الله ما كذبت ولا كذبت، وهي مصفرة، لونها لون الزعفران. قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي. فقال علي عليه السلام: صدق الله ورسوله. ثم قام عليه السلام يهرول إليها، فحملها وشمها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم - يا بن عباس - ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمها عيسى بن مريم عليه السلام، وذلك أنه مر بها ومعه الحواريون فرأى ها هنا الضباء مجتمعة وهي تبكي، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى. فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا. قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة

الأنبياء وأولاد الانبياء، فهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الارض شوقا إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الارض. ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران[١٣] فشمها، وقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها، اللهم فأبقها أبدا حتى يشمها أبوه فتكون له عزاء وسلوة، قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا، وقد اصفرت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء. ثم قال بأعلى صوته: يا رب عيسى بن مريم، لا تبارك في قتلته، والمعين عليه، والخاذل له، ثم بكى بكاء طويلا وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلا، ثم أفاق، فأخذ البعر فصره في ردائه، وأمرني أن أصرها كذلك، ثم قال: يا بن عباس، إذا رأيتها تنفجر دما عبيطا ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها ودفن. قال ابن عباس: فو الله لقد كنت أحفظها أشد من حفظي لبعض ما افترض الله عزوجل عليّ، وأنا لا أحلها من طرف كمي، فبينما أنا نائم في البيت إذ انتبهت فإذا هي تسيل دما عبيطا، وكان كمي قد امتلا دما عبيطا، فجلست وأنا باك، وقلت: قد قتل والله الحسين، والله ما كذبني علي قط في حديث حدثني، ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك، لأن رسول الله ﷺ كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره. ففزعت وخرجت، وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك، فقلت: قد قتل والله الحسين، وسمعت صوتا من ناحية البيت، وهو يقول:

اصبروا آل الرسول
قتل الفرخ النحول
نــزل الروح الأمين
ببـكاء وعـــــويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت، فأثبت عندي، تلك الساعة، وكان شهر المحرم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة، ولا ندري ما هو، فكنا نرى أنه الخضر عليه السلام[١٤].

هذا في أوجه التشابه بين الإمام الحسين عليه السلام وبين السيد المسيح عليه السلام، ومن الجدير بالذكر أن للإمام الحسين عليه السلام سُنَة رسالية إلهية أخرى جرت على غرار سنّة الله تعالى في النبوة والإمامة من بعد موسى وهارون عليهما السلام، ولعلك لا تعدم أن تجد التشابه بين المصطَفين للرسالة (موسى وهارون عليهما السلام)، والمجتَبين للإمامة (الحسن والحسين عليهما السلام) فهم موضع العناية والاختيار الإلهي، روي (عن هشام بن سالم قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟ فقال: الحسن أفضل من الحسين. [قال:] قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام، ألا ترى أنهما كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة وإن الله عزوجل جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون عليه السلام، قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟ قال: لا إلا أن

يكون أحدهما صامتًا مأمومًا لصاحبه، والآخر ناطقًا إمامًا لصاحبه، فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا. قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟ قال: لا إنما هي جارية في عقب الحسين عليه السلام كما قال الله عزوجل: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة)[١٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

---

١) ظ/كربلاء القدس الشريف/٤٢٨

٢) تهذيب الأحكام/٦/٧٣ ، وسائل الشيعة/١٤/٥١٧ ، تفسير أبي حمزة الثمالي/٢٤٢ ، وغيرها.

* ومعنى المآصر: الحاجز، فاعل من (المصر) وأصل (أصر)، والإصارُ: الطنب، وجمعه (أُصُر) على فُعُل، والآصرة الحبل الصغير الذي يُشدّ به أسفل الخباء، وأصرني الشيء ياصرني اي حبسني، ويبدو انه حبل يمدُّ علي طريق أو نهر يؤصَرُ به السُّفُن والسابلة: اي يحبس، ليؤخذ منهم العشور/ظ/ لسان العرب/ سادة (أصر)، تاج العروس (أصر)

٣) قصص الأنبياء/ الراوندي/ ٢٦٤ ، بحار الأنوار/ ١٤/٢١٦.

٤) معاني الاخبار/٣٧٣

٥) تهذيب الأحكام/٦/٣٨ ، وسائل الشيعة/١٤/٤٠٥ ، المزار/الشيخ المفيد/١٦وغيرها.

٦) بحار الأنوار/١٤/٢٣٩

٧) م.ن.

٨) لزيادة التوضيح بالصورة الجغرافية والتواصل الحضاري بين هذه الحواضر القديمة ظ/ مجلة تراث النجف/٢٩ ، ولعل آثار ذلك ما تزال في الحرم الحسيني إلى الآن ظ/ أضواء على ذاكرة المكان (نخلة مريم)/٣١٩

٩) ظ/ مختصر بصائر الدرجات/١٨٦ ، الهداية الكبرى/٩٧، ١٢١ ، كامل الزيارات/١١. يقول القرطبي: (وقالوا: لو كان شيء من الأرض خيراً من المشرق لوضعت مريم عليها السلام عيسى عليه السلام فيه.) الجامع لأحكام القرآن/ ١١/٩٠.

١٠) تهذيب الأحكام/ ٦/٣٨. ظ كذلك/ وسائل الشيعة/ ١٤/٤٠٥.

١١) كامل الزيارات/١٤٣ ، بحار الأنوار/٤٤/٣٠١

١٢) ظ/عيسى زار أرض الطف/٤١٨ ، الحسين في الفكر المسيحي المعاصر.

١٣) الصيران: جمع صوار - كفراب وكتاب - ومن معانيها وعاء المسك، كأنه أراد تشبيه البعر بنافجة المسك لطيبها، ويحتمل أن تكون جمع صور - بالفتح - وأراد به الحشيش الملتف النابت في تلك الارض.

١٤) الأمالي/الصدوق/٦٩٦ ، ظ كذلك/ كمال الدين وتمام النعمة/٥٣٣ ، مدينة المعاجز/ ٢/١٦٧ ، مسند الامام علي/ ٨/٣٩٢ ، الفتوح/ ٢/٥٥٢ ، موسوعة عبدالله بن عباس/٥/٢٣٤

١٥) كمال الدين /٤١٦.

أجوبة مسابقة العدد (٦٧)
وأسماء الفائزين

الســؤال الأول: أ- حينما طلبت منه قريش أن يسلمها محمداً ﷺ لتقتله

الســؤال الثاني: أ- جده لأمه

الســؤال الثالث: أ- الجلاس بن علقمة

الســؤال الرابع: ج- قيس بن سعد

السؤال الخامس: ج- عشرة

السؤال السادس: ب- ٦ سنوات

الســؤال السابع: ج- مشهد المقدسة

الســؤال الثامن: أ- مالك الأشتر

الســؤال التاسع: ج- يحيى بن زيد الشهيد

الفائز بالجائزة الأولى: فالح حسين علي / الحلة ـ المهندسين.

الفائز بالجائزة الثانية: علي عبد العال مهنا/ النجف الأشرف ـ الكوفة.

الفائز بالجائزة الثالثة: إيمان حسين جعاذ / بغداد ـ مدينة الصدر.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٩)

١ (يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين لكل مسألة منك سمع حاضر وجواب عتيد،...) دعاء من الأدعية اليومية التي يستحب المواظبة عليها في أيام شهر رجب المرجب، مروي عن الإمام السجاد عليه السلام فأين دعا عليه السلام به؟

أ- عند حجر إسماعيل عليه السلام. ب- عند مقام إبراهيم عليه السلام.

ج- عند الحجر الأسود.

٢ تنح عن القبيح ولا ترده..... ومن أوليته حسناً فزده

ستلقى من عدوك كل كيد..... إذا كاد العدو فلا تكده

بيتان شعريان منسوبان لإمامين من أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث كان يقول الإمام الأول الصدر فيقول الإمام الثاني العجز؟ فمن هذان الإمامان؟

أ- السجاد عليه السلام/ الباقر عليه السلام.

ب- الصادق عليه السلام/ الكاظم عليه السلام.

ج- الرضا عليه السلام/ الجواد عليه السلام.

٣ علي بن يقطين، من الشيعة المخلصين الذين كانوا يرجعون للإمام موسى الكاظم عليه السلام وكان وزيراً عند هارون الرشيد سأل الإمام عليه السلام عن حاجة ليقضيها له فقال عليه السلام له: أضمن لي واحدة أضمن لك...، كم حاجة ضمنها الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن يقطين؟

أ- ثلاث حوائج. ب- أربع حوائج. ج- خمس حوائج.

٤ من نسوة بني هاشم، تولت أمر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عند ولادة الإمام الحسين عليه السلام، فقال لها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: عليَّ بولدي، فمن هذه السيدة ؟

أ- فاطمة بنت الحمزة. ب- أم هاني بنت أبي طالب.

ج- صفية بنت عبد المطلب.

كوبون المسابقة

ينابيع ٦٩

الاسم الثلاثي: العنوان:

جواب السؤال الأول	أ	ب	ج

جواب السؤال الثاني	أ	ب	ج

جواب السؤال الثالث	أ	ب	ج

جواب السؤال الرابع	أ	ب	ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شوال/ ١٤٣٧هـ

جواب السؤال	أ	ب	ج
السابع			
السادس			
التاسع			
الخامس			
الثامن			

٥ في مظلم ساباط تعرض سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لمحاولة اغتيال نفذها الجراح بن سنان لعنه الله، ففي أي يوم حدثت هذه الجريمة؟

أ- ٢٣ رجب. ب- ٢٧ رجب. ج- ٢٩ رجب.

٦ غزوة من غزوات المسلمين، حدثت يوم ٢٩ رجب سنة ٩ هـ، وفيها ترك رسول الله صلى الله عليه وآله علياً في المدينة، وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصل إلى تخوم بلاد الروم فانهزموا أمامه، فما أسم هذه الغزوة؟

أ-غزوة حنين. ب- غزوة تبوك. ب- غزوة مؤتة.

٧ في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٣٢٩هـ، توفي أحد نواب الإمام المنتظر عليه السلام وبدأت بوفاته الغيبة الكبرى، فما هو اسمه؟

أ- الحسين بن روح. ب- علي بن محمد السمري.
ج- عثمان بن سعيد.

٨ لما أراد الإمام علي الهادي عليه السلام تزويج ابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، دعا بنخاس (بياع جواري) ليقوم بشراء جارية لها صفات تختلف عن صفات الجواري الأخريات، وكانت تلك الجارية نرجس من ذرية شمعون الصفا، لمن ينتسب النخاس الذي كلفه الإمام الهادي عليه السلام بهذه المهمة؟

أ- أبو أيوب الأنصاري. ب- عمار بن ياسر.
ج - ميثم التمار.

٩ حدثت فاطمة بن أسد أبا طالب فقالت: ولدت آمنة بنت وهب مولوداً أضاءت له الدنيا بين السماء والأرض نوراً حتى مددت بصري فرأيت سعفات هجر، فقال أبو طالب: انتظري (سبتاً) وتأتين بمثله، فماذا عنى أبو طالب بالسبت:

أ-عشر سنين. ب- عشرين سنة. ج- ثلاثين سنة.

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500

عتباتنا

صورة جوية نادرة للعتبة الكاظمية المقدسة
اخذت سنة ١٩٢٥م